

النَّاهِي عَنْ شُرُورِ الْمَلَائِكَةِ
وَأَرْتِكَابِ الْمَنَاهِي

إِنْلَاء
أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرَيْشٍ الْيَحْصُبِيُّ الطَّلَيْطِيُّ
الْمَعْرُوفُ بِابْنِ الْعَسَّالِ
(ت ٤٨٧ هـ)

قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ
د. رِضْوَانُ الْحَضِرِيِّ



دار الفتح
للدراسات والنشر

النَّاهِي عَنْ شَهْوَةِ الْمَلَاهِي

وَأَرْتِكَابِ الْمَنَاهِي

إِمْلَاء

أَبِي مُحَمَّدٍ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ فَرَجِ الْيَحْصِييِّ الطَّلَيْطِيِّ

الْمَعْرُوفِ بِابْنِ الْعَسَّالِ

(ت ٤٨٧ هـ)

قَرَأَهُ وَعَلَّقَ عَلَيْهِ

د. رِضْوَانُ الْحَصْرِيِّ



دار الفتح

للدراسات والنشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة التحقيق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً

الحمد لله الذي بيّن لعباده سُبُلَ الهدى، ونهاهم عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ،
فَاتَّعَظَ الْمُتَذَكِّرُونَ، وَاَنْقَمَعَ الْمُزْدَجِرُونَ، وَاَنْتَهَى أَوَّلُو الْحِجَا فَهَمَ بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ
مُسْتَبْشِرُونَ، وَلَمْ يَتَّبِ الْمُنَافِقُونَ وَأَهْلَ الْإِرْجَافِ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَأَصْرُوا
وَاسْتَكْبَرُوا فَهَمَ الْخَاسِرُونَ.

والصلاة والسلام على رسول الله نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه الذين
استجابوا لقول الله رب العالمين: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ
فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

فاللهم إنا نسألك أن تجعلنا من السامعين الطائعين، المستمسكين بحبلك
المتين، برحمتك يا أرحم الراحمين، واغفر لي ولوالدي ولأهلي وللمؤمنين، يوم
يأتيك يا رحمن عبدك فردًا وحيدًا لا حول له ولا معين.

أما بعد،

فما أحوج أمتنا اليوم إلى تمثّل أخلاق الأولين، من الأخيار المرضيين، الذين
عاشوا في هذه الدنيا، ولم يعرفوا التعس والشقاء اللذين يتخبط فيهما - وفي غيرهما -
كثير من الناس في هذا الزمان، بسبب نسيان المثل العليا، وغياب القدي الفضلي،

التي تعالج واقعنا المعيش وحياتنا المعاصرة بمنهج القرآن الرباني، وسبيل التآسي النبوي، ومعدلة العلم الشرعي.

ولا أحسب ذلك يكون إلا بالحسر عن أذرع الجد بأشكاله، وشدة حيازيم القوة بأنواعها، لربط الحاضر البئيس بالماضي المشرق، وتشديد جسور الصلة بين الطارف الواهم والتالد المحقق، طمعاً في سريّة النور من ثلة الأولين إلى قليل الآخرين، وإلا فبعداً لقوم اجتيلوا عن أصولهم، وانسلخوا من أعرافهم، وقلّبوا ظهر المجنّ لعروقهم. وهذا كتاب محدث جديد، ألفه إملاء عالم فاضل من أهل الأندلس، غيور على دينه الحق الذي ارتضاه الله لأمة نبيه محمّد عليه الصلاة والسلام؛ ليشدّ به أزر الجيش العرمم الجرّار الذي حارب بكلّ حزم وقوة ورباط جميع أنواع الملهي الباطلة التي اتخذها الشيطان وحزبه سلاحاً لحرب القيم الإنسانية، والأخلاق الفطرية التي وصّى بها ديننا الحنيف.

وكأنني بهذا العالم رحمه الله لما رأى الناس في أوانه قد تتايعوا في حضور الملهي والانتشاء بسماع الغناء طرباً بالأندلس، ترخصاً واسترواحاً إلى بعض من أباحه من علماء ذلك القطر المسلوب؛ ومنهم عصره وكنيّه ابن حزم رحمه الله، وهو أشهر من أثر عنه ذلك، فلما رأى ذلك وثب وثبة الهصور يحمي عرينه لإبطال الباطل وإحقاق الحق؛ لأن في زلة العالم إذا لم يبين أمرها فساد العالم^(١).

(١) ألف الشيخ حامد بن علي بن إبراهيم العمادي الدمشقي (ت ١١٧١هـ) جزءاً سماه: «صلاح العالم بإفتاء العالم»، وهو مطبوع بدار عمار بالأردن سنة ١٤٠٨هـ. ولا يزال - مع الحسرة - بعض الناس ومنهم من ينتسب إلى خدمة العلم وأهله، يترخص في السماع استرواحاً إلى قول من أجاز به بدوى أنه أمر مختلف فيه، ولو ترخص في نفسه وسكت لكان أهون، ولكن أن تخاطب بذلك الناس الذين لا يعلم أكثرهم، وتُدليّ بالجواز إلى أهل الغفلة والإعراض عن الذكر، فليس ذلك من الحكمة والعقل وشفوف النظر إلى ما تصير إليه الأمور، وليس كل ما يُعلم يُقال، لا سيما عندما يشتد الأمر وتكثر الفواحش، فيصير الإحماض هو الأصل، والترفة هو الأساس، والله السّير.

وكانني أيضًا بابن حزم رحمه الله قد نظر بلحظ الغيب إلى أولئك الذين صالوا به وجالوا في مضمار جواز السماع؛ فأراد أن يُمحِضَ لهم النصيحة إمحاضًا قبل أقول نجمه؛ وذلك في آخر عمره في وقت مشييه، والشيب - كما قيل - أبعد في النصح عن التهم؛ وذلك قوله رحمه الله:

وَلَمَّا رَأَيْتُ الشَّيْبَ حَلَّ مَفَارِقِي نَذِيرًا بِتَرَحُّالِ الشُّبَابِ الْمُفَارِقِ
رَجَعْتُ إِلَى نَفْسِي فَقُلْتُ لَهَا: انْظُرِي إِلَى مَا أَتَى هَذَا ابْتِدَاءَ الْحَقَائِقِ
دَعِي دَعَوَاتِ اللَّهْرِ قَدْ فَاتَتْ وَفُتُّهَا كَمَا قَدْ أَفَاتَ اللَّيْلُ نُورَ الْمَشَارِقِ
دَعِي مَنَزِلَ اللَّذَاتِ يَنْزِلُهُ أَهْلُهُ وَجِدِّي لِمَا تُدْعِي إِلَيْهِ وَسَابِقِي^(١)

قال ابن خلدون: «كان للموصلين غلام اسمه: زرياب، أخذ عنهم الغناء فأجاد فصرفوه إلى المغرب غيرة منهم، فلحق بالحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل أمير الأندلس؛ فبالغ في تكريمه وركب للقاءه وأسنى له الجوائز والإقطاعات والجرايات، وأحلّه من دولته وندمائه بمكان؛ فأورث بالأندلس من صناعة الغناء ما تناقلوه إلى أزمان الطوائف، وطما منها بإشبيلية بحر زاخر، وتناقل منها بعد ذهاب غضارتها إلى بلاد العدو بإفريقية والمغرب»^(٢).

ولذلك كان لأعلام الأندلس كتب في ذلك^(٣)، مثل كتاب «أغاني زرياب» لأبي الحسن أسلم بن أحمد بن سعيد بن القاضي أسلم بن عبد العزيز بن هاشم^(٤)، ولأبي عثمان سعيد بن فتحون بن مكرم المعروف بالحمار السرقسطي تأليف في

(١) رواه أبو الربيع الكلاعي في «مسلسلاته»، ومن طريقه مرتضى الزبيدي في «أمالیه»، ورواه من طريق آخر ابن الأبار في «التكملة لكتاب الصلة» (٤: ١٢٧).

(٢) «مقدمة ابن خلدون» (ص ٥٤٠).

(٣) لعبد الرحمن علي الحجي رحمه الله كتاب «تاريخ الموسيقى الأندلسية»، نشرته دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع سنة ١٩٦٩ م.

(٤) «جذوة المقتبس» (ص ١٧٢)، «طوق الحمامة» لابن حزم (ص ٢٥٨، ٣١٨).

الموسيقى^(١)، ولأبي محمد عطية بن سعيد بن عبد الله الأندلسي (ت ٤٠٨ هـ أو ٤٠٩ هـ) كتاب في تجويز السماع، وكان كثير من المغاربة يتحامونه من أجل ذلك^(٢).
والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب الذي احتذى فيه المؤلف حذو الواعظين
والقصاص والمذكرين، وأن يجعله كاسمه عظة للناس أجمعين، وتذكرة للمعتبرين،
وأولي بقية من الصالحين.

والحمد لله رب العالمين

وكتب

د. رضوان الحصري

بتاريخ ٥ رمضان ١٤٤٢ هـ

(١) «طبقات الأمم» لصاعد (ص ٦٨)، «الذيل والتكملة» (٢: ٤٢).

(٢) «جذوة المقتبس» (ص ٣٢١).

المطلب الأول

التعريف بالمؤلف^(١)

اسمه ونسبه ومولده :

هو عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي، يُعرَف بابن العسال^(٢)، من أهل طليطلة، يكنى: أبا محمد، سكن غرناطة واستوطنها بعد أخذ طليطلة من المسلمين وسقوطها بيد الروم.

شيوخه :

ذكرهم ابن بشكوال ولسان الدين بن الخطيب، ورُتبتهم على حروف المعجم:
- إبراهيم بن مسعود بن سعيد التجيبي أبو إسحاق الإلبيري الزاهد (نحو سنة ٤٦٠هـ).

- أحمد بن قاسم بن محمد بن يوسف التجيبي، من أهل طليطلة، يكنى: أبا جعفر، ويُعرف بابن أرفع رأسه (ت ٤٤٣هـ).

- سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي أبو الوليد الباجي، من أهل قرطبة، سكن شرق الأندلس، (ت ٤٧٤هـ).

- عبد الرحمن بن محمد بن عباس الأنصاري، يُعرَف بابن الحصار، من أهل طليطلة، يكنى: أبا محمد (ت ٤٣٨هـ).

(١) مصادر ترجمته: «الصلة» لابن بشكوال (ص ٢٧٦)، «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٣٥٢).

(٢) وقد يسقطون «ابن» اختصارًا، ولذلك نظائر، كالنديم وابن النديم، ولا مشاحة في الألقاب.

- عبد الرحمن بن محمد بن عيسى بن عبد الرحمن، يُعرف: بابن الحشا، قاضي طليطلة، وأصله من قرطبة، يكنى: أبا زيد (ت ٤٧٣هـ) ^(١).

- عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد الأموي أبو عمرو، من أهل قرطبة، سكن دانية (ت ٤٤٤هـ).

- فرج بن غزلون بن العسال اليحصبي، من أهل طليطلة، روى عن شيوخها، وعن أبي القاسم عبد الوارث بن سفيان القرطبي (ت ٣٩٥هـ)، حدث عنه ابنه المؤلف سنة ٤٢٤هـ.

- محمد بن إبراهيم بن موسى بن عبد السلام الأنصاري المعروف بابن شق ^(٢) الليل، من أهل طليطلة، سكن طليطلة، يكنى: أبا عبد الله (ت ٤٥٥هـ).

- مكي بن أبي طالب بن محمد بن مختار القيسي المقرئ، أبو محمد القرطبي، وأصله من القيروان (ت ٤٣٧هـ).

- يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري، يكنى: أبا عمر، من أهل قرطبة (ت ٤٦٣هـ).

(١) روى عنه ابن العسال «فهرسة أبي عبد الله محمد بن منصور بن جيكان التستري» كما في «فهرسة ابن خير» (ص ٣٨٦).

(٢) كذا ضبطه ابن نقطة في «إكمال الإكمال» (٣: ٤٣٣)، وما ورد في «توضيح المشتبه» لابن ناصر الدين الدمشقي (٥: ٣٥٣)، ونصه: «وبضم أوله وفتح القاف: أبو عبد الله مُحَمَّد بن إبراهيم ابن شقَّ اللَّيْلِ، حدث عن أبي الوليد يُونس بن أحمد الأزدي ابن شُوقَة»، فظن محقق الكتاب أنه يقصد ضبط شق، فوضع الكلمة بين معقوفتين في بداية السطر على عادته في التسهيل، والصواب: أن ابن ناصر الدين يقصد شوقَة، على أن كلاً من ابن نقطة وابن ناصر الدين رحمهما الله وهما في كون ابن شقَّ الليل روى عن ابن شوقَة، والصواب: أن ابن شُوقَة هو الذي روى عن ابن شقَّ اللَّيْلِ، ويؤيد ذلك قول ابن نقطة نفسه ناقلاً عن أبي الوليد الأندلي: «وجدته مضبوطاً بِخَطِّ يُونس بن أحمد بن شوقَة صاحب ابن شقَّ اللَّيْلِ». «إكمال الإكمال» (٤: ٤٧٣).

تنبيه :

ما ذكره الغافقي الملاحى في «فهرسته» التي ختم بها كتابه في فضائل القرآن العزيز المسمى بـ«لمحات الأنوار»، من رواية ابن العسال عن الصاحبين^(١)، وهما: أحمد بن محمد بن محمد بن عبيدة الأموي، يُعرَف: بابن ميمون، من أهل طليطلة، يكنى: أبا جعفر (ت ٤٠٠هـ)، وإبراهيم بن محمد بن حسين بن شنظير الأموي، من أهل طليطلة، يكنى: أبا إسحاق (ت ٤٠٢هـ)، وهَم ظاهر؛ لأن ابن العسال وُلد بعد وفاتهما فكيف يروي عنهما؟ ويحتمل أن يكون ثمة سَقَطٌ في تلك الأسانيد، وقد روى ابن العسال عن روى عن الصاحبين كأبيه فرج بن غزلون، وابن شق الليل وغيرهما من شيوخ طليطلة، والله أعلم.

ثناء العلماء عليه :

قال أبو بكر يحيى بن محمد الأنصاري المعروف بابن الصيرفي (توفي في حدود ٥٧٠هـ) في كتابه «الأنوار الجلية في أخبار الدولة المرابطية»: «كان رحمه الله فذاً في وقته، غريب الجود، طرّفاً في الخير والزهد والورع، له في كل جو متنفّس، يضرب في كل علم بسهم، وله في الوعظ تواليفٌ كبيرة، وأشعاره في الزهد مشهورة، جارية على ألسنة الناس، أكثرها كالأمثال جيّدة الرّصعة، صحيحة المباني والمعاني، وكان يخلّق في الفقه، ويجلس للوعظ»^(٢).

وقال ابن بشكوال: «كان متفنّناً فصيحاً لسنّاً، وكان الأغلب عليه حفظ الحديث والأنحاء واللغة والآداب، وكان عارفاً بالتفسير، شاعراً مفلّحاً، وكان سُنيّاً، وكان له

(١) «لمحات الأنوار» (٣: ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٨٤، ١٣٨٥)، وكذلك لابن العسال رواية عن

ابن ميمون في «فهرسة المنتوري» (ص ٢١٥، ٢٣٥).

(٢) نقله ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٣٥٣).

مجلس حفيل يُقرأ عليه فيه التفسير، وكان يتكلم عليه، وينص من حفظه أحاديث كثيرة، وكان منقبضاً، متصاوناً يلزم بيته، وكان قد استقضى بطلبيرة بعد أبي الوليد الوقشي قديماً^(١).

وقال أبو القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقي الملاحى (ت ٦١٠هـ) في كتابه «تاريخ علماء البيرة»: «كان فقيهاً جليلاً، زاهداً، متفتناً، فصيحاً لساناً، الأغلب عليه حفظ الحديث والآداب والنحو، حافظاً، عارفاً بالتفسير، شاعراً مطبوعاً، كان له مجلس، يقرأ عليه فيه الحفظ والتفسير، ويتكلم عليه، ويقص من حفظه أحاديث، وألف في أنواع من العلوم، وكان يعظ الناس بجامع غرناطة، غريباً في قوته، فذاً في دهره، عزيز الوجود»^(٢).

وقال ابن الأبار في ترجمة أبي إسحاق الإلبيري السابق الذكر ضمن شيوخ المؤلف: «وكان من أهل العلم والعمل، شاعراً مجوداً، وشعره مدون، وكله في الحكم والمواعظ والإزهاد، ومسلكه سلك أبو محمد بن العسال الطليطلي، وكانا فرسي رهان في ذلك الزمان صلاحاً وعبادة»^(٣).

وقال ابن سعيد المغربي (ت ٦٨٥هـ): «زاهد طليطلة المشهور بالكرامات وإجابة الدعوات»^(٤).

وقال لسان الدين بن الخطيب: «الصالح المقصود الثربة، المبرور البقعة، المفزع لأهل المدينة عند الشدة»^(٥).

(١) «الصلة» (ص ٢٧٦).

(٢) نقله ابن الخطيب في «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٣٥٣).

(٣) «التكملة لكتاب الصلة» (١: ١١٩).

(٤) «المغرب في حلى المغرب» (٢: ٢١).

(٥) «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٣٥٣).

ومن نشر ابن العسال ما افتخر به أهل الأندلس، وهو قوله: «انظر إلى الدنيا فإن أبصرتها شيئاً يدوم، فاغد منها في أمان إن يساعدك النعيم، وإذا أبصرتها منك على كره تهيم، فاسل عنها واطرحها وارتحل حيث تقيم»^(١).

تلا مئذه :

رتبتهم على حروف المعجم:

- إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم بن أحمد الغساني من أهل المرية، يكنى: أبا إسحاق (توفي نحو ٥٠٠هـ)^(٢).

- أحمد بن طاهر بن علي بن عيسى بن محمد الأنصاري الخزرجي، يكنى: أبا العباس (ت ٥٣٢هـ)^(٣).

- أحمد بن محمد بن عمر التميمي، من أهل المرية، يكنى: أبا القاسم، ويعرف بابن ورد (ت ٥٤٠هـ)، لازم ابن العسال وهو آخر من روى عنه^(٤).

- عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد أبو زيد بن الصقر الأنصاري، بلنسي المولد، سكن المرية وفاس، ومات بمراكش سنة ٥٢٣هـ^(٥).

(١) «فضائل الأندلس وأهلها» (ص ٤٧). (٢) «التكملة لكتاب الصلة» (١: ١٢١).

(٣) «التكملة لكتاب الصلة» (١: ٤٣).

(٤) «الإحاطة في أخبار غرناطة» (١: ٦٠)، وروايته عن ابن العسال في كتاب «الآثار المروية في الأطعمة السرية» لابن بشكوال، رقم: ١٦ (ص ١٢٣)، وشيخ ابن العسال فيه هو محمد ابن عبد السلام، وهو ابن شق الليل المتقدم، وكذلك في «الفوائد المنتخبة والحكايات المستغربة»، رقم: ١١١٢ (٢: ٧٠٩)، وشيخ ابن العسال فيه هو القاضي عبد الرحمن بن عيسى، وهو أبو زيد بن الحشا المتقدم.

(٥) «جذوة الاقتباس» لابن القاضي (٢: ٤٠٨)، والغريب أنني لم أجده لا في «الصلة» لابن بشكوال، ولا في «التكملة» لابن الأبار، ولا في «صلة الصلة» لابن الزبير، ولا في «الذيل والتكملة» لابن عبد الملك.

- عبد الصمد بن أحمد بن سعيد بن عمر، من أهل جيان، يكنى: أبا محمد، قال ابن الأبار: وجدت بخطه السماع منه لـ «الموطأ» في العشر الوسط لمحرر سنة ٥٣٥هـ^(١).

- محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكرياء، من أهل المرية وقاضيه، يُعرف بابن الفراء، يكنى: أبا عبد الله، استشهد بقتندة في ربيع الأول سنة ٥١٤هـ^(٢).
- يحيى بن خلف بن نفيس أبو بكر الحميدي الغرناطي، يُعرف بابن الخلف (ت ٥٤١هـ)^(٣).

آثاره العلمية :

للمؤلف أوضاع عدة، رواها عنه مجملًا ابن خير في «فهرسته»، فقال: «تأليف أبي محمد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبي، ويُعرف بابن العسال رحمه الله، وجميع ما له من منشور ومنظوم في الزهد وغيره وجميع رواياته عن شيوخه رحمهم الله، حدثني بذلك كله الشيخان الجليلان: أبو القاسم أحمد بن محمد بن عمر بن ورد التميمي، والمقرئ أبو بكر يحيى بن خلف بن نفيس الحميدي، ويُعرف بابن الخلف رحمهما الله، كلاهما حدثني عنه»^(٤).

ثم ذكر منها كتابًا واحدًا، وهو: كتاب «الهداية إلى سبيل العناية»: في الزهد والرقائق وفضائل الأعمال وغير ذلك من العلوم، وهو كتاب جليل لا نظير له في علم التذكير^(٥).

(١) «التكملة لكتاب الصلة» (٣: ١١٤). (٢) «الصلة» لابن بشكوال (ص ٥٤٢).

(٣) «التكملة لكتاب الصلة» (٤: ١٠٧)، وروايته عن ابن العسال في «فهرسة ابن خير» (ص ٣٩٨).

(٤) «فهرسة ابن خير» (ص ٣٩٨)، ومن طريقه المتتوري في «فهرسته» (ص ٢٧٦).

(٥) رواه ابن خير في «فهرسته» (ص ٢٥٨).

ومنها كذلك: كتاب «التوصل إلى معرفة حقائق المفسرين»^(١).

ومنها أيضًا: رسالة في تفسير قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]^(٢).

ومنها أيضًا هذا الكتاب الذي سيأتي الكلام عليه في المبحث الثاني إن شاء الله.

شعره :

قال لسان الدين بن الخطيب: «وشعره كثير، ومن أمثل ما روي منه قوله:

لَسْتُ وَجِيهًا لَدَى إِلَهِي فِي مَبْدَأِ الْأَمْرِ وَالْمَعَادِ
لَوْ كُنْتُ وَجَهَا لَمَا بَرَّانِي فِي عَالَمِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ^(٣)

وقال ابن سعيد الأندلسي (ت ٦٨٥هـ) وقد ذكر طليطلة وعلماءها في المئة الخامسة: «الفقيه الزاهد أبو محمد عبد الله بن العسال، هو القائل لما استولى الفرنج على طليطلة:

يَا أَهْلَ أَنْدَلُسِ خُتُّوا مَطِيئَكُمْ فَمَا الْمُقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْعَلَطِ

- (١) رواه الغافقي الملاحى من طريق ابن ورد عن المؤلف في كتابه «لمحات الأنوار» (٣: ١٣٩٠).
- (٢) «كشف الظنون» لحاجي خليفة (١: ٨٥٥) بناء على أنه مكنى عنده بأبي محمد، وفي «لمحات الأنوار» للغافقي (١: ١٥) ما نصه: «وما أعلمت في أوله هكذا: (عس)، فمن كتاب أبي بكر محمد بن العسال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾، ولعله أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد العسال الأصبهاني (ت ٣٥١هـ). «تاريخ الإسلام» للذهبي (٨: ٣٨)، أو أبو بكر محمد بن عبد العزيز بن محمد الأنصاري من أهل المرية، يُعرَف بابن الغفاري وبابن العسال، أخذ عن أبي القاسم بن ورد. «التكلمة لكتاب الصلة» (٢: ١٧)، أو أبو بكر محمد بن عبد العزيز العسال الأصبهاني، روى عن أبي نعيم صاحب «الحلية». «تاريخ الإسلام» للذهبي (٣٤: ٣٤٧).
- (٣) «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٣٥٣).

الثوب يُنسل من أطرافه وأرى ثوب الجزيرة منشولا من الوسط^(١)

وكان الذي يملك طليطلة وأعمالها في ذلك الوقت الأمير أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن إسماعيل بن عامر بن مطرف بن موسى بن ذي النون، وكان أقدم ملوك الأندلس رياسة، وأشرفهم بيتا، وأحقهم بالتقدم، تلقب بالمأمون^(٢)، وكان أبوه إسماعيل هو الذي تغلب على طليطلة من قبل، واستبد بملكها أول الفتنة، ولم يزل أبو الحسن هذا يملك طليطلة وأعمالها إلى أن أخرجه عنها الأذنفش، واستولى عليها النصارى في شهر سنة ٤٧٨ هـ^(٣)، فهي قاعدة ملك النصارى إلى وقتنا هذا^(٤).

وقال ابن العسال أيضا:

أَعِنْدُكُمْ عِلْمٌ بِأَنِّي مُتِيْمٌ وَإِلَّا فَمَا بَالُ الْمَدَامِ تُسْجِمُ؟
وَمَا بَالُ عَيْنِي لَا تُغْمَضُ سَاعَةً كَأَنِّي فِي رَعِي الدَّرَارِي مُنْجَمُ؟^(٥)

(١) «رايات المبرزين وغايات المميزين» لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي (ص ١٤٠، ١٤١)، وذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (٥: ٢٨) هذه الأبيات لابن العسال بلفظ آخر، وهو:

خُشُوا رَوَاجِلَكُمْ يَا أَهْلَ أَنْدَلُسٍ فَمَا الْمَقَامُ بِهَا إِلَّا مِنَ الْغَلَطِ
السَّلَكُ يُنْشَرُّ مِنْ أَطْرَافِهِ وَأَرَى سَلَكَ الْجَزِيرَةِ مَشُورًا مِنَ الْوَسَطِ
مَنْ جَاوَزَ الشَّرَّ لَمْ يَأْمَنْ عَوَاقِبُهُ كَيْفَ الْحَيَاةُ مَعَ الْحَيَاتِ فِي سَفَطِ؟

(٢) ذكر ابن الفوطي أنه اشتغل بالخلاعة والمجانة، ومال على النصارى بالمهادنة، وامتدت يده إلى أموال الرعية بالمصادرة. «معجم الألقاب» (٣: ٣٠٢).

(٣) ضبط ابن الأبار هذا التاريخ تحقيقا، فقال: وكان تغلب الروم على طليطلة يوم الأربعاء لعشر خلون من المحرم سنة ثمان وسبعين وأربع مئة. «التكملة لكتاب الصلة» (١: ٢٩).

(٤) «المعجب في تلخيص أخبار المغرب» لعبد الواحد المراكشي (ت ٦٤٧ هـ) (ص ٦٠).

(٥) «نفح الطيب» (٤: ١٣٥).

وقال أيضًا:

أَيَا مَنْ غَدَا جَاهِلًا نَاسِكَا إِنَّ أَحْيَيْتَ إِلَّا تُرَى هَالِكَا
فَأُمُّ إِمَامٍ الْهُدَى مَالِكَا وَلَا تَكُ مَذْهَبَهُ تَارِكَا
فَمَذْهَبُهُ نَاشِرٌ مَنْ كَفِنَ لِمَنْ كَانَ فِي جَهْلِهِ قَدْ دُفِنَ
إِلَهِي يَا مَنْ إِلَيْهِ الْقَضَا عُيَيْدُكَ يَا مُلُ مِنْكَ الرِّضَا
وَيَسْتَغْفِرُ الْآنَ عَمَّا انْقَضَى فَهَبْهُ لَهُ وَاعْتَفِرْ مَا مَضَى
وَحُلَّصَهُ مِنْ مُوبِقَاتِ الْفِتَنِ لَدَى حَشَرِهِ مَعَ أَهْلِ السُّنَنِ^(١)

وقال أيضًا:

وَلَقَدْ زَمَانَا الْمُشْرِكُونَ بِأَسْهُمٍ لَمْ تُخْطِ لَكِنْ شَأْنُهَا الْإِصْمَاءُ
هَتَكُوا بِخَيْلِهِمْ قُصُورَ حَرِيمِهَا لَمْ يَيْقَ لَا جَبَلٌ وَلَا بَطْحَاءُ
جَاسُوا خِلَالَ دِيَارِهِمْ فَلَهُمْ بِهَا فِي كُلِّ يَوْمٍ غَارَةٌ شَعْوَاءُ
مَاتَتْ قُلُوبُ الْمُسْلِمِينَ بِرُعْبِهِمْ فُحْمَاتُنَا فِي حَرَبِهِمْ جُبْنَاءُ
كَمْ مَوْضِعٍ غَنَمُوهُ لَمْ يُرْحَمْ بِهِ طِفْلٌ وَلَا شَيْخٌ وَلَا عَذْرَاءُ
وَلَكَمْ رَضِيعٌ فَرَّقُوا مِنْ أُمِّهِ فَلَهُ إِلَيْهَا ضَجَّةٌ وَبَغَاءُ
وَلَرُبَّ مَوْلُودٍ أَبْوَهُ مُجَدَّلٌ فَوْقَ الثَّرَابِ وَفَرَشُهُ الْبِيدَاءُ
وَمَصُونَةٍ فِي خِدْرِهَا مَحْجُوتَةٌ قَدْ أَبْرَزُوهَا مَا لَهَا اسْتِخْفَاءُ
وَعَزِيزٌ قَوْمٌ صَارَ فِي أَيْدِيهِمْ فَعَلَيْهِ بَعْدَ الْعِزَّةِ اسْتِخْدَاءُ
لَوْ لَا ذُنُوبُ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْتَهُمْ رَكِبُوا الْكِبَائِرَ مَا لَهْنُ خَفَاءُ^(٢)

(١) رواه عنه أبو الطاهر السلفي في «معجم السفر» (ص ٢٢٣)، وقد وهم رحمه الله في رفع نسب المؤلف.

(٢) لشدة ما كان الجهر بالذنوب، وانتشار الفواحش علناً سبب الهلاك، وهو ما أشار إليه النبي عليه السلام في حديث عائشة: «أنهلك وفينا الصالحون؟ نعم إذا كثر الخبث»، وشرطه: =

مَا كَانَ يُنْصَرُّ لِلنَّصَارَى فَارِسٌ أَبَدًا عَلَيْهِمُ فَالذُّنُوبُ الدَّاءُ
فَشِرَارُهَا لَا يَخْتَفُونَ بِشَرِّهِمْ وَصَلَاحُ مُتَحِلِّي الصَّلَاحِ رِيَاءٌ^(١)

هذا ما وقفت عليه من شعر ابن العسال، كما أنه قد كانت له عناية بشعر غيره، فمن ذلك روايته لشعر الحافظ الفقيه المحدث الخطيب أبي جعفر أحمد بن عمرو بن منصور الإلبيري (ت ٣١٢هـ)^(٢)، وروايته لشعر أبي إسحاق الإلبيري المتقدم ضمن شيوخه^(٣).

وفاته :

قال لسان الدين بن الخطيب: «توفي رحمه الله يوم الاثنين لعشر خلون من رمضان عام سبعة وثمانين وأربع مئة، وألحد ضحى يوم الثلاثاء بعده بمقبرة باب البيرة بين الجبانتين، ويُعرف المكان إلى الآن بمقبرة العسال، وكان له يوم مشهود، وقد تيف على الثمانين، رحمه الله، ونفع به»^(٤).

فُسِّمَتِ المقبرة التي دُفِنَ فيها باسمه الذي عُرف به، وقد زارها أبو الحسن علي بن موسى بن سعيد المغربي الأندلسي (ت ٦٨٥هـ)، قال عند ذكره لابن العسال: «وهناك قبره مكرم مزور إلى الآن، وقد زرته»^(٥).

وممن دُفِنَ بهذه المقبرة بعد قرون من دفن المؤلف فيها: محمد بن محمد بن عبد الرحمن التميمي بن الحلقاوي، من أهل تونس، يُكنى: أبا عبد الله، نزيل غرناطة،

= الجهر به، وإلا فإن كان مستورا فلا يزال الناس في خير وعافية.

(١) «الروض المعطار في خبر الأقطار» (١: ٩١)، وقد ذكر هذه القصيدة لما سقط حصن بربرشتر بأيدي الروم سنة ٤٥٦هـ.

(٢) «برنامج الوادي آشي» (ص ٣٠٠). (٣) «فهرس المتتوري» (ص ١٩٥).

(٤) «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٣٥٣). (٥) «المغرب في حلى المغرب» (٢: ٢١).

ويُعرَف بالتونسي وبابن المؤذن ببلده، قال ابن الخطيب: «تُوفي شهر ربيع الثاني عام خمسة عشر وسبع مئة، وكان الحفل في جنازته عظيمًا... وبقي القراء يقرؤون القرآن عليه مدة طويلة... وقبره بباب البيرة عن يمين الخارج إلى مقبرة العسال، معروف هنالك»^(١).



(١) «الإحاطة في أخبار غرناطة» (٣: ٢٠٥).

المطلب الثاني التعريف بالكتاب

عنوانه :

عنوان الكتاب كما ورد في نسخة خزانة الأعظم بوزان، وخزانة علال الفاسي بالرباط هو: «الناهي عن شهود الملاهي وارتكاب المناهي»، ووقع في نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش: «الناهي» بدل «المناهي»، وهو تحريف ظاهر.

موضوعه :

موضوع هذا الكتاب كما يظهر من عنوانه: هو التحذير من ارتكاب ما نهت عنه الشريعة الإسلامية، ولا سيما ما جاء في تحريم اللهو الباطل من السماع والمعازف والموسيقى، وما ينجرُّ إلى ذلك من بيان عداوة الشيطان للإنسان ومكره به، وذكر حبائله من النساء والأموال، والنهي عن الاستعداد لينائر والميلاد والعنصرة، وذكر أهل الأهواء والأعداء للدين، وأصحاب الدعاوي الذين تشبهوا بأهل الزهد والورع، وبيان حقيقتهم، والكلام على ضرب الخط وأنه من الأمور المحظورات، وغير ذلك مما يجده القارئ لهذا الكتاب من المباحث المفيدة المجموعة، والجمل السديدة المسجوعة.

منهج المؤلف فيه :

سلك المؤلف في هذا الكتاب مسلك الوعظ والإرشاد، ونهَج طريق التذكير والاقتصاص، بأسلوب جمع فيه بين الترغيب والترهيب، وكذلك عرّف المؤلف كما

تقدم في ترجمته، فقد كان يعظ الناس بجامع غرناطة، ويقص من حفظه أحاديث، والمقصود بالأحاديث: سائر الكلام الحسن الذي يتضمن فوائد وحكايات، وأخباراً وروايات، وقد يكون بعض ذلك من القرآن الكريم، وحديث النبي عليه الصلاة والسلام، مع التفسير والشرح والتقريب.

فهذا الكتاب خرج مخرج الإملاء كما هو واضح من اللغة السهلة المستعملة فيه، أملاه ابن العسال في أحد مجالسه بجامع غرناطة بعدما انتقل إليها قادماً من طليطلة، فقيده عنه بعض تلاميذه وكتبوه عنه، فصار بعد ذلك كتاباً، وهذا أمر معروف عند بعض علماء الأندلس الذين كانوا يعقدون مجالس للإملاء، فتأتي هذه المجالس بعد تقييد التلاميذ لها كأنها كتب مصنفة، وممن عُرف بذلك الإمام ابن العربي الذي أملى كتابه «أنوار الفجر» في التفسير على بعض تلاميذه، والإمام السهيلي الذي أملى كتابه في النحو «نتائج الفكر»، وكتاب «النبذ والمعلقات» في علوم شتى، فصارت هذه الأمالي بعد التقييد كتباً^(١).

قال المؤلف في مقدمة كتابه: «فاعلم يا أخي أنني نظرت فيما يفعله الجهال والعوام، وما أحدثوا من الأمور والبدع من الملهي، وارتكاب المناهي واللعب، فصنفت هذا الكتاب مختصراً جامعاً مبيناً، إن تأملته وجدت إن شاء الله تعالى نفعه». والمقصود أنه صنّفه إملاءً كما تقدّم.

دلائل صحة نسبته إلى المؤلف :

لم يختلف في نسبة هذا الكتاب في النسخ الثلاث المعتمدة في التحقيق إلى المؤلف، فقد جاء في أول نسخة خزانة المسجد الأعظم بوزان، وخزانة علال الفاسي

(١) أشرت في مقدمة تحقيقي لكتاب «النبذ والمعلقات» للسهيلي إلى هذا الأسلوب من التصنيف.

بالرباط ما نصه: «كتاب الناهي عن شهود الملاهي وارتكاب المناهي، تأليف: الفقيه الإمام أبي محمد عبد الله بن فرج الأندلسي المعروف بالعسال رحمه الله».

وجاء في نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش ما نصه: «كتاب الناهي عن شهود الملاهي وارتكاب المناهي، مما عني بجمعه وتأسيس قواعده ومبانيه الشيخ الفقيه الورع الزاهد أبو محمد عبد الله بن فرج العسال الأندلسي رحمه الله تعالى ورضي عنه».

كما أن اسم المؤلف ورد صريحاً في أثناء الكتاب، على عادة بعض العلماء الذين يبدؤون في أثناء كتبهم كلامهم على معنى ما من تفسير آية، أو شرح حديث، أو تنبيه على شيء بقولهم: قال فلان، أو: قال أبو فلان، كالشيخ أبي محمد بن أبي زيد، والقاضي أبي بكر بن العربي.

ونص ما نجد في موضع من أثناء هذا الكتاب ما يأتي: «قال الفقيه أبو محمد عبد الله بن فرج العسال رحمه الله: الحمد لله الذي شرّح صُدُورَ أوليائه لِلتَّصْدِيقِ، وَرَوَّحَ قُلُوبَهُمْ بِصَحَّةِ اليقينِ والتحقيقِ، وَأَنْقَبَ أَلْبَابَهُمْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ، وَتَوَلَّاهَا بِحُسْنِ كِفَايَتِهِ».

والدعاء للمؤلف بالرحمة من صنيع النساخ كما هو معلوم.

ومن الدلائل الموضوعية على صحة نسبة الكتاب: أن مؤلفه كان عارفاً بالتفسير، شاعراً مقلّماً كما تقدّم في ترجمته، وهو ما نجده أمراً واضحاً في هذا الكتاب، من تفسير للآيات القرآنية بكلام أصيل في بابه غير منقول عن غيره، ومن أشعار كثيرة بعضها لا وجود له في غير هذا الكتاب.

ومن دلائل صحة نسبة الكتاب: رواية مؤلفه قولاً لسحنون الفقيه من طريق أبي الفرج عبدوس بن محمد الطليطلي (ت ٣٩٠هـ)، ولا وجود لهذه الرواية إلا في

هذا الكتاب على كثرة ما بحثت عنها، ولا شك أن ابن العسال لم يدرك عبدوس بن محمد؛ لأنه وُلِدَ بعد وفاته، ولكنه روى عنه بواسطة شيخه أبي محمد عبد الرحمن بن محمد بن عباس الأنصاري الطليطلي، يُعرَفُ بابن الحصار (ت ٤٣٨ هـ)؛ لأنه هو الذي ثبتت روايته عن ابن عبدوس، وأكد أجزم أنه المقصود في قول المؤلف: قال: أخبرنا عبدوس بن محمد، قال: حدثنا محمد بن عيسى، قال: أخبرنا محمد بن خالد بن يزيد: قال ابن وضاح قال: قلت لسحنون: إن العالمين عندنا إذا كان أعياد النصارى قالوا للصبيان: أتحنفونا ببيض وهدايا ونطلقكم إلى أهليكم.

على أن الكتاب لم يسلم من بعض الزيادات عليه، التي ظنها بعض النساخ منه، فأدرجوها في المتن، ولمثل هذا نظائر في التراث معلومة، ومن آخرها كتاب «المفيد» في الفقه والسنن لأبي مروان بن المش (ت ٤٣٦ هـ)، فقد وقعت في نسخه عدة زيادات لعلماء أتوا بعده، والشيء نفسه نجده في النسخة الوحيدة التي وصلتنا من كتاب «التلقين» لأبي محمد الشارقي (ت ٤٥٦ هـ)، وذلك كله لا يقدر البتة في صحة النسبة لأصول هذه الكتب، غاية ما في الأمر: أن يستطيع المحقق تمييز هذه الزوائد، ومن حسن حظ هذا الكتاب ألا توجد فيه إلا زيادتان كلتاهما شاهدة على نفسها بأنها ليست من الكتاب، وإنما هما من الناسخ، فأما الزيادة الأولى فقد ميزها من زادها بعنوانها: «فصل يذكر...»، وبخاتمتهما: «انتهى الكلام لابن رشد رحمه الله»^(١)، وأظن الناسخ الأول لهذه الزيادة أحد تلاميذ المؤلف الذين حضروا مجلسه وقيدوا عنه كلامه، فبدا له أن يزيد هذه الفتوى لابن رشد؛ لأن لها علاقةً بالموضوع الذي عالجه المؤلف عند حديثه عن ضرب الخط وأنه من الأمور المحظورات.

(١) هذه الفتوى منشورة ضمن «فتاوى ابن رشد» (١: ٢٤٩، ٢٦١)، ولذلك لم أشأ إثباتها في موضعها من الكتاب كما صنعت في الزيادة الثانية.

وأما الزيادة الثانية، فهي قول الزائد الذي جعله الناسخ مدرجاً في الكتاب: «واعلم أن هذا الشرح الذي تكلم به الفقيه رحمه الله وفسره، إنما أراد به السلف الصالح وأهل التحقيق من الأول رضي الله عنهم؛ لأنهم كانوا على الكتاب والسنة، وكان لهم في تلك الطريقة مشايخ وعلماء مثل الجنيد وشبهه رضي الله عن جميعهم، ونفعنا بهم.

قال الشيخ الفقيه الجليل الفاضل أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ رحمه الله تعالى في المعنى هذه الآيات:

ذَهَبَ التَّصَوُّفُ وَامْتَحَتْ أَزْمَانُهُ وَمَضَى التَّخَوُّفُ وَانْقَضَى إِخْوَانُهُ...».

ولا شك أيضاً أن هذه الزيادة التي أثبتتها بين معكوفتين في موضعها من الكتاب لفائدتها، وعدم وجودها في غيره، هي أيضاً لأحد تلاميذ المؤلف الذين قيدوا عنه هذا الكتاب في مجلس إملائه، كما يدل على ذلك عبارة: «الشرح الذي تكلم به الفقيه رحمه الله»، وهو نفسه الذي زاد الزيادة الأولى.

وبالجملة: فالكتاب ثابت النسبة إلى المؤلف بهذه الأدلة والقرائن، ومن يؤمن بالله يهد قلبه، وربّي على صراط مستقيم.



وصف النسخ المعتمدة في التحقيق

أولاً: نسخة خزانة المسجد الأعظم بتازة: برقم: ١٠٩٥: ٢، نسخة تامة مصححة، بها آثار الرطوبة، مكتوبة بخط مغربي زمامي، تقع ضمن مجموع من اللوحة ٢٦: أ إلى ٦١: ب، عدد أوراقها: ٣٥ ورقة، نسخها موسى بن علي بن موسى الوزاني، الذي فرغ منها عشية يوم الثلاثاء في شهر الله المعظم شهر المحرم، مفتح سنة ست وثلاثين وتسعمئة^(١).

ثانياً: نسخة مؤسسة علال الفاسي بالرباط: برقم: ١٥٢ع، نسخة تامة تقع في ٥١ لوحة، كتبت بخط مغربي نسخ واضح وجميل، وعليها بعض التصحيحات، خالية من بيان الناسخ وتاريخ النسخ، لكن يظهر أن تاريخها متأخر عن النسخة السابقة.

ثالثاً: نسخة خزانة ابن يوسف بمراكش: برقم: ٢٦٠: ٨، نسخة ناقصة في آخرها تقع ضمن مجموع، عدد أوراقها ٣٣، كتبت بخط مغربي جميل قريب من الخط الأندلسي، يظهر أن تاريخ نسخها يرجع إلى العاشر.



(١) الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الجامع الأعظم بوزان، رقم: ١١١٥.

نماذج من صفحات
المخطوطات العنقودية في التحقيق

فقد انا حق الشريعة اخذ الاجر الرتبة والنشر بكتاب الله واسماها فلا تتعدى على العمل الذي
 به من يقرب سماء الله ويقرب على الجانين بدو الغنى له وقد نصرت ملك خير الله عنده
 مع الجنة المحلنن بما يذكر من الفضل والعزائم وقد سئل عن ذلك فقال له لا ينفعك الله
 فيزوه من غير الله على الجحيم وهذا الذي باعنا له في ذلك العلم ان ينيل عليه السلام و
 هذا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله من بينة العلم قد نصرت ذلك ولا يترك محله ملام هذا
 كرامة عن الخنصر الكبير لك ولما هلك الذي يستغلز به على التباين عده النجدة
 على اشكال الدار به وينتظمه باسماء اصحابها عليها ينحصر بها تلك الرحمة من قبل
 الاسماء لتغير بها الاشياء والقياسات وينعمر انما تنزع عنهم ويرغب منها ان تعين على
 شيئا والعباد بالله من هذا الصنف ومن افعالهم واقوالهم يستقيمون الروحانية على
 ما لا يلا من البصائر وينعمر انهم يستخرجون بها الركائز وهي الخنصر وجميع الخفيات وال
 القبيات وهذا الصنف خرجوا بها عن الشريعة ولا يخرج من الدلائل القابضة ويقرب اليها
 هذا اذا وجه هذه السنة الاتية فذا فهو كمال الاشياء وتعود بالله من الخنصر وهو البهائم
 من سعيهم وحدهم واخذوا فوهموا وبعالهم فقد ضلوا على الفبيح اخبروا عنها الله
 واباك من البعد والظلمة واعدا ربنا عن كبرياء الكتاب والسنة وتعود بالله من شر الاشياء
 عماله واجبالهم واقوالهم واتباع سبلهم الا اذهبه الله من الدار ويبصر القرار منه ويضد على
 الله على سيدنا محمد وآله وعلمته الا في ميولهم واجد الظاهر ان مهان الله تميز وسلم
 تسليمهم الكثير والله سبحانه وتعالى المستور ان به فبقا لا فناء ولا امتنا لمامور الله وتوكل الاجام
 على انك لا يمحضون الله ويعلمنا ما يعرفنا من اخبرته وتوايها بعدنا من سخطه وعقابه
 انهم والحمد لله على يد العبد الذليل من يحيى بن قتيبة الله الله موسى بن علي بن موسى بن جعفر
 الله به وغيره ولولا الله به وجميع المسلمين صلى الله على سيدنا محمد وجميع آل الله وحبيبه واتباعه
 عشية يوم الثلاثاء في شهر الله المحرم سنة ثمان مائة وثمانين وستمائة
 والحمد لله رب العالمين
 شعره في الامم الشريفة
 ولما انما فليح وضافتنا احيي : جعلنا الرجاء مع يعقوب تسليما
 تعلقنا من يديه بلما في نيتة : يعقوب وهو كان يعقوب اعظمهم
 فبما نلتنا يعقوب عن الانبياء تنزل : بجودك تعقوا مائة وتطشروا
 ولو شئت لم يغوا للمعين العلي : وكيع وقد اغوا صديقك ادم
 صلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وحبيبه وسلم تسليمنا خيرا
 رضى عن التباينين وتابع التباينين هو الحسن بن ابي روم الذي وحشرنا من التباينين

مؤسسة علمي القاد

الروحانية تلك الامور التي فيها الاشياء الغيبية وبرهانها انما هو انهم
منها ان تعينهم على الاشياء والاعمال بالية من هذا الصنف ومن افعالهم ما يتغير
بالجنون الروحانية على ما ارادوا من الفساد فيكون يحسونه انهم يستخرجون بها الى كل واحد
الكنوز وجميع الخفيات والغيبات وهذا الصنف خرجوا بها عن الشريعة وكل ما اخبرهم
الكتابيات الغريبة ويقولونكم عند اذنا هذه، التستمر ايتها كذا بعد كلامه بالاشهر ان
ونعوض بالية من الحق لان وفول البهتان من سمعهم وصنفهم واخذوا فوالله وما
يفقد ظل وغوى وعلى الفصح احتوى عكسنا الله وايد كذا من البدع والضلالة والمعاد مبتلا
بخطب في الكتاب والتستمر ونعوض بالية من نشر الاشياء واعمالهم وافعالهم
وانتاع مسيلهم اذ اهمة الله سوء الخلق ويقيم الفزار بينه ومضله وحلى الله على سيدنا
وموفا ناعمة والله وحكمة الله اما كرمير وازواجه الكاهنات امهات المؤمنين وسليته
كثيرا والله سبحانه وتعالى المستولون به يغفلوا للقبول والامتنان لما سوت
وزك الدجاج على ارضه في حضور الله ويعلمنا ما يفهمنا من اجرة وثوابه ويبدأ عدلا
سبحكم وعقابكم

اتمنى وكفى وسلك على عبادة الزبير
امطعمي والحمد لله رب العالمين

مؤسسة علال الفاسي
الكتاب
الرباط

مؤسسة علال الفاسي

الفهرست از حضرت علامه العبد المذنب

كتاب الثاني في شرح مشهور الملايعة
واو كتاب الملايعة في تفسير التكميل الاندلسي

الحمد لله الذي من علينا بالإسلام. ومعه أنا محمد بن عبد الله عليه
السلام والسلم. ونعوذ بالله من الظان الخبيث الذي وسعوا له صدور الخلد
ويزمونه ما هم من الخلد. ومما يوجب العجز والشك أن لا إله إلا الله
الله وحده لا شريك له الخلقان المتان. ذو الحكمة والسلطان. وانفرد
بالخلق والنزول. ولله أن يحسن العبد ورؤسولة التبوء
بالحق بشيرة أو نذير. بالثبوت والنفذ. أن صل الله عليه وسلم
إليه ما اختلف المسلمون. وتكثر الحجية أن وتسلم تسليمًا كثيرًا
وبعد عظمنا الله وإيلك بن بيعة. وحملنا من العباد من حجته
الشديد من شيمه ورعيه. فاعلم يا أخيه باني نظرة
بما يتغلب الخلق العوان. وما أخذوا من الزامهم والبيع. حتى
أهل الجب. وأزيتك من التاج. والديعة. **فصل**
في الكتاب المختص بأعيان سبيلنا. في الله وحده. وحدث ابن سلق
الله تعالى تبعه. فاعلم وحكم الله أن الظن أن الله تعالى
كثير. وأشد رفاً وأفجع. فزرها عند الله ما لم تشك بالكتاب
والشئ. **فصل** الله تعالى والإشراك. يكون بالكتاب بعد وفاء
الضاد. أن لا يضيع آخر المظيع. **و** **اعلم** أن ما علمت

ما لك يا الما جيل البغاة من وشعة ك على القيان ونعمائنا
 القيان منغى وامضى وايم قايى بلا تقوى زلاتك ولا تطع
 ما تعلم يا بايخى يعنى الما جيل البغاة فقال رسل الله خل الله
 عليه لا تقاوت يا مؤيدا وانا كل طعانك يا بايخى
 واغنى ان الحقايق الطعوم يستقيم على ثلاثه امسليم
 قلوب وقلوب وقلوب وقلوب وقلوب وقلوب وقلوب وقلوب
 بالله لا يربى به نعم امين قلوب ولا تقوى ولا مبركة ولا ربه
 مثل اليك يظن عليه فاعله بالحقك بالثبنا وناخه بالحقك
 وقلوب هو الذي يضيئه من ويضيئك اخ اوييه وناخه برأ ان
 فتاوى افضل اعظم اخاء وقلوب حنة وندامة يقوم انبساطه
 على طاييه وهذا ما اعظم يعنى وجه الله تعالى مثل بها تعلم على شرب
 ما خمر والخرير وناخه علق على البضيان والباضى بالحقك
 بكل انسيان منم يلدن طاييه يقول لعنك الله الذي ساعدني على
 زنايوان غنى طاييه الله يبي اول قدم يعنى على الصم الح قنل وقنوى
 في المنار **فيسا اخي** تحت باك يا تفتقعه والصحك
 على اللاهى علمنا مايتا غلبنا سينا بلانا يا تفتقعه
 واخي انت يه راضنا تفتق لراك باللقوى والصحك
 كليم من نيك ونسب ابيك ودين وحيث حيا كل على
 ولا ذرع نيك وما حيك باعلى سمج البخور والبواحيه
 البسجه **واغنى** ان الصحك بالحقك بيه
 الوعيد **قال الله** ان قلوبنا قليل لا يتكوا دجناك
 قنم غير النبايل اما يحكم بالحقك بالحقك بيه
 نيك يا بايخى كثير ان الله تلاك شيرها ليل وعين

النَّفَقَةُ الْحَقَّةُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم
كتاب «الناهي عن شهود الملاهي وارتكاب المناهي»^(١)
تأليف^(٢)

الفقيه الإمام أبي محمد عبد الله بن فرج الأندلسي المعروف بالعسال
رحمه الله تعالى^(٣) ورضي عنه، ونفعنا به وبعلمه آمين^(٤)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.
الحمد لله الذي مَنَّ علينا بالإسلام، وهدانا بمحمد نبيه^(٥) عليه الصلاة
والسلام، ونعوذ بالله من الضلال والخذلان، وشهود الزور والبُهتان، ومن شرِّ
الأمور المُحدثات ومواقع^(٦) الفتن.
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الحنان المنان، ذو العظمة
والسلطان، والقدرة البالغة والبرهان، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله المبعوث
بالحق بشيراً ونذيراً بالنور والهدى وسور القرآن، صلى الله عليه وعلى آله

(١) في (ي): «الناهي».

(٢) في (ي): «مما غني بجمعه وتأسيس قواعده ومبانيه، الشيخ الفقيه الورع الزاهد أبو محمد
عبد الله بن فرج العسال الأندلسي رحمه الله تعالى ورضي عنه».

(٤) زيادة من (ع).

(٣) زيادة من (ع).

(٦) زيادة من (ي).

(٥) سقط من (ع).

مَا اخْتَلَفَ الْمَلَوَانِ، وَتَكَرَّرَ الْجَدِيدَانِ^(١)، وَسَلَّم تَسْلِيمًا^(٢) كَثِيرًا.

وبعد،

عَصَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ بِتَوْفِيقِهِ، وَجَعَلَنَا مِنَ الْفَائِزِينَ بِجَنَّتِهِ، الشَّارِبِينَ مِنْ تَسْنِيمِهِ وَرَجِيقِهِ^(٣).

فاعلم يا أخي أنني نظرت فيما يفعله الجهال والعوام، وما أحدثوا من الأمور والبدع من الملاهي، وارتكاب المناهي واللعب، فصنفت هذا الكتاب مختصرًا جامعًا مبينًا، إن تأملته وجدت إن شاء الله تعالى نفعه.

فاعلم رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الطُّرُقَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى كَثِيرَةٌ، وَأَشَدُّهَا وَأَعْظَمُهَا قَدْرًا^(٤) عِنْدَ اللَّهِ التَّمَسُّكُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

واعلم أَنَّ مَا جَاءَتِ الشَّرِيعَةُ إِلَّا بِإِصْلَاحِ طُرُقِ الْآخِرَةِ، وَذَلِكَ مَوْجُودٌ فِي كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، يَعْرِفُ ذَلِكَ مَنْ يَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ حَقَّ تِلَاوَتِهِ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ، ﴿فَتُخْبِتُ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

فَمَا وَجَدْنَاهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى هُدًى بَيِّنًا أَخَذْنَا بِهِ، وَاتَّبَعْنَاهُ مُؤْمِنِينَ بِهِ وَمُصَدِّقِينَ لَهُ، وَمَا لَمْ تَجِدْهُ عَلَى مَا وَصَفْتُ فَالْتِمِسْهُ فِي الثَّابِتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛

(١) الملوان: الليل والنهار، وهما: الجديدان. كذا في «أدب الكتاب» لابن قتيبة (ص ٤٢).

(٢) زيادة من (ي).

(٣) قال الله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿يُسْقَوْنَ مِنْ رَجِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَمُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٥].

(٤) في (ي): «وأعظم قدرها».

النَّاسِ مِمَّا لَيْسَ مَنْصُوصًا بَيِّنًا فِي كِتَابِ اللَّهِ، وَلَا فِي الصَّحِيحِ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، إِلَّا لِعَالِمٍ مُنْتَقِدٍ^(١) عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَصَفْنَا^(٢) إِيَّاهُ.

وَأَسْلَمَ مَا يَجْرِي فِي هَذِهِ الْكُتُبِ مِنْ هَذَا الْمَعْنَى: مَا قَدْ جَرَى فِي «مَوْطَأِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ» رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْهُ.

نُؤْمِنُ بِكِتَابِ رَبَّنَا، وَنُصَدِّقُ بِمَا جَاءَ^(٣) عَنْ نَبِيِّنَا، مُسْلِمِينَ مُتَّبِعِينَ^(٤) كَمَا أَمَرْنَا.

فَإِنْ تَبَيَّنَ لَكَ مَا وَصَفْتُ^(٥) وَتَأَمَّلْتَهُ، اسْتَبَانَ لَكَ الْحَقُّ مِنَ الْبَاطِلِ، وَالسُّنَّةُ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَالْحَسَنُ مِنَ الْقَبِيحِ، وَالسَّلَامَةُ مِنَ الْفِتْنَةِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ دِينَ الْإِسْلَامِ إِنَّمَا اجْتَمَعَ بِمَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمِنْهَا انْتَشَرَ، وَمِنْهَا مُتَّبِأُ الْإِيمَانِ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩] الْآيَةَ، يُرِيدُ: الْأَنْصَارَ. فَاجْتَمَعَ فِيهَا الْمُهَاجِرُونَ وَالْأَنْصَارُ، وَفِيهَا تَتَابَعَ نَزُولُ الْوَحْيِ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ، وَإِلَيْهَا يَأْرَزُ^(٦) بِإِخْبَارِ النَّبِيِّ ﷺ^(٧).

فَمَا عَرَفَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَبِعِلْمِ عَرَفُوهُ، وَمَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ فَبِعِلْمِ أَنْكَرُوهُ. وَأَهْلُ السُّنَةِ أَيْنَ مَا كَانُوا إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ يَرْجِعُونَ؛ لِأَنَّ أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُتَفَرِّقَةَ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ أَخَذُوا، وَإِلَيْهَا كَانُوا يَرْحَلُونَ سَائِلِينَ مُسْتَرْشِدِينَ.

(١) فِي (و): «مُنْقَدٌ»، وَفِي (ع): «مُنْقَذٌ». (٢) فِي (ي): «مَنْ وَصَفْنَا».

(٣) فِي (ع): «جَاءَ بِهِ». (٤) فِي (ي): «مُتَّبِعِينَ».

(٥) فِي (ع): «وَصَفْتَهُ». (٦) بِيَاضٍ فِي (و)، وَسَقَطَ «وَإِلَيْهَا يَأْرَزُ» مِنْ (ع).

(٧) مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ: كِتَابُ الْحَجِّ، بَابُ الْإِيمَانِ يَأْرَزُ إِلَى الْمَدِينَةِ، رَقْمٌ: ١٨٧٦. وَمُسْلِمٌ: كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا، وَأَنَّهُ يَأْرَزُ بَيْنَ الْمَسْجِدَيْنِ، رَقْمٌ: ٢٣٣٣.

فَمَنْ زَاغَ عَنْ هَدْيِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ زَاغٌ^(١)، فَاَلْمَدِينَةُ كَالْكَبِيرِ تَنْفِي^(٢) خَبَثَهَا، وَتَضَعُ^(٣) طَبِيحَهَا، بِهَذَا وَصَفَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ^(٤). وَإِذَا كَانَ هَذَا وَصَفَهَا فَلَا يَسْتَقِرُّ بِهَا إِلَّا طَيِّبٌ هُوَ الظَّاهِرُ الْغَالِبُ، وَهُوَ الَّذِي يُقْتَدَى بِهِ.

وَكَانَ آخِرَ مَنْ قَامَ بِالشُّفْعَةِ فِي الدِّينِ، وَقَيَّدَ فِيهَا، وَمَيَّزَ وَجُوبَهَا، وَبَيَّنَ مَرَاتِبَهَا، وَفَضَّلَ الْمَعْمُولَ بِهِ مِنَ الْمَتْرُوكِ، وَحَصَّلَ الْمُوثُوقَ بِهِ مِنْ أَهْلِهَا مِنَ الْمُظَنُّونِ بِهِ مِنْهُمْ، وَحَاطَ بِذَلِكَ كُلَّهُ وَأَتَقَنَهُ، الْإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وَكَانَ بَرِيئًا مِنَ الْبِدْعِ، سَالِمًا مِنَ الْحَمِيَّةِ، قَوِيًّا فِي السُّنَّةِ، بَصِيرًا بِمَا يَأْتِي وَمَا يَذَرُ، مَأْمُونًا عَلَيْهِ، وَمَوْثُوقًا بِهِ فِيهِ، عُيِّنَ بِهَدْيِ السَّلَفِ فَبَيَّنَهُ لِلْخَلْفِ، يَسَّرَهُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَا أَقَامَهُ فِيهِ فِي آخِرِ قَرْنٍ مِنَ الْقُرُونِ الْمَمْدُوحَةِ؛ فَإِنَّهُ مِنْ أَهْلِ ذَلِكَ الْقَرْنِ بِخَالِصَاتِ مِنَ الْفَضْلِ عَرَفُوهَا مِنْهُ، وَسَلَّمُوهَا لَهُ، وَأَذَاعُوهَا عَنْهُ، فَانْتَشَرَ تَنْبِيْهُهَا^(٥) لِمَنْ أَتَاهُ^(٦) بَعْدَهُ عَلَى الْاِقْتِدَاءِ وَالْاِهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ لِمَنْ يَسَّرَهُ اللَّهُ قَبُولَ ذَلِكَ، فَقَفَا أَثَرُهُ، وَاتَّبَعَ سَبِيلَهُ، وَكَشَفَ عَنْ مَذْهَبِهِ مُلْتَمَسًا لِفَائِدَتِهِ، اسْتَبَانَ مِنْ صِحَّةِ مَذْهَبِهِ مَا اسْتَبَانَهُ أَهْلُ عَصْرِهِ، وَعَرَفَ مِنْ حُسْنِ اتِّبَاعِهِ مَا عَرَفُوا، وَوَقَفَ مِنْ جَمِيلِ اقْتِدَائِهِ عَلَى مَا وَقَفُوا، فَاعْتَبَطَ بِدِرَائَتِهِ، وَاقْتَدَ بِمَيَّزِهِ، وَاسْتَمْسَكَ بِمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنْ اتِّبَاعِهِ وَاتِّبَاعِ أَصْحَابِهِ الَّذِينَ كَانُوا مُسْتَمْسِكِينَ بِمَذْهَبِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ، وَنَفَعْنَا بِهِمْ، وَحَشَرْنَا مَعَهُمْ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

(١) سقط من (ي). (٢) في (ع): «تلقى».

(٣) كذا في الأصول، ورواية هذا الحرف في «الموطأ»: «وَيَنْصَعُ طَبِيحَهَا»، وفيه روايات أخرى ليس من غرضنا تتبعها.

(٤) رواه من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: مالك في «الموطأ»، كتاب الجامع، باب ما جاء في سكنى المدينة والخروج منها، رقم: ٤.

(٥) في (ع): «تنبيهها عنه». (٦) كذا في الأصول.

فَصِّلْ

[في الطاعة والمعصية]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ مَخْلُوقَتَانِ، فَالطَّاعَةُ قَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ بِهَا، وَحَضَرَ عَلَيْهَا، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [النساء: ١٣] الآية. وَالْمَعْصِيَةُ قَضَى اللَّهُ بِهَا لَكِنْ لَمْ يَرْضَهَا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [الجن: ٢٣].

وَاعْلَمْ أَنَّ الصَّبْرَ صَبْرَانِ: صَبْرٌ عَلَى الطَّاعَةِ، وَصَبْرٌ عَنِ الْمَعْصِيَةِ، فَالصَّبْرُ عَلَى الطَّاعَةِ يَقْدِرُ عَلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَالصَّبْرُ عَنِ الْمَعْصِيَةِ لَا يُطِيقُهُ أَحَدٌ إِلَّا الْقَلِيلُ مِمَّنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ.

فَانْظُرْ مَاذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَهُ مِنَ الْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ، وَدَعِ مَا تَعَلَّقَ بِهِ الْجُهَالُ وَالْعَوَامُّ وَأَهْلُ الْبِدْعِ؛ بِأَنْ تَفْصِلَ بَيْنَ أَقَاوِيلِ الْجُهَالِ وَالْعَوَامِّ، وَأَقَاوِيلِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالِاسْتِقَامَةِ، الْعَارِفِينَ بِاللَّهِ تَعَالَى وَبِرَسُولِهِ ﷺ، فَهُمْ الْعُقَلَاءُ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَا خَاطَبَ مِنْ خَلْقِهِ إِلَّا الْعُقَلَاءَ الْعَامِلِينَ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ.

فَمِنْ الْوَاجِبِ مَنْ أَشْكَلَ عَلَيْهِ أَمْرٌ أَوْ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدِّينِ أَنْ يَسْأَلَ مَنْ (١) يَعْلَمُ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣]، وَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ لِلْجَاهِلِ (٢) حُجَّةً عَلَيْهِ، وَأَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى

(١) فِي (ي): «مَا».

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ (ي).

العلماء بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وأما أفعال العوام باتخاذ الأشياء الممنهية عنها^(١)، فاجتنب ما هم عليه من الباطل والزور، فالعامة تسود غير السيد، وتفضل غير الفاضل، وتقول بغير علم العالم، وهي^(٢) أتباع من سبق إليهم من غير تمييز بين^(٣) الفضل والنقصان، ولا معرفة للحق^(٤) من الباطل.

ثم هل ترى إذا اعتبرت ما ذكرته، ونظرت في مجالس العلماء وحلق الذكر، هل تراها إلا مشحونة، أو تشاهدها إلا مزدحمة بالخاصة في أولي العلم والفضل وذوي العقل والدين وأهل المروءة؟ وانظر إلى العامة في احتشادها وجُموعها وحميتها بالباطل بجهلها، فلا تراها الدهر إلا متبادرين مرقلين^(٥) إلى راقص دُب، أو ضارب دُف على سياسية قرد، أو ضارب خط بالرمل، أو متخرص بحب^(٦)، أو عراف - يعني: حاسبًا^(٧) - يفتري الكذب، أو متشوفين إلى لَهو مزمر، أو شين^(٨) وطنجار^(٩)، أو إلى لعب بخيال^(١٠)، (أو

(١) كذا في الأصول، والتقدير: فهي باتخاذ الأشياء ...

(٢) في (ع): «وهو».

(٣) سقط من (ع).

(٤) في (ع): «لهم بالحق».

(٥) أرقل القوم إلى الحرب إرقالاً: أسرعوا. كذا في «لسان العرب»، مادة: رقل (١١: ٢٩٣).

(٦) أي: يستعمل الحب في التخرص والتكهن.

(٧) في الأصول: «حاسب»، والمثبت من (ي).

(٨) كذا في الأصول، ولعل المقصود: عيب الناس بما يجلب الضحك، ويكون ذلك مصحوباً بالضرب على الآلة كما هو مشاهد لهذا العهد.

(٩) كذا في الأصول، ولم أجده هكذا فيما بحثت، ولعله من أسماء الملاهي.

(١٠) في (ع): «بخيول».

سِنْدِي بِجِبَالٍ^(١)، أو إلى قاصٍّ يُقْصُّ الكَذِبَ والخُرَافَات، أو إلى مُدَّعٍ جاهِلٍ مُتَمَسِّسٍ^(٢) يَدَّعِي الإرَادَةَ لِيَسْتَدْعِي بِذَلِكَ الْجُهَالَ، أو وَقُوفًا^(٣) فِي الْحَلَقَاتِ، أو تَرَاهُمْ مُجْتَمِعِينَ حَوْلَ مَضْرُوبٍ، أو وَقُوفًا عِنْدَ مَصْلُوبٍ، أو مُحَدِّثِينَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلَ الْمَضْرُوبِ، أو وَقُوفًا عِنْدَ مُحَدِّثٍ بِالْبَاطِلِ، أو مُحَدِّثِينَ^(٤) بِمِزْمَرٍ وَمِعْزَفَةٍ، وَطُبُورٍ^(٥) وَمُسْنِفَةٍ^(٦)، لَا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، وَلَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، وَلَا يُبَالُونَ أَنْ يُلْحِقُوا الْبَرَّ بِالْفَاجِرِ، وَلَا الرَّابِحَ بِالْخَاسِرِ.

وَقَدْ بَيَّنَّ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَيْثُ يَقُولُ: «النَّاسُ عَالِمٌ وَمُتَعَلِّمٌ، وَسَائِرُ النَّاسِ هَمَجٌ رَعَاغٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ، لَا يَعْباُ اللَّهُ بِهِمْ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجِئُوا^(٧) إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ»^(٨).

وَاجْتَمَعَ النَّاسُ مِنْ تَسْمِيَّتِهِمْ عَلَى أَنَّهُمْ غَوَّاءٌ، وَهُمْ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرِفُوا. وَقَدْ صَنَّفَ أَبُو عِقَالٍ الْكَاتِبُ^(٩) رَحِمَهُ اللَّهُ كِتَابًا فِي أَخْلَاقِ الْعَامَةِ، وَذَكَرَ فِيهِ الْعَوَامَّ وَمَا هُمْ عَلَيْهِ، يَصِفُ أَخْلَاقَهُمْ وَشِيَمَهُمْ

(١) سقط من (ع). والسندي نسبة إلى السند وهو معروف.

(٢) التمسيس: هو التليس والاحتيال. «لسان العرب»، مادة: نمس (٦: ٢٤٣).

(٣) جمع واقف؛ أي: أو تراهم وقوفًا. (٤) في (ي): «محدثين».

(٥) من آلات اللهو، فارسي معرب. «لسان العرب»، مادة: طنبر (٤: ٥٠٤).

(٦) في (و): «مسغفة». وناقاة مُسْنِفَةٌ: مُتَقَدِّمَةٌ فِي السَّيْرِ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ. «لسان العرب»، مادة: سنف (٩: ١٦٢).

(٧) في (ع): «يلحقوا».

(٨) لم أجد من أسند هذا الحديث مرفوعًا، والصواب وقفه على علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو جزء من وصيته لكميل بن زياد.

(٩) لعله أبو عقال سعيد بن محمد بن جريح القيرواني الكاتب الأديب. كاتب القاضي سليمان ابن عمران قاضي إفريقية. مات سنة تسع وسبعين ومئتين. «معجم الأدباء» (٣: ١٣٧٢).

وَمَذَاهِبُهُمْ وَمُخَاطَبَاتِهِمْ، وَسَمَّاهُ بِ«الْمُلْهِي»^(١)، وَذَكَرَ فِيهِ أَنَّهُ كَانَ يَبْغِدَادَ رَجُلٌ فِي أَيَّامِ هَارُونَ الرَّشِيدِ مُتَطَبِّيًا^(٢) تَتَبَّرَكَ بِهِ الْعَامَّةُ، وَتَتَشَبَّبُ بِصِفَاتِهِ عَلَى أَنَّهُ رَجُلٌ صَالِحٌ، وَكَانَ دَهْرِيًّا لَعَنَهُ اللَّهُ، يُظْهِرُ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَيَلْعَنُ أَهْلَ الْبِدْعِ، وَكَانَ يُعَرِّفُ بِالسُّنِّيِّ، تَنَقَّادُ الْعَامَّةُ إِلَيْهِ، وَتَخْضَعُ لَدَيْهِ.

فَكَانَ يَجْتَمِعُ إِلَيْهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَإِذَا اجْتَمَعُوا إِلَيْهِ وَتَبَّ قَائِمًا عَلَى قَدَمَيْهِ، فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ، إِنَّكُمْ تَقُولُونَ: لَا ضَارَّ وَلَا نَافِعَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَلَايُ شَيْءٍ إِقْبَالُكُمْ عَلَيَّ وَمَجِيئُكُمْ إِلَيَّ تَسْأَلُونِي^(٣) عَنْ مَضَارِّكُمْ وَمَنَافِعِكُمْ، وَأَنَا مَخْلُوقٌ مِثْلُكُمْ؟ الْجَوُّوْا إِلَى رَبِّكُمْ حَتَّى يَكُونَ فِعْلُكُمْ (مِثْلَ قَوْلِكُمْ)^(٤).

فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: إِي وَاللَّهِ قَدْ^(٥) صَدَقْنَا وَمَا قَالَ إِلَّا الْحَقُّ، فَإِذَا جَلَسَ وَسَكَنَ أَتَوْهُ بِالْمَاءِ فَيَصِفُّ لَهُمُ الدَّاءَ وَالِدَوَاءَ، وَيَقُولُ لَهُمْ: إِيْمَانُكُمْ ضَعِيفٌ، وَعُقُولُكُمْ خَفِيفَةٌ، وَلَوْ لَا ذَلِكَ لَتَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ كَمَا أَمْرَضَكُمْ فَهُوَ الَّذِي يُبْرِئُكُمْ، وَيَشْفِي مَرْضَاكُمْ، فَكَانَ يَقْتُلُ بِهَذَا الْكَلَامِ خَلْقًا كَثِيرًا بَتُوْهِيدِهِ^(٦) وَمُغَالَطَتِهِ^(٧) فِي مُعَالَجَةِ مَرْضَاهُمْ، وَهُوَ دَهْرِيٌّ مُعْطَلٌ.

(١) ذكره المسعودي في «مروج الذهب» (٣: ٣٦)، وكل هذا الكلام من بداية قول المؤلف: «فالعامّة تسود غير السيد» إلى آخر الفصل نقله المؤلف بتصريف من كتاب «مروج الذهب» للمسعودي (٣: ٣٤)، ومن هذا التصريف قول المؤلف عقب ذكر كتاب أخلاق العامة الذي صنّفه أبو عقّال الكاتب: «وذكر فيه أنه كان بغداد...»، مع أن هذه الحكاية ذكرها المسعودي قبل حديثه عن أخلاق العامة، ولم يشر إلى أنها منقولة من كتاب «الملهي» لأبي عقّال، فالله أعلم.

(٢) في (ي): «متطبيّا».

(٣) كذا بالأصول بحذف النون تخفيفًا.

(٤) في (ع): «كقولكم».

(٥) سقط من (ع).

(٦) كذا في الأصول، وسيأتي أيضًا في الكتاب مرتين، وفي «مروج الذهب» (٣: ٣٤): «فكان يقتل بقوله هذا خلقًا كثيرًا؛ لتزهيده إياهم في معالجة مرضاهم». ولعل المعنى: أوقعهم في وهدة وهي الحفرة.

(٧) في (ي): «ومخالطته».

فالعامةُ أتباع الباطلِ والأقاويلِ المُبْهَمة، ولولا أَنِّي أَكْرَهُ التَّطْوِيلَ والخروجَ
(عَمَّا قَصَدْنَا) ^(١) لَشَرَحْتُ مِنْ ^(٢) نَوَادِرِ الْعَامَةِ وَأَخْلَاقِهَا ^(٣) مَا تَعَجَّبُ مِنْهُ،
وَلَذَكَرْتُ مَرَاتِبَ النَّاسِ الْعَوَامِ، وَكَيْفَ تَصَرُّفُهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ، وَمَا يُجْرِي
الشَّيْطَانُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ مَا يَكِلُ بِهِ الْقَلَمُ (وَالسَّاعِدُ، وَيَتَعَجَّبُ مِنْهُ الصَّادِرُ وَالْوَارِدُ،
وَالْقَائِمُ وَالْقَاعِدُ) ^(٤).



(١) فِي (ع) بِيَاضٍ، وَضَخَّحَ فِي الْحَاشِيَةِ بِ: «الْمَقْصُود».

(٢) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٣) فِي (ع): «أَخْلَاقُهَا».

(٤) فِي (ي): «وَالشَّاهِد».

فصل وبيان

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ أَشَدَّ مَا يَأْخُذُونَ بِهِ وَآكَدَ أَعْمَالِهِمْ وَهُوَ يَجْرِي مِنْهُمْ^(١)
مَجْرَى الدَّمِّ بِاجْتِهَادِهِمْ فِيهِ وَحَمِيَّتِهِمْ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ، اللَّهُوَ بِالْغِنَاءِ عَلَى الْمِزْمَرِ،
وَالرَّقْصُ عَلَيْهِ فِي الْوَلَائِمِ وَالْأَنْكِحَةِ، وَذَلِكَ كُلُّهُ غَيْرُ مُبَاحٍ فِي نَصِّ مَالِكٍ
رَضِيَ اللهُ عَنْهُ^(٢).

وَأَكْثَرُ الْعُلَمَاءِ عَلَى وَجوبِ إتيانِ طعامِ الْوَلِيمَةِ لِمَنْ دُعِيَ إِلَيْهَا إِذَا لَمْ يَكُنْ
بِهَا مَا ذُكِرَ مِنَ اللَّهُوَ وَالْغِنَاءِ الْفَاحِشِ. ثُمَّ هَلْ يَلْزَمُ الْأَكْلُ لِمَنْ دُعِيَ إِلَيْهَا أَمْ لَا؟
فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ. وَإِنْ كَانَ بِهَا لَهُوَ خَفِيفٌ، وَلَا فِي الدَّعْوَةِ
مُنْكَرٌ، وَلَا فَرَشٌ^(٣) حَرِيرٌ، وَلَا فِي الْجَمْعِ مَنْ يُتَأَذَى بِحُضُورِهِ وَمُجَالَسَةِ^(٤)
السَّفَلَةِ وَالْأَرْذَالِ^(٥) الَّذِينَ يُزْدَرَى بِمُجَالَسَتِهِمْ، فَقَدْ رُوِيَ عَنْ ابْنِ الْقَاسِمِ
رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى: هُوَ فِي سَعَةٍ إِذَا تَخَلَّفَ لِأَجْلِ ذَلِكَ، فَإِنْ كَانَ هُنَاكَ^(٦) لَعِبٌ
وَلَهُوَ خَفِيفٌ مُبَاحٌ غَيْرُ مَكْرُوهٍ لَمْ يَرْجِعْ وَحَضَرَهُ^(٧).

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَنْبَغِي لِذِي الْهَيْئَةِ أَنْ يَحْضَرَ مَوْضِعًا فِيهِ لَهُوَ^(٨).

(١) زيادة من (ي).

(٢) يراجع كتاب «النوادر والزيادات»، باب في ذكر الغناء والمغنيات واللهو واللعب
(١٤: ٣٢٠، ٣٢١).

(٣) في (ع): «فراش».

(٤) في (ي): «مجالسته من».

(٥) في (ي): «والأرذل».

(٦) في (ع): «هناك».

(٧) «النوادر والزيادات» (٤: ٥٧١).

(٨) «النوادر والزيادات» (٤: ٥٧١)، إلا أنه فيه من رواية ابن وهب عن مالك.

وقال القاضي أبو بكر^(١): والصوابُ هو الأول، فأما لهوٌ غيرُ مُباحٍ كالعودِ والطُّبُورِ والمزمرِ الكبيرِ المُرْبَعِ^(٢) فلا تُجَابُ مَعَهُ الدَّعوة، وَمَنْ أتاها فوجدَ اللهَ المحظورَ فليرجع.

وقال غيره: المُنْكَرُ الذي يَنْصَرِفُ مِنْهُ كَرَقَصِ الْقِيَانِ^(٣) وَزَمْرِهِنَّ^(٤) والمزاهرِ والمزَامِرِ والصُّنُوجِ^(٥). ولا يَجِبُ^(٦) أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ، فَإِنَّهُ مُنْكَرٌ مُغْلَظُ الْكِرَاهَةِ مُحَرَّمٌ.

وأما ما كَانَ مِنَ الْغِنَاءِ بِالْذُّفِّ وَاللَّعِبِ بِالسُّيُوفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ مِنْ غَرَائِبِ الطَّافِ النَّاسِ وَنَوَادِرِهِمْ مِثْلَ مَا أَجَاذَهُ بَعْضُهُمْ مِنَ الرَّجُلِ يَمْشِي عَلَى الْحَبْلِ الْمَشْدُودِ، وَيَحْمِلُ خَشَبَةً عَلَى أَصْبَعِهِ، وَمَا شَاكَلَ هَذَا، فَقَدْ أَجَاذَهُ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ، مِنْهُمْ مُحَمَّدٌ^(٧) بْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ وَغَيْرُهُ^(٨).

(١) لعله القاضي أبو بكر محمد بن يبقى بن زرب القرطبي (ت ٣٨١هـ). ولم أجد هذا النص فيما بحثت منسوبا إلى القاضي أبي بكر المذكور.

(٢) هو المزهر كمنبر، وهو الذفُّ المُرْبَعُ، نقله عِيَاضٌ عَنْ ابْنِ حَبِيبٍ فِي «الْوَاضِحَةِ». «بَغِيَّةُ الرَّائِدِ» لِلْقَاضِي عِيَاضٍ (ص ١١٤).

(٣) جمع قَيْنَةٍ، وهي: الأمة المغنية. «لسان العرب»، مادة: قَيْن (١٣: ٣٥٠).

(٤) فِي (ع) وَ (ي): «زمرهم».

(٥) جمع صَنْجٍ، وهو: من آلات الملاهي. «المصباح المنير»، مادة: صَنْج (١: ٣٤٨).

(٦) أَرَادَ: وَلَا يَجُوزُ.

(٧) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٨) وهذا خلاف قول مالك، ففي «البيان والتحصيل» (١٨: ٤٤٥) ما نصه: «وسألتُه عَمَّنْ يَدْعَى إِلَى وَلِيمَةٍ وَفِيهَا إِنْسَانٌ يَمْشِي عَلَى الْحَبْلِ وَآخِرُ يَجْعَلُ عَلَى جَبْهَتِهِ خَشَبَةً كَبِيرَةً ثُمَّ يَرْكَبُهَا إِنْسَانٌ وَهِيَ عَلَى جَبْهَتِهِ، فَقَالَ: أَرَى أَلَا يُوْتِي، وَأَرَى أَلَا يَكُونُ مَعَهُمْ». ولم أجد قول ابن عبد الحكم بالجواز فيما بحثت، نعم قال ابن رشد: «والمشهور أن عمله وحضوره جائز للرجال والنساء، وهو قول ابن القاسم». «البيان والتحصيل» (١٨: ٤٤٦).

وأما الرخصة في الغناء بالدُّف فهو من اللهو الخفيف للحديث المروي عن (بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ) ^(١) قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَعْضِ مَغَازِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ جَاءَتْ جَارِيَةٌ سَوْدَاءُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي كُنْتُ نَذَرْتُ إِنْ رَدَّكَ اللَّهُ سَالِمًا أَنْ أَضْرِبَ بَيْنَ يَدَيْكَ بِالدُّفِّ وَأُغْنِي، فَقَالَ: «إِنْ كُنْتُ نَذَرْتُ فَاضْرِبِي وَلَا فَلَا»، فَجَعَلَتْ تَضْرِبُ فَدَخَلَ عَلَيَّ وَهِيَ تَضْرِبُ ^(٢)، ثُمَّ دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ فَأَلْقَتِ الدُّفَّ تَحْتَ اسْتِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَخَافُ مِنْكَ يَا عُمَرُ، كُنْتُ جَالِسًا وَهِيَ تَضْرِبُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَهِيَ تَضْرِبُ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيَّ وَهِيَ تَضْرِبُ، فَلَمَّا دَخَلْتَ أَنْتَ يَا عُمَرُ أَلْقَتِ الدُّفَّ» ^(٣).

قَالَ التِّرْمِذِيُّ: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ ^(٤).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا جَارِيتَانِ فِي أَيَّامِ عِيدِ ^(٥) تُغَنِّيَانِ وَتَضْرِبَانِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسَجَّى بِثَوْبِهِ، فَانْتَهَرَهُمَا أَبُو بَكْرٍ، فَكَشَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ وَجْهِهِ، فَقَالَ: «دَعُهُمَا يَا أَبَا بَكْرٍ؛ فَإِنَّهَا أَيَّامُ عِيدٍ» ^(٦).

(١) فِي الْأَصُولِ: «جَرِيرَةُ بْنُ خَصِيفٍ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٢) كَذَا وَقَعَ، وَالصَّوَابُ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ هُوَ أَوَّلُ مَنْ دَخَلَ.

(٣) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ بْنِ الْحُصَيْبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ فِي مَنَاقِبِ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، رَقْمٌ: ٣٦٩٠، وَقَالَ: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ».

(٤) فِي الْأَصُولِ: «جَرِيرَةُ»، وَهُوَ تَحْرِيفٌ.

(٥) بَيَاضٌ فِي (و)، وَفِي (ي): «مَنْ».

(٦) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الْبُخَارِيُّ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»، كِتَابُ الْمَنَاقِبِ، بَابُ مَقْدَمِ النَّبِيِّ ﷺ وَأَصْحَابِهِ الْمَدِينَةِ، رَقْمٌ: ٣٩٣١، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»، كِتَابُ صَلَاةِ الْعِيدَيْنِ، بَابُ الرُّخْصَةِ فِي اللَّعْبِ الَّذِي لَا مَعْصِيَةَ فِيهِ فِي أَيَّامِ الْعِيدِ، رَقْمٌ: ٨٩٢.

وفي رواية قالت: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ تُغْنِيَانِ بِغْنَاءٍ^(١) بُغَاثٍ^(٢)، فَاضْطَجَعَ عَلَى الْفَرَاشِ وَحَوْلَ وَجْهَهُ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاَنْتَهَرَنِي، وَقَالَ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ^(٣) عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «دَعُهُمَا»، فَلَمَّا غَفَلَ غَمَزَتْهُمَا فَخَرَجَتَا، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ يَلْعَبُ السُّودَانُ بِالْدَّرَقِ^(٤) وَالْحَرَابِ، فَأَمَّا سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَإِنَّمَا قَالَ: «تَشْتَهِيَنَّ تَنْظُرِينَ»، فَقَالَتْ: نَعَمْ^(٥).

وعن أبي هريرة، قال: بَيْنَمَا الْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِذْ دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَهْوَى إِلَى الْحَصْبَاءِ يَحْصِبُهُمْ بِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعُهُمْ يَا عُمَرُ»^(٦).

وقالت^(٧) عائشة رضي الله عنها: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ مِنْ جَوَارِي

(١) سقط من الأصول.

(٢) كذا في (و)، وفي (ع): «بغات»، وفي (ي): «بغات معنى»، والصواب: «بعاث»، قال عياض: «بعاث، بضم أوله لا غير وعين مهملة كذا عند أكثر أهل اللغة والرواة، وحكى أبو عبيدة عن الخليل فيه المعجمة، وضبطه الأصيلي بالوجهين، وبالمعجمة عند القابسي، وآخره ثاء مثناة، وهو موضع على ليلتين من المدينة». «مشارك الأنوار» (١: ١١٦).

(٣) في (ع): «الشياطين».

(٤) نوع من التروس يُتَقَى بِهَا، تُتَخَذُ مِنَ الْجُلُودِ. «لسان العرب»، مادة: درق (١٠: ٩٥).

(٥) رواه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري في «الجامع الصحيح»، كتاب الجمعة، باب الحراب والدرق يوم العيد، رقم: ٩٤٩، ومسلم في «الصحيح»، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم: ٨٩٢.

(٦) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البخاري في «الجامع الصحيح»، كتاب الجهاد والسير، باب اللهو بالحراب ونحوها، رقم: ٢٩٠١، ومسلم في «الصحيح»، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم: ٨٩٣.

(٧) في (ع): «عن».

الأنصارِ تُغْنِيَانِ بِمَا تَقَاوَلْتُ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، قَالَتْ^(١): وَلَيْسَتَْا بِمُغْنِيَتَيْنِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ فِي بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ! وَذَلِكَ يَوْمُ عِيدٍ^(٢).
وفي رواية: جَارِيتَانِ تَلْعَبَانِ بِدُفٍّ^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: وَاللَّهِ لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُومُ^(٤) عَلَى بَابِ حُجْرَتِي وَالْحَبَشَةُ يَلْعَبُونَ بِحِجَابِهِمْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ يَسْتُرُنِي بِرِدَائِهِ لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى لَعِبِهِمْ، ثُمَّ يَقُومُ مِنْ أَجْلِي حَتَّى أَكُونَ أَنَا الَّتِي أَنْصَرِفَ، فَاقْدُرُوا قَدَرَ الْجَارِيَةِ الْحَدِيثَةِ السَّنِّ، حَرِيصَةً^(٥) عَلَى اللَّهِ^(٦).

وفي رواية: فَأَقَامَنِي خَلْفَهُ وَرَاءَهُ، خَذَّيْ عَلَى خَذِّهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «دُونَكُمْ يَا بَنِي أَرْفَدَةَ»، حَتَّى إِذَا مَلِلْتُ قَالَ: «حَسْبُكَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «فَاذْهَبِي»^(٧).



(١) في (و) و (ي): «تقاولت»، وهو يباض في (ع)، صُحِّحَ في الهامش بما أثبتته.

(٢) رواه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري في «الجامع الصحيح»، كتاب الجمعة، باب سنة العيدين لأهل الإسلام، رقم: ٩٥٢، ومسلم في «الصحيح»، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم: ٨٩٢.

(٣) رواها من حديث عائشة رضي الله عنها: مسلم في «الصحيح»، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم: ٨٩٢.

(٤) في (و): «يوم»، وفي (ع): «يومًا».

(٥) منصوب على الحال كما قال العراقي في «طرح التثريب» (٧: ٥٧).

(٦) رواه بهذا السياق من حديث عائشة رضي الله عنها: مسلم في «الصحيح»، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم: ٨٩٢.

(٧) رواه من حديث عائشة رضي الله عنها: البخاري في «الجامع الصحيح»، كتاب الجمعة، باب الحراب والدرق يوم العيد، رقم: ٩٤٩، ومسلم في «الصحيح»، كتاب صلاة العيدين، باب الرخصة في اللعب الذي لا معصية فيه في أيام العيد، رقم: ٨٩٢.

قِصَّةُ

[في طبيعة الغناء في زمن رسول الله عليه السلام]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ هِيَ مِنْ «صَحِيحِ مُسْلِمٍ»، وَمَا ذُكِرَ فِيهَا مِنَ اللَّهْوِ لَيْسَ بِمُنْكَرٍ فَاحِشٍ، وَمَعَازَ اللَّهِ أَنْ يَكُونَ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُنْكَرٌ، وَلَا زَفَنٌ، وَلَا مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِذَلِكَ، وَكَانَ الْغِنَاءُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ ^(١) بِمَا تَقَاوَلَتْ بِهِ الْأَنْصَارُ يَوْمَ بُعَاثَ، يَوْمَ ^(٢) مِنْ أَيَّامِ الْعَرَبِ؛ لِأَنَّ الْأَنْصَارَ كَانُوا عَرَبًا فَصَحَاءَ يَتَكَلَّمُونَ عَلَى الْبِدِيهِةِ بِالسَّمْعِ ^(٣) فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ فِي الْحُرُوبِ بِكَلَامٍ لَيْسَ فِيهِ بَأْسٌ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَاهُمْ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا غَيْرَهُمْ مِنَ الْفَصَاحَةِ، لَا سِيَّمَا أَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، نَزَلَ بِلِسَانِهِمْ، وَأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ بِالْعَرَبِيَّةِ يَتَكَلَّمُونَ ^(٤)، وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ أَشْرَفِ قَبِيلَةٍ فِي الْعَرَبِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الْغِنَاءَ كُلَّهُ غَيْرُ مُبَاحٍ إِلَّا مَا ذَكَرْنَا، فَلَيْسَ بِمُنْكَرٍ وَلَا فَاحِشَةٍ، وَمِنْ الَّذِي ^(٥) كَانُوا يَسْتَعْمِلُونَهُ بِالذَّفِّ: «جَنَانُكُمْ فَحْيُونَا وَحَيَاكُمْ» ^(٦)، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ.

(١) سقط من (ع).

(٢) التقدير: وهو يوم.

(٣) في (ع): «في السمع».

(٤) يراجع: «مجموع الفتاوى».

(٥) في (ع): «الذين».

(٦) رواه بمعناه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: ابن ماجه في «السنن»، كتاب النكاح، باب الغناء والذف، رقم: ١٩٠٠. وله شاهد من حديث عائشة رضي الله عنها ومن حديث جابر رضي الله عنه.

وأما الغناء بالآلات المُستَعْدَّة له بالأصوات الحِسانِ المُطَرِّبة فهو من المُنكَرِ الفاحش، وقد ذَكَرَ العلماءُ رضيَ اللهُ عنهم أَنَّهُ مُحَرَّمٌ، ولا يَحِلُّ سَماعُهُ بِوَجْهِ، لا سِيَّما في وقتنا هَذَا لِكَثْرَةِ الشَّرِّ فِيهِ، والفِتْنِ، وَكَثْرَةِ القِيانِ. والآلاتُ المُستَعْدَّةُ لَهُ عَلَى ضُرُوبِ شَتَّى، مِنْ أَبِي الْأَهْوَالِ المِزْمَرِ الكَبِيرِ وما يَتَعَلَّقُ بِبَابِهِ: مَعَ رَنَّةِ كَلَامِ الشُّعراءِ، وَالطَّافِ نَعِيمِهِمْ، وَغَرائِبِ رِقَّتِهِمْ فِي الْفَاطِطِ، وَرَشَقِ نِبَالِهِمْ بِمَحاسِنِ صُورِ النِّساءِ وَالرِّجالِ وَمَساقِ نُعُوتِهِمْ^(١)، مَعَ هَزِّ الآلاتِ وَحُسْنِ الْأَصْواتِ، وَلا شَكَّ أَنَّ سِهامَ الشَّيْطانِ اللَّعِينِ يَرشُقُ^(٢)، وَتَقَعُ بِالْقُلُوبِ المَريضَةِ المائِلَةِ لِلشَّرِّ وَإِلَى الشَّهْواتِ المُنْسيَةِ^(٣) لِطُرُقِ الآخِرَةِ وَأَنْوارِها، المُمِيلَةِ^(٤) لِشَهْواتِ الدُّنْيا وَزِينَتِها وَلَذائِها، وبِذلكَ يَنْقَبِضُ الْقَلْبُ حَتَّى يَصِيرَ كَالشُّوبَةِ^(٥) المَثْقُوبَةِ، وَيَسْوَدُّ وَيَنْفَرُ عَنِ الطَّاعَةِ، وَيُكْسِبُ الرِّينَ.

قال اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَأَى عَلَى قُلُوبِهِمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]؛ أي: غَلَبَ عَلَى قُلُوبِهِمْ حَتَّى غَطَّاهَا، فلا يُبْصِرُونَ الصَّوابَ مِنَ الخَطِإِ، يُقال: رَأَتْ الخَمْرُ عَلَى عَقْلِهِ.

رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ أَنَّهُ قال: «إِذا أَذْنَبَ الْعَبْدُ نَكَبَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةً، فَإِنْ تابَ صُقِلَ، فَإِنْ عادَ عادَتْ حَتَّى تَعْظُمَ فِي قَلْبِهِ»^(٦).

وقال الحسن: هُوَ الذَّنْبُ عَلَى الذَّنْبِ حَتَّى يَعْمي الْقَلْبُ فَيَمُوتَ.

(١) في (ي) زيادة: «للحن». (٢) كذا في الأصول.

(٣) في (ع): «المنسيات». (٤) في (ي): «المائلة».

(٥) كذا في الأصول. وقد تكون: «الشَّرْبَةُ»، وهي أرض لينة تُنبِتُ العُشْبَ وليس بها شجر. «لسان العرب»، مادة: شرب (١: ٤٩١).

(٦) رواه قريبا من هذا السياق ابنُ جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٤: ٢٨٧).

وقال مُجاهدٌ: القلبُ مثلُ الكَفِّ، فإذا أذنبَ انقبَضَ.
قال قتادة: هو الذَّنْبُ على الذنبِ حتَّى يَريَنَّ^(١) على القلبِ فسودَ^{(٢)(٣)}.



(١) في (ي) و (ع): «يرن»، وفي (و): «يزر».

(٢) في (و) و (ع): «حال فسود».

(٣) روى هذه الآثار ابنُ جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٤: ٢٨٧-٢٨٩).

فَصْلٌ

[في قصة مزامير داود]

اعْلَمَ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ الْغِنَاءَ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِبَابِهِ، فَإِنَّهُ مِنَ الْمُنْكَرِ الْقَبِيحِ الْكَبِيرِ^(١).
وَكَانَ السَّبَبُ فِي ذَلِكَ: مَا رُوِيَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ؛ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْطَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا لَمْ يُعْطِ أَحَدًا غَيْرَهُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ، كَانَ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ اجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ الْوَحُوشُ حَتَّى يَأْخُذَ بِأَعْنَاقِهَا وَمَا تَشْعُرُ مِنْ حُسْنِ الصَّوْتِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَمَا صَنَعَتِ الشَّيَاطِينُ مِنَ الْمَزَامِيرِ وَالْبَرَابِيطِ^(٢) وَالصُّنُوجِ وَأَنْوَاعِ الْأَلَاتِ الْمُسْتَعَدَّةِ لِذَلِكَ إِلَّا عَلَى أَصْنَافِ صَوْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَكَانَ إِذَا افْتَتَحَ الزَّبُورَ بِالْقِرَاءَةِ فَكَأَنَّمَا^(٣) يَفْتَتِحُ بِالْمَزَامِيرِ، وَكَانَ أَعْطِيَ سَبْعِينَ مِزْمَارًا فِي خَلْقِهِ^(٤).

قَالَ أَبُو الْيَاسِ^(٥) عَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ إِذَا قَرَأَ الزَّبُورَ^(٦) وَرَفَعَ صَوْتَهُ اجْتَمَعَتِ الْوَحُوشُ وَالسَّبَاعُ، وَاخْتَلَطَ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ لَا يَضُرُّ أَحَدٌ صَاحِبَهُ، إِلَى اسْتِمَاعِ قِرَاءَةِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَإِنَّ الطَّيْرَ لَتَجِيءُ حَتَّى

(١) زيادة من (ي).

(٢) وفي (ي): «والمرايط»، والبرابيط أو البرابط: جمع بَرِيط وهو العود، أعجمي ليس من مَلاهي العَرَبِ فأعرَبته حِينَ سَمِعَتْ بِهِ. «لسان العرب»، مادة: بَرِيط (٧: ٢٥٨).

(٣) في (ي): «فكان».

(٤) هذا كله من قول وهب بن منبه اليماني، رواه عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٧: ٩٢).

(٥) هو إدريس بن سنان أبو إلياس الصنعاني ابن بنت وهب بن منبه. «تقريب التهذيب» (ص ٩٧).

(٦) زيادة من (ع).

تَقِفَ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهِ وَتَسْمَعَ لِقِرَائَتِهِ، وَإِنَّ الْحَيْتَانَ لَتَخْرُجُ إِلَى السَّاحِلِ حَتَّى إِنْ أَحَدَهُمْ ^(١) لَيَمُوتُ جُوعًا وَعَطَشًا مَا يَنْصَرِفُ عَنْهُ ^(٢).

وَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَبِيصَةَ ^(٣)، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ ^(٤)، قَالَ وَهَبُ بْنُ مِنْبِهِ: إِنْ بَدَأَ مَا صُنِعَتِ الْمَزَامِيرُ وَالْبَرَابِيطُ وَالصُّنُوجُ عَلَى صَوْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَانَ يَقْرَأُ الزُّبُورَ بِصَوْتٍ حَسَنٍ لَمْ تَسْمَعْ الْإِذَاانَ بِمِثْلِهِ ^(٥) قَطُّ، فَعَطَفَتْ ^(٦) الْجِنَّ وَالْإِنْسُ وَالطَّيُورُ وَالِدَوَابُّ كُلُّ لَهِ وَصَوْتِهِ ^(٧) حَتَّى تُهْلِكَ أَنْفُسُهَا جُوعًا وَعَطَشًا، فَخَرَجَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ مَدْحُورًا لِمَا رَأَى مِنْ ^(٨) اسْتِنَاسِ النَّاسِ وَالِدَوَابِّ لِصَوْتِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالزُّبُورِ، وَجَاءَ عَفَارِيثُهُ وَمَرَدَّتُهُ، فَقَالُوا: وَمَا هَذَا الَّذِي دَهَاكُم؟ فَمَنْ أَنْتُمْ؟ فَمَنْ ظَهَرَ بِهِ يَكُونُ مَعَهُ، قَالُوا: آمَرْنَا ^(٩) بِمَا أَحْبَبْتَ ^(١٠)؛ فَإِنَّهُمْ لَا نَصْرَ لَهُمْ عَنْهُ إِلَّا إِنْ صَنَعْنَا شَيْئًا يُشَبِّهُ لَهُ، فَعِنْدَ ذَلِكَ اخْتَرَعُوا الْبَرَابِيطَ وَالْمَزَامِيرَ، وَاتَّخَذُوا الصُّنُوجَ عَلَى أَنْوَاعِ صَوْتِهِ، فَلَمَّا سَمِعَ ^(١١) بِذَلِكَ غَوَاةُ النَّاسِ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ انْصَرَفُوا إِلَيْهِمْ، وَانْصَرَفَتِ الدَّوَابُّ وَالطَّيُورُ عَنْهُ ^(١٢).

(١) فِي (ع): «أَكْثَرَهُمْ». (٢) لَمْ أَجِدْهُ بِهَذَا السِّيَاقِ.

(٣) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ قَبِيصَةَ بْنِ ذُوَيْبِ الْخَزَاعِيِّ. ذَكَرَهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٣٥: ٣٣٨). وَأَبُوهُ هُوَ قَبِيصَةُ بْنُ ذُوَيْبٍ - بِالْمَعْجَمَةِ مَصْغَرٌ - ابْنُ حُلْحُلَةٍ - بِمَهْمَلَتَيْنِ مَفْتُوحَتَيْنِ بَيْنَهُمَا لَامٌ سَاكِنَةٌ - الْخَزَاعِيُّ أَبُو سَعِيدٍ أَوْ أَبُو إِسْحَاقَ الْمَدَنِيُّ، نَزَلَ دِمَشْقَ مِنْ أَوْلَادِ الصَّحَابَةِ وَلَهُ رُؤْيَا، مَاتَ سَنَةَ بَضْعَ وَثَمَانِينَ. «تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ» (ص ٤٥٣).

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ وَلَعَلَّ ابْنَ عَبَّاسٍ مَصْحَفٌ عَنْ أَبِي إِيَّاسٍ كَمَا فِي الرِّوَايَةِ السَّابِقَةِ.

(٥) فِي (ع): «مِثْلُهُ».

(٦) أَيْ: مَالَتْ. انْظُرْ «لِسَانَ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: عَطَفَ (٩: ٢٤٩).

(٧) فِي (ي): «وَلِصَوْتِهِ». (٨) زِيَادَةٌ مِنْ (ي).

(٩) فِي (و) وَ(ع): «أَأْمَرْنَا». (١٠) فِي (ي): «أَجْلَبْتَ».

(١١) فِي (و) وَ(ع): «سَمِعُوا».

(١٢) رَوَاهُ مِنْ طَرِيقِ أَبِي إِيَّاسٍ عَنْ وَهَبِ بْنِ مِنْبِهِ: ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٧: ١٠٠).

فهذا كَانَ السَّبَبُ الْمَوْجِبُ لِإِضْلَالِ النَّاسِ الْغَوَاةِ مِنْهُمْ^(١).

وَأَمَّا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ وَالْعِبَادُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَإِنَّمَا أَحْدَثَ ذَلِكَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ بَعْدَ قَتْلِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا^(٢).

قَالَ^(٣): وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ صَاحِبَ طَرْدٍ^(٤) وَجَوَارِحَ وَكِلَابٍ وَقُرُودٍ وَفُهُودٍ وَمُنَادِمَةً عَلَى شُرْبِ الْخُمُورِ، وَفِي أَيَّامِهِ أُحْدِثَتْ^(٥) الْفُسُوقُ، وَظَهَرَ^(٦) الْفُسَادُ، وَاشْتَهَرَ الْغِنَاءُ بِمَكَّةَ شَرَّفَهَا اللَّهُ، وَالْمَدِينَةَ عَمَّرَهَا اللَّهُ، وَاسْتُعْمِلَتْ الْمَلَاهِي، وَأُظْهِرَ النَّاسُ شُرْبَ الشَّرَابِ^(٧)، وَكَثُرَ الْخَنَا فِي أَيَّامِهِ حَتَّى صَارَ بِهَا فِرْعَوْنِيًّا، بَلْ كَانَ فِرْعَوْنٌ أَعْدَلَ مِنْهُ فِي رَعِيَّتِهِ، وَأَنْصَفَ مِنْهُ لِخَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ، حَتَّى أَخَذَهُ اللَّهُ وَكَفَى اللَّهُ شَرَّهُ^(٨). ذَكَرَهُ الْمَسْعُودِيُّ فِي كِتَابِ «مُرُوجِ الذَّهَبِ»^(٩).

ويزيدُ بنُ معاويةَ هو الذي قالَ فيه رسولُ الله ﷺ في مَلَأَ مِنْ أَصْحَابِهِ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمْ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَحْمِلُ عَلَى كَاهِلِهِ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ

(١) سقط من (ع).

(٢) انظر: «أنساب الأشراف» للبلاذري (٥: ٢٨٦).

(٣) يعني: المسعودي كما سيأتي.

(٤) في (ع): «صيد». والطريدة: ما طردت من صيد. كذا في «لسان العرب»، مادة: طرد (٣: ٢٦٧).

(٥) في (ع): «أحدث». وإنما أنت الفعل باعتبار أن الفسوق جمع فسق وليس مصدرًا.

(٦) في (ع): «ظهرت».

(٧) في (ي): «الخمير».

(٨) في كل هذا من المبالغة ما فيه، وكتب التاريخ تجمع الصحيح والمنكر والغث والسمين،

فينبغي الاحتراز والتحفظ ما أمكن.

(٩) «مروج الذهب» (٣: ٦٨).

النار»^(١)، فذَكَرُوا أَنَّهُ كَانَ معاويةَ بنَ أبي سفيانَ قَدْ اطَّلَعَ عَلَيْهِم بِيزيدَ^(٢) عَلَى عُنُقِهِ طِفْلٌ^(٣) صَغِيرٌ.



(١) لم أجده مسنداً، ونقل ابن كثير في «البداية والنهاية» (٨: ٢٥٩) عن ابن عساكر قوله: «حدثنا أبو الفضل محمد بن محمد بن الفضل بن المظفر العبدى قاضي البحرين من لفظه وكتبه لي بخطه، قال: رأيت يزيد بن معاوية في النوم فقلت له: أنت قتلت الحسين؟ فقال: لا! فقلت له: هل غفر الله لك؟ قال: نعم، وأدخلني الجنة. قلت: فالحديث الذي يروى أن رسول الله ﷺ رأى معاوية يحمل يزيد فقال: «رجل من أهل الجنة يحمل رجلاً من أهل النار»؟ فقال: ليس بصحيح. قال ابن عساكر: وهو كما قال؛ فإن يزيد بن معاوية لم يولد في حياة النبي ﷺ، وإنما ولد بعد العشرين من الهجرة. انتهى، قلت: ترجم ابن عساكر ليزيد بن معاوية في «تاريخ دمشق»، وما نقله ابن كثير عنه يغلب على ظني أنه من «تاريخ دمشق»؛ لأن ترجمة يزيد في «تاريخ دمشق» المطبوع ناقصة؛ كما نبه على ذلك المحقق أثناء وصفه للنسخ المعتمدة في التحقيق، فإنه قال: «الجزء التاسع عشر: يتدئ بترجمة أبي ثابت الدمشقي من قسم الكنى، وينتهي بترجمة امرأة شاعرة من نصارى بصرى، ودعاء للمصنف فيه سقط من أواخر ترجمة يزيد بن معاوية إلى حرف التاء». والله أعلم.

(٢) في (ع) و(ي): «يزيد». (٣) في (ع): «كطفل».

فصل وتفسير

وقد ذكر أهل التفسير الوعيد الشديد على الغناء.

قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [لقمان: ٦].

قال قتادة: معناه: مَنْ يَخْتَارُهُ وَيَصْحَبُهُ؛ يعني: الغناء. وروى عنه أنه قال: والله لَعَلَّهُ لَا يُنْفِقُ فِيهِ مَالًا، وَلَكِنَّ اشْتِرَاءَهُ اسْتِحْبَابُهُ^(١). وبذلك قال مُطَرِّف^(٢).

وقال ابن مسعود في الآية: الغناء والله الذي لا إله إلا هو - يُرَدِّدُهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - الغناء يُنْبِتُ فِي الْقَلْبِ النِّفَاقَ^(٣).

وقال ابن عباس: هو الرجل يشتري الجارية تُغْنِيهِ لَيْلاً وَنَهَارًا^(٤).

وروى أبو أمامة عن النبي ﷺ، قال: «لَا يَحِلُّ بَيْعُ الْمُغَنِيَّاتِ، وَلَا شِرَاؤُهُنَّ، وَلَا التَّجَارَةُ بِهِنَّ، وَلَا أَثْمَانُهُنَّ»، وفيهِنَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن

(١) رواه عنه بمعناه عبد الرزاق في «تفسيره»، رقم: ٢٢٨٥ (٣: ٢١).

(٢) هو أبو مصعب مطرف بن عبد الله اليساري الأصم، مات سنة ٢٢٠ هـ. «التسمية والحكايات» للغمري (ص ٦٩-٩٢). ونص ما قال: «شراء لهو الحديث: استحبابه». نقله عنه ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤: ٣٤٦).

(٣) رواه ابن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة»، رقم: ٦٨٠ (٢: ٦٢٩).

(٤) لم أجده مسندًا من قوله، وأسنده عن ابن مسعود موقوفًا عليه: البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان»، رقم: ٤٧٥٠ (٧: ١٠٩).

يَشْتَرِي لَهُوَ الْحَدِيثُ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ [لقمان: ٦] الآية (١).

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَلَسَ إِلَى قَيْنَةٍ (٢) يَسْتَمِعُ مِنْهَا، صُبَّ فِي أُذُنِهِ (٣) الْآنُكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٤).

وَرَوَى مَالِكٌ عَنْ ابْنِ (٥) الْمُنَكْدِرِ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الَّذِينَ كَانُوا يُنَزَّهُونَ أَسْمَاعَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَنِ اللَّهِ وَمَزَامِيرِ الشَّيْطَانِ، أَدْخَلُوهُمْ فِي رِيَاضِ الْمِسْكِ، ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ: أَسْمِعُوهُمْ حَمْدِي وَثَنَائِي عَلَيَّ، وَأَخْبِرُوهُمْ أَنَّ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦).

وَرَوَى أَنَّهُ لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ بِالْذُّمُوعِ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ (٧): يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَبْكِي؟ أَوَلَمْ تَنْهَ عَنِ الْبُكَاءِ؟ قَالَ: «لَا، وَلَكِنْ نَهَيْتُ عَنِ النَّوحِ وَالْغِنَاءِ؛ الصَّوْتَيْنِ الْأَحْمَقَيْنِ الْجَاهِلَيْنِ الْفَاجِرَيْنِ» (٨).

(١) رواه بمعناه الترمذي في «الجامع»، كتاب البيوع، باب ما جاء في كراهية بيع المغنيات، رقم: ١٢٨٢.

(٢) في (ع): «مغنية».

(٣) في (ع): «أذنه».

(٤) رواه ابن حزم في «المحلى» (٧: ٥٦٢)، وقال: هذا «حديث موضوع مركب فضيحة...». ورواه أيضًا ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥١: ٢٦٣).

(٥) سقط من (ع).

(٦) رواه أبو نعيم في «الأربعين على مذهب المتحققين من الصوفية»، رقم: ٦٠، ووصله من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما مرفوعًا: الدلمي في «مسند الفردوس»، ورفعاه باطل. (٧) يعني: عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(٨) رواه مختصرًا من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: الترمذي في «الجامع»، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الرخصة في البكاء على الميت، رقم: ١٠٠٥، وقال: «هذا حديث حسن».

فَأَمَّا صَوْتُ الْغِنَاءِ فَإِنَّهُ لَعِبٌ وَلَهُوَ مِزْمَارُ الشَّيْطَانِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرُوبَةَ^(١) عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ الْحَسَنِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «صَوْتَانِ مَلْعُونَانِ: صَوْتُ مِزْمَارٍ عِنْدَ نَعْمَةٍ^(٢)، وَرَنَّةٍ عِنْدَ مُصِيبَةٍ^(٣)».

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «النَّائِحَةُ مَلْعُونَةٌ، وَالْمُسْتَمِعُ إِلَيْهَا مَلْعُونٌ، وَالنَّاظِرُ إِلَيْهَا مَلْعُونٌ»^(٤).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «النَّائِحَةُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَخْرُجُ مِنْ قَبْرِهَا وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنَ النَّارِ»^(٥).

وَرَوَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعِنْدَهُ مُغْنِيَةٌ فَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِ»^(٦).

(١) في (ع): «عروة».

(٢) كذا في الأصول، وفي بعض المصادر: «عند نعمة».

(٣) لم أجد بهذا الإسناد الذي ذكر المؤلف، نعم رواه ابن أبي الدنيا في «ذم الملاحي»، رقم: ٦٣ عن الحسن البصري مقطوعاً، ووصله من حديث أنس بن مالك مرفوعاً: البزار في «المسند»، رقم: ٧٥١٣.

(٤) لم أجد بهذا السياق، وقد روى أبو داود في «السنن»، كتاب الجنائز، باب في النوح، رقم: ٣١٢٨، من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ لعن النائحة والمستمعة.

(٥) أخرجه بمعناه من حديث أبي مالك الأشعري رضي الله عنه: مسلم في «الصحیح»، كتاب الجنائز، باب التشديد في النياحة، رقم: ٩٣٤.

(٦) لم أجد من أسنده من حديث عائشة رضي الله عنها، قال ابن حزم في «المحلى» (٧: ٥٦٣): «روى هاشم بن ناصح، عن عمر بن موسى، عن مكحول، عن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَعِنْدَهُ جَارِيَةٌ مُغْنِيَةٌ فَلَا تُصَلُّوا عَلَيْهِ». هاشم وعمر مجهولان، ومكحول لم يلق عائشة». قلت: عمر بن موسى هو الوجيهي، متروك الحديث.

- رَوَاهُ مَكْحُولٌ عَنْهَا مِنْ (١) كِتَابِ الْبِدَعِ لِوَيْثِمَةَ (٢).
- وَقَالَ (٣) عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هُوَ الْغِنَاءُ (٤).
- وكَذَلِكَ قَالَ عِكْرَمَةُ (٥) وَمَكْحُولٌ (٦) وَغَيْرُهُمَا.
- وَالْتَقْدِيرُ عَلَى هَذَا: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي ذَاتَ لَهْوٍ وَلَعِبٍ.
- وَرَوَى جُوَيْرُّ عَنْ الضَّحَّاكِ: أَنَّهُ قَالَ: الْغِنَاءُ مَهْلَكَةٌ لِلْمَالِ، مَسْخَطَةٌ لِلرَّبِّ، مَقْسَاةٌ لِلْقَلْبِ (٧).
- وَسُئِلَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ (٨) عَنْهُ، فَقَالَ: الْغِنَاءُ بَاطِلٌ، وَالبَاطِلُ فِي النَّارِ (٩).
- وَاعْلَمْ أَنَّ الْبَاطِلَ كُلَّهُ قَلِيلٌ وَكَثِيرُهُ قَدْ اجْتَمَعَ فِي اللَّهْوِ وَالْغِنَاءِ، لَا سِيَّما رَأْسُ الشَّرِّ وَقَاعِدَتُهُ وَرُكْنُهُ، وَعَلَيْهِ تَدَوَّرُ دَائِرَةُ حُرُوبِ الشَّيْطَانِ لَعَنَهُ اللَّهُ، وَبِهِ
-
- (١) فِي (ع): «فِي».
- (٢) هُوَ أَبُو يَزِيدٍ وَثِيمَةُ بْنُ مُوسَى بْنِ الْفَرَاتِ الْوَشَاءِ، أَصْلُهُ مِنْ فَارَسٍ وَنَزَلَ الْأَنْدَلُسَ، وَصَنَفَ كِتَابًا فِي أَخْبَارِ الرَّدَّةِ، مَاتَ سَنَةَ ٢٣٧ هـ. «جَذْوَةُ الْمُقْتَبَسِ» (ص ٣٦٣). قَالَ ابْنُ خُلِكَانَ بَعْدَ وَصْفِهِ الْكِتَابَ الْمَذْكُورَ: «وَلَمْ أَعْرِفْ لَوْثِيمَةَ الْمَذْكُورِ مِنَ التَّصَانِيفِ سِوَى هَذَا الْكِتَابِ».
- «وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ» (٦: ١٢). قُلْتُ: لَهُ أَيْضًا كِتَابٌ فِي قِصَصِ الْأَنْبِيَاءِ يَقَعُ فِي مَجْلَدَيْنِ كَمَا قَالَ السَّخَاوِيُّ فِي «الْإِعْلَانِ بِالتَّوْبِيخِ» (ص ١٦٠)، وَسَيَأْتِي نَقْلُ الْمُؤَلَّفِ مِنْهُ.
- (٣) يَعْنِي: فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ.
- (٤) لَمْ أَجِدْهُ مُسْنَدًا، وَقَدْ قَالَ التِّرْمِذِيُّ بَعْدَ رَوَايَتِهِ حَدِيثَ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْمُتَقَدِّمَ: «وَفِي الْبَابِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ».
- (٥) رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «ذِمِّ الْمَلَاهِي»، رَقْم: ٢٨.
- (٦) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٨: ١٤٦).
- (٧) لَمْ أَجِدْهُ عَنْهُ مُسْنَدًا.
- (٨) هُوَ الْقَاسِمُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي بَكْرٍ الصَّدِيقِ.
- (٩) لَمْ أَجِدْهُ هَكَذَا، وَرَوَاهُ بِمَعْنَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «ذِمِّ الْمَلَاهِي»، رَقْم: ٤٤.

يَهْلِكُ جَمِيعُ الْخَلْقِ إِلَّا مَنْ عَصَمَهُ اللَّهُ، وَإِلَيْهِ تَنْقَادُ جَمِيعُ الْمَلَائِكَةِ، وَبِهِ يُفْتَنُ
النَّاسُ، وَهُوَ رَأْسُ كُلِّ بَلِيَّةٍ، وَأَسَاسُ كُلِّ رَزِيَّةٍ، وَمِفْتَاحُ كُلِّ فِتْنَةٍ: المزمُرُ الكبيرُ
أبو الأهوال، مُهَيِّجٌ^(١) مُحَافِلُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، وَهُوَ بَابُ الْفِتَنِ وَالضَّلَالِ.



(١) في (ع) و(ي): 'يهيج'.

فَصْلٌ

في أبي الأهوال ودزداقه^(١) وأهواله ورحبه^(٢)

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ أبا الأهوالِ المِزْمَرَ الكبيرَ هُوَ الَّذِي يُهَيِّجُ الْفِتْنََ وَالْبَلَايَا
وَالْمِحْنَ، وَهُوَ مَجْمَعُ الشَّرِّ، وَإِلَيْهِ تَنْقَادُ السَّفِلَةُ وَالْأَرْذَالُ^(٣) وَأَهْلُ التَّخْلِيْطِ،
وَأَهْلُ الْعَرَابِدِ^(٤) وَالتَّخْيِيْطِ، وَأَهْلُ الْمُنْكَرِ وَالْخِذْلَانِ، وَالْفَسَادِ وَالزُّوْرِ وَالْبُهْتَانِ.
وَأَكْثَرُ مَا يَقُومُ بِهِ وَيَبْرِهُ وَيَهْدِلُونَ^(٥) إِلَى إِكْرَامِهِ أَهْلُ الْبَادِيَةِ.

حَدَّثَنِي بِذَلِكَ مَنْ أَثَقُ بِهِ مِمَّنْ امْتَحَنَ بِهِ فِي عُتُقَانِ شَبَابِهِ مَعَ أَصْحَابِهِ
وَأَتْرَابِهِ، ثُمَّ تَابَ مِنْ مُشَاهَدَتِهِ: أَنَّ أبا الأهوالِ إِذَا أَتَى قَرْيَةً أَوْ حِصْنًا أَوْ
مَوْضِعًا مِنْ قُرَى الْبَادِيَةِ سَمِعَ لِأَهْلِ تِلْكَ الْقَرْيَةِ ضَجَّةً عَظِيمَةً وَوَهْلَةً^(٦) كَبِيرَةً
وَضَغْضَغَةً^(٧) مِنَ الرِّجَالِ وَالْأَطْفَالِ وَالنِّسَاءِ وَالصَّبِيَّانِ، (حَتَّى لَا يَبْقَى أَحَدٌ مِنْ

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَسَيَاتِي ذِكْرُ الْمُؤَلَّفِ لِلدَّزْدَقَةِ فِيمَا يَأْتِي. وَقَدْ يَكُونُ الرِّزْدَاقُ
بِالرَّاءِ، وَمَعْنَاهُ هُنَا: الصِّفَافُ مِنَ النَّاسِ. انْظُرْ: «الْصَّحَاحُ» (٤: ١٤٨١).

(٢) جَمْعُ رَحْبَةٍ، وَهِيَ السَّاحَةُ وَالْمَتَسَعُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: رَحَبَ (١: ٤١٣).

(٣) فِي (ي): «الْأَرَاذِلُ».

(٤) كَأَنَّهَا جَمْعُ عَرَبْدَةٍ. وَهِيَ مَعْرُوفَةٌ. انْظُرْ: «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: عَرَبِدَ (٣: ٢٨٩).

(٥) فِي (ي): «وَيَهْرُولُونَ». وَهَذَا الْغَلَامُ: صَوْتُ، وَهَدِيلُهُ: غِنَاؤُهُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: هَدَلَ
(١١: ٦٩١).

(٦) وَهْلٌ إِلَى الشَّيْءِ: فَرَجٌ إِلَيْهِ، وَالْوَهْلَةُ: الْفَرْعَةُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: فَرَعَ (١١: ٧٣٧).

(٧) الضَّغْضَغَةُ بِالْغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ: أَنْ يَتَكَلَّمَ الرَّجُلُ فَلَا يَبِينُ الْكَلَامَ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: ضَغَغَ
(٨: ٤٤٣).

النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ وَالصُّبَّيَّانِ) ^(١) إِلَّا خَرَجَ الْكُلُّ لِمُعَايِنَتِهِ وَدَسْتِهِ ^(٢) وَأَهْوَالِهِ فَرَحًا بِهِ حَتَّى النِّسَاءُ، وَيَجْعَلُونَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ كَأَنَّهَا عِيدٌ أَوْ ^(٣) مَوْسَمٌ أَكِيدُ، حَتَّى الْبَنَاتُ الْمُخَدَّرَاتُ مِنْ ذَوَاتِ الْحِجَابِ وَالْقَدَرِ وَالْحَالِ يَخْرُجْنَ لِتِلْكَ اللَّيْلَةِ بِالثِّيَابِ الْفَاخِرَةِ، وَالزَّيْنَةِ الْوَافِرَةِ، وَقَدْ أَخَذَ بِعُقُولِهِمُ الشَّيْطَانُ الرَّجِيمُ، فَأَنَسَاهُمْ ذِكْرَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ الْعَاقِلَةَ مِنْهُمْ الَّتِي تَجْلِسُ فِي بَيْتِهَا يَقُولُ لَهَا الزَّوْجُ ^(٤) بِقَلَّةِ دِينِهِ وَضَعْفِ يَقِينِهِ: قُومِي وَاخْرُجِي؛ فَإِنَّ هَذَا الزَّامِرَ مَا رَأَيْنَاهُ قَطُّ مِنْ طَبْعِهِ وَجَمَالِهِ وَكَثْرَةِ أَلْعَابِهِ وَمَلَاهِيهِ وَدَسْتِهِ وَحِيلِهِ ^(٥)، فَلَا يَزَالُ الزَّبْلُوحُ ^(٦) الْقَلِيلُ الدِّينِ الثَّقِيلُ الرُّوحِ يُزَيِّنُ ذَلِكَ لَهَا حَتَّى تَخْرُجَ، وَهَذَا الرَّجُلُ هُوَ السَّبَبُ لَوُقُوعِ الْمَعْصِيَةِ بِزَوْجِهِ، وَكَيْفَ لَا وَنَقُولُ: إِنَّ الرِّجَالَ بِشَهْوَدِهِ عَاصِينَ ^(٧)، وَلِلنَّهْيِ مُرْتَكِبِينَ ^(٨)؟ فَكَيْفَ الْمَرْأَةُ وَالْمَرْأَةُ كُلُّهَا عَوْرَةٌ؟ لَا سِيَّمَا أَنَّهَا تُشَاهِدُ الْأَلْعَابَ وَالْكَذِبَ وَالْإِرْتِيَابَ، وَتَسْمَعُ مَا لَا يَحِلُّ أَنْ يَسْمَعَهُ الرَّجُلُ، فَتَخْرُجُ مَسْخُوطًا عَلَيْهَا يَلْعَنُهَا كُلُّ رَطْبٍ وَيَابِسٍ، وَحُلُوٍ وَقَارِسٍ ^(٩)، وَالشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ كَشَفَ عَنْهَا سِتَرَ الْحَيَاءِ، وَبَرَزَهَا لِلْإِنْبَهَارِ ^(١٠)، فِي رَحْبَةِ الْأَسَى وَالْإِسْتِهَارِ،

(١) سقط من (ي).

(٢) الدست بالفارسية: اليد، وفي العربية بمعنى: اللباس، والرياسة، والحيلة، ودست القمار. «تاج العروس»، مادة: دست (٤: ٥١٨).

(٣) سقط من (ع). (٤) في (ع): «زوجها».

(٥) سقط من (ع).

(٦) كذا في الأصول، ولم أجدها فيما بحثت، ولعلها كلمة عامية أو أعجمية بمعنى: العيب والقدح.

(٧) كذا في الأصول. (٨) كذا في الأصول.

(٩) أي: جامد. «لسان العرب»، مادة: قرس (٦: ١٧٠).

(١٠) في (ي): «بالانبهار».

وَأَقْعَدَهَا لِرُؤْيَةِ الْفُجَارِ وَالْفُسَاقِ وَالْأَشْرَارِ^(١)، وَعَايَنَهَا مَنْ دَبَّ وَدَرَجَ، مِمَّنْ دَخَلَ وَخَرَجَ، فَأُولُ خَطِيئَةٍ تَصْحَبُهَا، وَذَنبٍ يُكْتَبُ عَلَيْهَا، وَتَكْثُرُ الْأَوْزَارُ لَدَيْهَا^(٢)، مُعَايِنَتُهَا الرِّجَالُ الْفُسَاقُ الْأَشْرَارَ وَمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ؛ إِذْ لَا يَحْضُرُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، وَلَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْظُرَهُ وَلَا يَنْظُرَهَا، وَفِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ تَعْرِفُ الْمَرْأَةَ مَنْ لَمْ تَكُنْ قَبْلُ تَعْرِفُهُ.

فَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّهَا مَعْصِيَةٌ عَظِيمَةٌ، وَزَلَّةٌ جَسِيمَةٌ.

رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللَّهُ امْرَأَةً مَلَأَتْ عَيْنَيْهَا فِي غَيْرِ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا مِنَ الرِّجَالِ»^(٣).

وَعَلَى هَذَا النَّمَطِ وَبِهَذِهِ الْحَالَةِ النِّسَاءُ كُلُّهُنَّ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي رَحْبَةِ الشَّيْطَانِ، وَلَا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ الْخَطِيئَةَ وَالْمَعْصِيَةَ مَا ارْتَكَبَتْهَا هَذِهِ الْمَرْأَةُ إِلَّا بِسَبَبِ زَوْجِهَا، لِأَنَّهُ هُوَ^(٤) أَعَانَهَا عَلَى الْخُرُوجِ إِلَيْهِ، وَعَصَمَتْهَا بِيَدِهِ^(٥)، وَلَوْ شَاءَ لَمَنَعَهَا، وَالنِّسَاءُ نَاقِصَاتُ عَقْلِ وَدِينٍ، وَالرَّجُلُ سِتْرُ الْمَرْأَةِ، وَهُوَ حِجَابٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَعْصِيَةِ، وَهُوَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا، وَكُلُّ رَاغٍ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ.



(١) فِي (و) وَ(ع): «الْفُجَارُ». (٢) فِي (ع): «لَرِبْهَا».

(٣) هُوَ جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ رَوَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْحَارِثُ بْنُ أَبِي أُسَامَةَ فِي «مُسْنَدِهِ» كَمَا فِي «زَوَائِدِهِ» لِلْهَيْثَمِيِّ رَقْمٌ: ٢٠٥، وَبُوبَ عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ: بَابُ فِي خُطْبَةٍ قَدْ كَذَبَهَا دَاوُدُ بْنُ الْمَحْبَرِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

(٤) سَقَطَ مِنْ (ع). (٥) فِي (و): «بِيَدِهِ».

فصل وتقرع

يا هذا، أنت أمرت زوجتك بحضور المَلاهي، والأغاني وارتكاب المَناهي؛ لجهلك بالوعيد، والعذاب الشديد، تالله وبالله، إنك لأنت الساهي، الغافل اللاهي، وملك بسببك ملأت مسامعها من أقاويل الفساق، والجهر بالسوء في رجة التفاق، بمشهد أبي الأهوال المزمَر البواق^(١)، القبيح النهاق، بمشهد أبي الأهوال السيئ الأقوال والأفعال الرهاق^(٢)، فصرت قد نقلت أوزارها إلى أوزارك، وغلظت عليها بأقوالك وأفعالك، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَمَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [العنكبوت: ١٣].

يا مسكين، جعلت زوجتك تُغازل بعينها أبناء الرجال، الأرذال^(٣) السُّقال، قد ملأت أذنيها^(٤) من قبائح^(٥) القيل والقال، وكثرة الغي والمحال.

قد أخذت في الحديث مع جارة لها فاسقة مثلها برجة الشيطان، تنظر إلى فلان وفلان، وتقول: ما أشكل فلان^(٦)! وما أجمل فلان^(٧)! وذلك الآخر فلان، وذلك فلان، وذلك الرجل زوج فلانة، ومن هو ذلك الرجل الذي يتحدث مع

(١) النافخ في البوق. «المعجم الوسيط» (١: ٧٧).

(٢) في (ع): «الدهاق»، وفي (ع): «الرصاق». والرهاق: جمع رهوق. والرهُق: السفه والحمق.

«لسان العرب»، مادة: رهق (١٠: ١٢٨).

(٣) في (ي): «الأراذل». (٤) في (ع): «أذنها».

(٥) في (ع): «قبيح». (٦) كذا في الأصول.

(٧) كذا في الأصول.

فُلَانٍ؟ فَتَقُولُ لَهَا: ذَلِكَ الرَّجُلُ الَّذِي يَضْحَكُ هُوَ فُلَانٌ، وَذَاكَ فُلَانٌ، وَهُوَ الَّذِي اتَّفَقَ لَهُ مَعَ فَلَانَةٍ كَذَا وَكَذَا، وَقِيلَ عَنْهُمَا كَذَا وَكَذَا.

فَتَرَاهُنَّ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يُقَلِّبْنَ الرِّجَالَ بِالْقِيلِ وَالْقَالَ، تَقْلِبُ الْقَرَارِيطِ مِنَ الدَّرَاهِمِ وَالْمِثْقَالِ، يَكْسِرْنَ الْحَوَاجِبَ وَالْعُيُونَ، وَيُغَامِزْنَ^(١) بِاللَّحْظَاتِ وَالْجُفُونِ، فَلَا تَرَى إِلَّا رُمُوزًا وَإِشَارَاتٍ، وَانْهَمَاكَ وَخَطَرَاتٍ.

وَالشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ فَتَحَ لِلْمَعَاصِي بَابَهُ، وَقَيَّضَ لَهَا شِبَاكَه وَمَصَايِدَهُ وَأَسْبَابَهُ، وَلَا فِي ذَلِكَ الْمَحْفَلِ اللَّئِيمِ، وَالْمُجْتَمَعِ الدَّمِيمِ مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ بِشَفَةِ وَلَا لِسَانٍ، ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة: ١٩].

وَلَيْسَ هَذَا وَاللَّهُ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ اعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، وَمَعَ ذَلِكَ التَّقْوَى، وَهَذَا الرَّجُلُ وَشِبْهُهُ لَمْ يَتَّقِ اللَّهَ، وَلَوْ أَنَّهُ اتَّقَى اللَّهَ مَا عَمِلَ بِنَفْسِهِ وَزَوَّجَتْهُ هَذَا الْعَمَلُ الْمُؤَدِّي إِلَى النَّارِ، وَكَيْفَ يَكُونُ مُتَّقِي^(٢)، مَنْ لَا يَدْرِي مَنْ يَتَّقِي؟ أَوْ كَيْفَ يَكُونُ مُؤْمِنًا خَالِصًا مَنْ لَا يَعْرِفُ شُعَبَ الْإِيمَانِ؟ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ^(٣): [الكامل].

إِيمَانُنَا بِاللَّهِ بَيْنَ ثَلَاثَةٍ عَمَلٍ وَقَوْلٍ وَاعْتِقَادٍ جَنَانٍ
وَيَزِيدُ بِالتَّقْوَى وَيَنْقُصُ بِالْخَنَا وَكِلَاهُمَا فِي الْقَلْبِ يَخْتَلِجَانِ
وَإِذَا خَلَوْتَ بِرَبِّهِ فِي ظُلْمَةٍ وَالنَفْسُ دَاعِيَةٌ إِلَى الطُّغْيَانِ

(١) فِي (ع): «يُغَامِزُونَ». (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

(٣) هُوَ الْمَعْرُوفُ بِالْقَحْطَانِي، وَلَا تُعْرَفُ تَرْجُمَتُهُ إِلَى الْآنَ عَلَى التَّحْقِيقِ، وَهَذِهِ الْآيَاتُ وَمَا بَعْدَهَا مَوْجُودَةٌ فِي نَوَائِطِ الطُّوَيْلَةِ مَعَ بَعْضِ الْاِخْتِلَافِ.

فاستحي من نظري الإله^(١) وقل لها:
 الذين رأس المال فاستميسك به
 لا تخلون بامرأة مستأنسا^(٢)
 إن الرجال الناظرين إلى النساء
 إن لم تكن تلك اللحوم أسودها
 لا تترك أحدا بأهلك خاليا
 واغضض جفونك عن ملاحظة النساء
 ...^(٥) ومحادثة الأحسان
 إن الذي خلق الظلام يراني
 فضياعه من أعظم الخسران
 ولو كنت في النساك مثل بناني^(٣)
 مثل الكلاب تطوف باللحمان
 قسمت بلا عرض^(٤) ولا أثمان
 فعلى النساء تعاير الأخوان
 واغضض جفونك عن ملاحظة النساء

يا خسيس الهمة، يا منكر النعمة، يا مخنث الطبع، برزت زوجتك وقاعدة
 بيتك وخيلة صدرك ومقضي شهوتك لرحبة^(٦) المزمز، تسمع أقاويل الفجار،
 بالفواحش والعار، وضرب المعازف ونقر الأوتار، أما خشيت العار، من
 الملك الجبار، يوم هتك الأستار، يوم يسحبون الأشرار، إلى الدرك الأسفل
 من النار، وأنت مع هذا تقول: ليس بالمزمز بأس ولا إثم، ولا هو منكز، الويل
 لك يا مغرور، من فظاعة الأهوال يوم الشور، وقال^(٧): [الكامل].

لا خير في نغم المعازف كلها والرقص والإيقاع بالقضبان

(١) في (و): «الله».

(٢) في (ع): «مستأنسها»، والبيت كله مكسور على كلتا الروايتين.

(٣) يعني: أبا محمد ثابت بن أسلم البناني المتعبد الناحل، المتعبد الذابل، كما وصفه أبو نعيم
 في «حلية الأولياء» (٢: ٣١٨).

(٤) كذا في الأصول: بلا عرض، وله وجه، وعروض التجارة ما يعرض منها للبيع.

(٥) كذا وقع البيت منكسرا غير تام في الأصول، إلا أن في (ع) بياضا في هذا الموضع إشارة
 إلى عدم التمام بخلاف ما في (و) و(ي). وصوابه كما في «نونية القحطاني» (ص ٤٣):

واغضض جفونك عن ملاحظة النساء ومحاسن الأحداث والصبيان

(٦) في (ع): «برحبة». (٧) يعني الشاعر القحطاني.

إِنَّ التَّقَى لِرَبِّهِ مُتَزَكٍّ^(٢) عَنْ صَوْتِ أَوْتَارٍ وَمَعَ أَغَانِي
بِخَحْنٍ وَتَرْتِيلٍ (يَا حَبَّذَا)^(٣) الْإِحْسَانِ^(٤)
أَشْهَى وَأَوْقَعَ فِي النُّفُوسِ خِلَاوَةً
مِنْ صَوْتِ مِزْمَارٍ وَنَقْرِ مَثَانٍ^(٥)



(١) هو القحطاني.
(٢) في (و) و(ع): «متره».
(٣) في (ي): «بأخير».
(٤) كنا في الأصول وفي البيت انكسار.
(٥) في (ع): «فتان»، وفي (و): «متان». والمثنائي من أوتار العود الذي بعد الأول واحدها مثنى.
«لسان العرب»، مادة: ثنى (١٤: ١١٥).

فَصْلُكُ

[في التحذير من اتباع الهوى والغفلة]

يَا مَنْ لَهُ قَلْبٌ مُمَرَضٌ^(١)، اذْكُرِ التَّخْلِيْطَ وَالْعَرَضَ، وَلَا تُهَادِدِ^(٢) النَّفْسَ
النَّفْسِيَّةَ عَلَى تَبَعِ الْغَرَضِ، فَإِذَا وَقَعَ التَّخْلِيْطُ وَقَعَ التَّخْبِيْطُ، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا
بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

يَا مُغْتَرًّا فِي ظُلْمَةٍ بِإِهْمَالِهِ^(٣)، ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفِيْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ﴾
[إبراهيم: ٤٢]، إِنَّ أَشَدَّ مِنْ سَكَرَاتِ الْمَوْتِ، حَسْرَةُ الْقُوْتِ، قَعْرُ جَهَنَّمَ بَعِيْدًا،
وَهَتْكَ أَسْفَلَ مِنْهُ.

يَا أَيُّهَا الْمُعَذَّبُ^(٤) نَفْسَهُ، النَّاسِي لِحَدِّهِ وَرَمْسَهُ، اسْمَعْ مَقَالََةَ أَخٍ نَاصِحٍ،
وُخْذْ بِهَا تَكُنِ التَّاجِرَ الرَّابِحَ، يَوْمَ تُنْشَرُ الصَّحَائِفُ، وَتُظْهَرُ الْفَضَائِحُ، الْمِزْمَرُ
أَبُو الْأَهْوَالِ، صَاحِبُ الْغَيِّ وَالْمِحَالِ، وَالرَّزْدَقَةُ^(٥) وَالْخِيَالِ، لَا يَأْخُذُ بِهِ (وَلَا
يَتَّبَعُهُ)^(٦) إِلَّا مَغْرُورٌ جَهْلٌ، مَخْمُورٌ الْعَقْلِ مَخْذُولٌ، قَاعِدًا^(٧) عَنِ الطَّاعَةِ مَذْلُولًا
تَارِكًا لِسُنَّةِ الرَّسُولِ، قَدْ اسْتَحُوذَ عَلَيْهِ الرَّجِيْمُ الْمَخْذُولُ.

(١) في (ع): «مرض»، وَصُحِّحَتْ فِي الْحَاشِيَةِ بِ: «مرضى»، ثُمَّ ضَرَبَ عَلَيْهَا. وَقَلْبٌ مُمَرَضٌ:
أَصَابَهُ مَرَضٌ.

(٢) الْمِهَادُودَةُ هِيَ: الْمُوَادَعَةُ وَالْمُصَالَحَةُ وَالْمُمَايَلَةُ. «السان العرب»، مادة: هود (٣: ٤٣٩).

(٣) في (ي): «بإهماله». (٤) في (و): «المنذب»، وَفِي (ع): «المنذب».

(٥) سَبَقَ التَّعْلِيْقُ عَلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ. (٦) زِيَادَةٌ مِنْ (ي).

(٧) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

يا أخي، جعلت مالك في المزمَر مَبْدُولًا، ورزقك للملاهي (وزينة الباطل) مَحْفُولًا، قد خَرَجْتَ بِذَلِكَ عَنْ طَاعَةِ مَوْلَاكَ^(١) مَلُولًا، وعُهودك مع مولاك إِلَهَكَ مَهُولًا، لَمْ تُرَاقِبْهُ وَهُوَ يَرَاكَ جَلِيلًا، أَفَلَا تَعْلَمُ أَنَّ الوعدَ والوعيدَ لا بُدَّ ولا شَكَّ مَفْعُولًا^(٢)، ومولانا جَلَّ ذِكْرُهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

يا كثافة الغفلة على قلوب الغافلين، ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾ [الروم: ٧]، هِمَّتُهُمْ مَقْصُورَةٌ عَلَى تَحْصِيلِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ بِالمعازفِ واللَّهْوِ والألعاب، إن هُم إِلَّا كالأُنعام، وبلِّ لِلَاهِنِ بِمَعَاصِيهِمْ، إِذَا أُخِذَ^(٣) بِتَوَاصِيهِمْ.

المزمُرُ أَبُو الأهوال، أتباعه مِنَ الأرذال، مِنَ النساءِ والرجال، أعوانِ الشَّيْطَانِ الْقَتَالِ، هَذَا الْحَقُّ أَقُولُهُ عَقْلُهُ الْعُقْلَاءُ أَهْلُ الْعِقَالِ، وَحَذَرُوا أَنْفُسَهُمْ مِنْهُ يَوْمَ^(٤) لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خِلَالِ.

ولعلك تقول: لَقَدْ أَرَعَدْتُ وَأَبْرَقْتُ، مَا سَمِعْنَا بِمِثْلِ هَذِهِ الْمَقَالَةِ، وَلَا مَنْ حَذَرْنَا بِمِثْلِ هَذَا التَّحْذِيرِ، وَلَا مَنْ زَجَرْنَا عَنْهُ، وَلَا سَمِعْنَا مِنْ آبَائِنَا وَلَا أَجْدَادِنَا وَلَا أَسْلَافِنَا الْأَوَّلِ مَنْ يَزْجُرُ عَنْهُ، فَأَقُولُ: أَبُو الْأَهْوَالِ أَتْبَاعُهُ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ، كُلُّ غَافِلٍ سَاهٍ سَقِيمٍ، مَرِيضٍ الْقَلْبِ لَثِيمٍ، لَا يُفَكِّرُ فِي قَوْلِ مَوْلَاهُ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، حَيْثُ يَقُولُ: ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ * يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ * إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿ [الشعراء: ٨٧-٨٩].

(١) سقط من (ي).

(٢) كذا بالأصل.

(٣) في (ع): «أخذوا».

(٤) في (ي): «يوم».

فَعَاتِبْ نَفْسَكَ رَحِمَكَ اللَّهُ وَحَاسِبِهَا، وَحَدِّثْهَا وَغَالِبِهَا، وَازْجُرْهَا عَنْ غِيَّهَا،
وَيُبَيِّنْ لَهَا، وَأَخْبِرْهَا لِمَاذَا خُلِقَتْ لَهُ، وَدَبِّرْهَا^(١)، وَلَا تَتْرُكْهَا تَخَوُّضُ وَتَلْعَبُ،
وَتَرْكُضُ فِي مِيدَانِ الْمَعَاصِي لِتَخْرَبَ^(٢)، فَمَنْ ضَيَّعَهَا ضَيَّعَ الْآخِرَةَ.

يَا مَنْ طَاوَعْتَهُ بِارْتِكَابِ الْمَعَاصِي وَالْمَلَاهِي، وَطَاوَعَهَا بِأَفْعَالِ الْمَنَاهِي،
اسْتَدْرِكَ صُبَابَةَ الْيَقَظَةِ، وَسُخْ^(٣) فِي سَمْعِ قَلْبِكَ مَوْعِظَةً.

يَا مَنْ أَيَّامُهُ تَعِظُهُ حِينَ تَبَيَّنَ وَتَنْقُضُهُ^(٤)، أَخْلِصْ لِلَّهِ قَلْبَكَ، وَأَنْقِهِ مِنَ التَّفَاقُ،
وَلَا تَأْخُذْ بِهِ فِي مَعْصِيَةِ الْخَلْقِ، وَكَيْفَ وَأَمَامَكَ بَيْنَ وَفِرَاقٍ، ثُمَّ حَفَرٌ وَعَرَقٌ^(٥)،
ثُمَّ جَمْعُكَ يَوْمَ التَّلَاقِ، إِمَّا لِظِلِّ ظَلِيلٍ، وَإِمَّا لَلِثَّاهِ^(٦) وَاحْتِرَاقِ.

فَإِلَى مَتَى أَنْتَ مُصِرٌّ (عَلَى جَمِيعِ الْمُحْظُورَاتِ، مُقِيمٌ عَلَى ضَرْبِ الْمَعَازِفِ
الْمُحَرَّمَاتِ، وَخَوْضُكَ بِالنِّزَاهَاتِ^(٧) عَلَى اللَّذَاتِ^(٨)) وَالشَّهَوَاتِ؟ أَمَا يَكْفِيكَ
- وَتَقْنَعُ بِمَا^(٩) أُبَيِّحُ لَكَ مِنَ الْحَلَالِ - الطَّيِّبَاتُ الْمُبَاحَاتُ؟ فَارْجِعْ عَنْ اتِّبَاعِ
ضَرْبِ الْمِعْزَفَةِ، وَالْإِصْغَاءِ إِلَى الْأَلْحَانِ بِالْقَوَافِي الْمُؤَلَّفَةِ، وَدَزْدَقَةِ الدِّيفَانِ^(٩)،

(١) سقط من (ع). (٢) بياض في (و)، وفي (ع): «الآثام».

(٣) ساخت الأقدام تسوخ في الأرض وتسيخ: تدخل فيها. «لسان العرب»، مادة: سوخ (٣: ٢٧).

(٤) في (ع): «تيقظه».

(٥) العرق هنا بمعنى: الثواب والجزاء. «لسان العرب»، مادة: عرق (١٠: ٢٤٠).

(٦) المراد هنا: أماكن التنزه، ومنه قول الإدريسي في وصف خرشكث من بلاد الشاش: «وهي

مدينة عامرة حسنة الصفة، كثيرة النزاهات، عامرة الأفنية والدور». «نزهة المشتاق في اختراق

الآفاق» (٢: ٧٠٤).

(٧) في (ع): «في جميع المحدثات». (٨) في (ع): «لما».

(٩) لعله هنا جمع دف، غير أنني لم أجِدْ هذا الجمع هكذا فيما بحثت، فالله أعلم.

(وصهيل الزُّنُوجِ المُسِنَّفَةِ^(١)؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَجْرَاسِ الشَّيْطَانِ، صَفْطُطَة^(٢) وَفَقْفَقَة^(٣))، يُرِيدُ بِذَلِكَ تَفْرِيقَ الْقُلُوبِ السَّالِمَةِ^(٤) الْمُؤَلَّفَةِ.

فَكَيْفَ بَكَ إِنْ أَتَاكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَى ضَلَالَتِكَ، مُقِيمٌ عَلَى جَهَالَتِكَ وَطُغْيَانِكَ، لَا أَنْتَ عَنِ الذُّنُوبِ تُقْلِعُ، وَلَا مِنَ النَّزَاهَاتِ^(٥) وَالْمَلَاهِي تَقْنَعُ، وَلَا مِنَ الشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ تَشْبِعُ، كَأَنَّكَ مُهْمَلًا^(٦) سُدَى، أَوْ^(٧) كَأَنَّكَ عَلَى الْحَقِّ وَالْهُدَى؟

الْمَزْمَرُ أَذَانُ الشَّيْطَانِ، وَأَتْبَاعُهُ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَالبُهْتَانِ، وَالْخِزْيِ وَالْهَوَانِ، يُؤَدِّي إِلَى النَّيْرَانِ، مَسْكَنُ الْخِذْلَانِ.

الْمَزْمَرُ أَبُو الْأَهْوَالِ، صَاحِبُ الرَّحْبِ وَالْأَقْوَالِ، وَالْفَوَاحِشِ وَالْغِيِّ وَالْمِحَالِ، مُبْذِرُ الْأَمْوَالِ فِي الْبَاطِلِ وَالْمُحَالِ، وَيَسْبِي^(٨) عُقُولَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ، ذُو الْقَبَائِحِ وَالضَّلَالِ.

الْمَزْمَرُ وَآلَاتُهُ، وَأَتْبَاعُهُ وَأَدَوَاتُهُ، وَشَيْمُهُ وَحَالَاتُهُ، رَايَةُ الشَّيْطَانِ، وَ(طَاعَاتُهُ وَأَغَانِيهِ)^(٩) وَأَصْوَاتُهُ بَاطِلٌ وَبُهْتَانٌ، وَزُورٌ مِنْ أَقْبَحِ الْأُمُورِ، يُؤَدِّي إِلَى الْفُجُورِ

(١) تقدم تفسيرها.

(٢) كذا في الأصول، ولعلها: السفسطة، وهي كلمة يونانية معناها: الغلط والحكمة المموهة. «تاج العروس» مادة: سقط (١٩: ٣٥٣).

(٣) في (ي): «قهقهة».

(٤) سقط من (ع).

(٥) في (ع): «النزاهة».

(٦) كذا في الأصول. ولعل التقدير: كأنك خلقت مهملاً...

(٧) في (ع): «و».

(٨) في (و) و(ع): «ويسبي»، وصححت في حاشية (ع) بـ: «ويسبي».

(٩) في (ع): «طاعته ومغانيه».

وخراب المعمور، بكثرة الانتهاك وشرب الخُمور، فما من منزلٍ دخله أبو الأهوال
للفخر والزينة والفرح، إلا كان آخر ذلك البكاء والنياح وكثرة الأحزان والترح.

ولعلَّكَ تقول: مَنْ أتى بهذا المقال، (أو مَنْ أخبر^(١)) بهذا، فهذا مُحالٌ،
ولقد رأينا آباءنا وأجدادنا أخذوا به قديمًا وحديثًا^(٢)، وكانوا أصلح منا وأتقى الله،
وكانوا على الخير والصلاح والاستقامة، فما أنكره أحدٌ منهم، وكانوا يستعينون
به في ولائهم وأنكحتهم وأفراحهم، وهذا الذي تقولُه وتصِفُه كثيرٌ، ولو كان
على هذا الوجه الذي تقولُ ما استعمله أحدٌ منهم؛ فإنهم كانوا شيوخًا مجتهدين
على طاعة الله بإقامة الصلوات وفعل الخير، فما أعابه^(٣) أحدٌ منهم، وعلى هذا
وجدنا آباءنا وأجدادنا، ولو كان مُنكرًا كما تزعمُ لغيروه وتركوه؟

فأقول: والله^(٤) الذي لا إله إلا هو، ما هو إلا حرامٌ، والآخذُ به مُرتكبُ
الإثم والإجرام، مُنافقٌ بينُ النفاق، إن (اعتقدَ هذا)^(٥) بقلبه ولسانه فإنه يُحلُّ
ما حرَّم الله، ولكنَّ الشيطانَ غلبَ على قلوبٍ لا تفهم ولا تعقل، ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا
كَأَلَّا نَعْلَمَ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤].



(٢) في (ع): «حادثًا».

(٤) في (ع): «بالله».

(١) في (ع): «وأخبر».

(٣) كذا في الأصول.

(٥) في (و) و(ع): «اعتقدها».

قَصْدٌ

[في وصف خروج أهل الأندلس لسماع الغناء]

ولقد رأيتُ المسجدَ الجامعَ بالإمامِ الرَّاتبِ بِالقِريَّةِ^(١) التي تُتَقَرَّى^(٢) بأهلها، بِتِلْكَ^(٣) اللَّيْلَةِ التي يَحْضُرُها أبو الأَموالِ والمسجدُ خاليًا مِنْ ناسِهِ، لا يَدْخُلُهُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ لِصَلَاةِ الْعِشَاءِ الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَالصَّبْحِ، بِطَوْلِ مُقَامِهِ بِتِلْكَ الْقَرْيَةِ، إِلَّا الْإِمَامُ وَحَدَهُ، وَقَلِيلٌ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ بَعْدَ أَنْ كَانَ الْمَسْجِدُ أَهْلًا بِالْخَلْقِ يَضِيقُ بِأَهْلِهِ. وَالنَّاسُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ عَلَى أَصْنَافٍ، مِنْهُمْ مَنْ يُؤَلِّفُ لَهُ الْأَسْقَاطُ^(٤) وَالشِّبَابُ وَالْمَأْكُولُ.

وَمِنْهُمْ مَنْ أَسْرَعَ لِتَوْلِيفِ الْحَطَبِ لِوَقْدِ النَّارِ.

وَمِنْهُمْ مَنْ يَدُورُ حَوْلَهُ، وَيُهَيِّئُ لَهُ الرَّحْبَةَ، وَيَنْظُرُ الدَّارَ لِإِقَامَتِهِ وَهَيْئَتِهِ بِأَعْوَانِهِ. وَأَهْلُ الْقَرْيَةِ بِتِلْكَ^(٥) اللَّيْلَةِ قَدْ ضَجَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ، يَأْتُونَ بِالْمَخَايِدِ^(٦)

(١) زيادة من (ي).

(٢) تُتَقَرَّى الْقَرْيَةُ: تَتَّبَعُهَا أَرْضًا أَرْضًا، وَسَارَ فِيهَا يَنْظُرُ حَالَهَا وَأَمْرَهَا. «لسان العرب»، مادة: قرا (١٥: ١٧٤).

(٣) فِي (ع): «فِي تِلْكَ».

(٤) سَقَطُ الْبَيْتِ: خُرُثُهُ؛ لِأَنَّهُ سَاقِطٌ عَنْ رَفِيعِ الْمَتَاعِ. وَالْجَمْعُ: أَسْقَاطُ. «لسان العرب» (٧: ٣١٦).

(٥) فِي (ع): «فِي تِلْكَ».

(٦) فِي (ي): «الْمَخَايِدِ». وَلَعَلَّهُ جَمْعُ مَخْدَةٍ، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْهُ فِي كُتُبِ اللُّغَةِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي جَمْعِهَا: مَخَادٌ، فَاللَّهُ أَعْلَمُ.

والبُسْطِ والثيابِ لِلوطاءِ والغِطاءِ، مِنْ مَغِيبِ الشَّمْسِ إِلَى مَغِيبِ الشَّفَقِ.

وَأَمَّا رَحْبَةُ الْأَلْفَةِ وَالاحْتِشَادِ بِهِ فَقَدْ ضَاقَ بِهَا الْمُتَسَّعُ بِاجْتِمَاعِ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَاحْتِشَادِهِمْ، مَعَ مَا يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِي الْأَزْقَةِ وَالطُّرُقِ، فَرِحِينَ بِهِ^(١)، مُسْتَعِدِّينَ لِقَوْلِهِ، وَمَوْلَعِينَ بِدَسْتِهِ وَدَزْدَقْتِهِ.

وَلَقَدْ رَأَيْتُ الْكِتَابَ يَبْدُو الْإِمَامَ الرَّاتِبَ بِالْمَسْجِدِ بِتِلْكَ^(٢) اللَّيْلَةِ بَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ، وَمَا يَجْلِسُ عَلَيْهِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَذَلِكَ لِفَرَحِهِمْ؛ أَعْنِي: بِالْمَزْمَرِ أَبِي الْأَهْوَالِ.

قَدْ أَبْهَتَهُمُ الشَّيْطَانُ بِرَحِيَّتِهِ وَفِتْنَتِهِ، وَأَسْلَبَهُمُ خَشْيَةَ اللَّهِ بِوَهْلَتِهِ وَدَسْتِهِ، وَقَدْ عَلَا عَلَى نَادِيهِمُ الضَّحْكُ وَالْغَفْلَةُ وَلَهُوَ الْمَحْنَةُ.

قَدْ خَذَلَهُمُ الشَّيْطَانُ، وَأَعْمَى قُلُوبَهُمْ بِالْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ، وَالسُّلُوءِ وَالْحَرَمَانِ، وَكَيْفَ لَا وَقَدْ آثَرَ مَجْلِسَ الْمَزْمَرِ عَلَى طَاعَةِ الرَّحْمَنِ، بِتَرْكِهِ صَلَاةَ الْعَتَمَةِ وَالصَّبْحِ مَعَ أَهْلِ الْإِيمَانِ؟

وَقَدْ جَاءَ فِيهِمَا^(٣) مِنَ الْفَضْلِ وَالثَّوَابِ مَا لَا يُحْصَى.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هَاتَيْنِ الصَّلَاتَيْنِ لَا يَحْضُرُهُمَا مُنَافِقٌ»^(٤).

وَقَالَ ﷺ: «يَبِينُنَا وَبَيْنَ الْمُنَافِقِينَ شُهُودُ الْعَتَمَةِ وَالصَّبْحِ» الْحَدِيثُ^(٥).

(١) سقط من (ع). (٢) في (ي): «تلك».

(٣) في (ع) و(ي): «فيها».

(٤) رواه بمعناه من حديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له من أصحاب النبي ﷺ: أحمد في «المسند»، رقم: ٢٠٥٨٠ (٣٤: ١٨٧).

(٥) رواه من حديث سعيد بن المسيب مرسلًا: مالك في «الموطأ»، كتاب صلاة الجماعة، باب ما جاء في العتمة والصبح، رقم: ٥ (١: ١٣٠).

وقال ﷺ: «مَنْ صَلَّى الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ^(١) فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ لَيْلَةٍ، وَمَنْ صَلَّى الصُّبْحَ فِي جَمَاعَةٍ فَكَأَنَّمَا قَامَ اللَّيْلَ كُلَّهُ^(٢)».

والخيرُ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى.

يا مسكينُ غَلِظَتْ مَجْلِسَ الشَّيْطَانِ، وَآثَرَتْهُ عَلَى الطَّاعَةِ وَالصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ لِلْسُّنَةِ وَاسْتِمَاعِ الْقُرْآنِ، وَحُرِمَتْ الْإِنْصَاتُ لِلرَّحْمَةِ وَالْغُفْرَانِ، وَإِقَامَةُ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ كَأَهْلِ الْإِيمَانِ، وَأَنْتَ يَا مَطْرُودٌ مِنَ الرَّحْمَةِ مَبْعُودٌ حَيْرَانٍ، مَكْبُوتٌ فِي رَحْبَةِ الشَّيْطَانِ، قَرِيرُ الْعَيْنِ فَارِحٌ، كَأَنَّكَ التَّاجِرُ الرَّابِحُ.

شَتَانٌ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، هَذَا فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ، يَطْلُبُ لِنَفْسِهِ الثَّوَابَ وَالْمَنَافِعَ، يَخَافُ اللَّهَ تَعَالَى وَيَرْجُوهُ أَنْ يَقِيَهُ مِنَ الْعَذَابِ الْوَاقِعِ، الَّذِي لَيْسَ لَهُ مِنْ اللَّهِ مِنْ دَافِعٍ.

طَالِبُ الْأَمْنِ^(٣) يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَرْغُبُ اللَّهُ تَعَالَى^(٤) فِي الْعَافِيَةِ وَالسَّلَامَةِ، وَالْخَيْرِ وَالِاسْتِقَامَةِ، وَالْمَدَاوِمَةِ عَلَى السُّنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهَذَا فِي رَحْبَةِ الْخَزْيِ وَالنَّدَامَةِ، وَالْمَذَلَّةِ وَالْمَلَامَةِ، بَيْنَ الْأَرْدَالِ النَّقَامَةِ، تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ بِالْمَزَامِيرِ اللَّوَامَةِ.

الْوَيْلُ لَكَ يَا مَغْرُورٌ، تَالِلَهُ إِنَّكَ (لَأَنْتَ الْمَسْحُورُ)^(٥)، فِي غَمَرَاتِ الْغَيِّ وَالْفُجُورِ، تَتَقَلَّبُ طُولَ لَيْلِكَ بِرَحْبَةِ الرَّجْسِ النَّجِسِ، فِي رِضَا الْمَرْدَةِ مِنْ أَوْلَادِ

(١) فِي (ع): «الْآخِرَةُ».

(٢) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَثْمَانَ بْنِ عَفَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»، كِتَابُ الْمَسَاجِدِ وَمَوَاضِعِ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ وَالصُّبْحِ فِي جَمَاعَةٍ، رَقْمٌ: ٦٥٦ (١: ٤٥٤).

(٣) فِي (ع): «الْأَمَان».

(٤) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: «يَرْغِبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى».

(٥) فِي (و): «لَأَنْتَ مَسْحُورٌ»، وَفِي (ع): «الْمَسْحُور».

إبليس، من أول الشَّقَقِ إلى آخر الغَسَقِ، تحت راية الشَّيْطَانِ، مَسْرُورًا^(١) باللهوِ
والقِيَانِ، وهَزُّ الأوتارِ على الأصواتِ الحسانِ، في مَلَأِ الإِخْوَانِ قرناءِ الشَّيْطَانِ.
التوبةُ التوبةُ! وإن لَمْ تفعلْ فيا ويلك من حَمِيمِ آنِ، في خِزْيِ وهوانِ، بَيْنَ
أطباقِ النِّيرانِ.

هذا في المسجدِ يُقِيمُ الصَّلَواتِ، في مسجدِ الجماعاتِ، تُضَاعَفُ له
الحسناتِ، وتُحَطُّ عنه السيئاتِ، وتُرفَعُ له الدَّرَجَاتِ، (والغُرْفُ في العَلِيَّاتِ)^(٢)،
في قَرَارِ الجَنَّاتِ، والقُصورِ والحُورِ الغانِجاتِ، وهذا في رحابِ اللهو والغَفلاتِ،
ونزاهةِ النَّفْسِ بالشَّهواتِ، في الأمورِ المحرَّماتِ، والفواحشِ والنَّجاساتِ،
مُعَمَّرٌ^(٣) بِكُلِّهَا الأحيانَ والأوقاتِ، وأنتَ تعلمُ أنَّ ذلك كُلَّهُ يُؤَدِّي إلى الندامةِ
والحسراتِ، بالحلولِ في النِّيرانِ^(٤) الحامِياتِ.



(٢) في (ي): «والغرف العاليات».

(٤) في (ع): «النار».

(١) في (ع): «مسرور».

(٣) سقط من (ي).

قِصَّةُ فِي الْمَوْعِظَةِ

يَا أُخَيَّ، احْذَرِ النَّارَ الْكُبْرَى، الَّتِي هِيَ مَأْوَى مَنْ طَغَى وَتَمَرَّدَ وَعَصَى،
وَعَلَى جَمِيعِ الشَّرِّ احْتَوَى، لَوْ رَأَيْتَ الشَّبَابَ وَالْكُهُولَ فِي الْحَدِيدِ مُصَفَّدِينَ،
مَغْلُولَةَ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَقَدْ قُرِنُوا بِالشَّيَاطِينِ، فَهُمْ فِيهَا قُرْنَاؤُهُمْ، وَنَادُوا:
﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ﴾ [المؤمنون: ١٠٦] فَرَدَّ عَلَيْهِمْ:
﴿أَخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨].

وَيْلٌ لَهُمْ، لَقَدْ أَسْمَعَهُمْ مَا لَا يُطِيقُونَ لَهُ، وَلَا يَقُومُونَ وَلَا يَقْعُدُونَ إِلَّا فِي
النَّارِ.

فَرَّوْا فَلَمْ يَنْفَعَهُمُ الْفِرَارُ، وَتَضَرَّعُوا فَلَمْ يَرْحَمَهُمُ الْجَبَّارُ، وَتَرَكَهُمْ يَتَلَوْنَ
بَيْنَ أَطْبَاقِهَا، فَعَذَّبَهُمُ بِالْقَوْلِ فَتَكَلَّمُوا حَتَّى تَخَلَّلَتْ^(١) النَّارُ بِاللِّسَنَةِ فَأَبْكَمَتْهَا^(٢)
أَبَدًا، وَعَذَّبَهُمْ فِيهَا بِالسَّمْعِ حَتَّى تَخَلَّلَتْ^(٣) النَّارُ الْأَسْمَاعَ فَأَصَمَّتْهَا، وَعَذَّبَهُمْ
فِيهَا بِالْعُقُولِ فَهِيَ أَبَدًا عَلَى صِحَّتِهَا، وَبِالنَّفُوسِ فَهِيَ أَبَدًا عَلَى حَيَاتِهَا، ﴿لَا
يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا﴾ [ناظر: ٣٦].

وَالْعَبْدُ إِذَا غَشِيَ عَلَيْهِ لَمْ يَدْرِ مَا يُصْنَعُ بِهِ، وَإِنَّمَا أَصْحَى^(٤) الْعُقُولَ وَأَحْيَا
النَّفُوسَ لِيَجْذُوا أَلَمَ الْعَذَابِ.

(١) فِي (ع): «تَخَلَّلَتْ».

(٢) فِي (ع): «أَبْكَمَتْهَا».

(٣) فِي (ع): «تَخَلَّلَتْ».

(٤) فِي (ي): «أَصْحَى».

الْقَيْدُ فِي رَجْلِهِ مِنَ نَارٍ، وَالسَّلْسَلَةُ فِي عُنُقِهِ مَعَ^(١) الْغُلِّ مِنَ نَارٍ، وَالنَّارُ تَأْكُلُهُ وَهُوَ يَأْكُلُهَا، وَهِيَ تَزْفِرُ عَلَيْهِ وَهُوَ يَزْفِرُ عَلَيْهَا، وَهُوَ غَاصٌّ أَبَدًا بِطَعَامٍ لَا يَبْلَعُهُ وَهُوَ يُلْقِيهِ، وَحَسْرَةُ الْحَيَاةِ مَعَ غُصَّةِ الطَّعَامِ تَرْدُدُ فِي صَدْرِهِ، وَالْقَرِينُ الشُّوْءُ لِضَيْقِ^(٢) جُحْرِهِ لَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُ طَرْفَةُ عَيْنٍ أَبَدًا.

لَا رَوْحَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمْ، وَلَا غَمَّ يَخْرُجُ عَنْهُمْ، وَلَا لَهُمْ خِلَالَ يَنْظُرُونَ مِنْهَا، وَلَا مُتَنَفِّسَ فِيهَا يَتَنَفَّسُونَ، وَلَا رَوْحَ إِلَيْهِمْ مِنْ غَمِّهَا يَسْتَرِيحُونَ، فَهُمْ فِيهَا مَغْمُوسُونَ مَكْرُوبُونَ، بَيْنَ أَطْبَاقِهَا مَحْبُوسُونَ، وَالنَّارُ مِنْ تَحْتِهِ، وَالنَّارُ عَنْ يَمِينِهِ، وَالنَّارُ عَنْ شِمَالِهِ، وَهُوَ غَرِيقٌ فِي نَارٍ^(٣).

فَأَيُّ الْأَمْرَيْنِ تُرَوْنَ أَشَدَّ عَلَيْهِمْ؛ طَعَامُ الضَّرِيعِ، أَمْ تَجَرُّعُ الصَّدِيدِ؟ فَمَا ظَنُّكُمْ إِذَا اجْتَمَعَتْ هَذِهِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ؟

فَالْوَيْلُ لِأَهْلِ النَّارِ أَيِّ مَنَزَلٍ نَزَلُوا، كَأَنَّهُمْ فِيهَا لَمْ يَزَالُوا، وَالْوَيْلُ لَهُمْ حِينَ دَخَلُوا، كَأَنَّهُمْ فِيهَا مُذْ خُلِقُوا، وَالْوَيْلُ لَهُمْ مِنَ الطَّعَامِ حِينَ طَعَمُوا، وَمِنَ الشَّرَابِ حِينَ شَرَبُوا، وَمِنَ اللَّبَاسِ حِينَ لَبَسُوا، وَوَيْلُ لَهُمْ لَا مَطْلَبَ فَيَطْلُبُوا، وَلَا مَوْتَ فَيَسْتَرِيحُوا.

هَذَا الْفَصْلُ وَالْمَوْعِظَةُ لِمَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ^(٤) رَحِمَهُ اللَّهُ:

(١) فِي (ع): «مِنْ». (٢) فِي (ع): «يَضِيقُ».

(٣) فِي (ع): «النَّارِ».

(٤) قَالَ ابْنُ حِبَّانَ: «مَنْصُورُ بْنُ عَمَّارِ الْقَاصِ، كُنْيَتُهُ: أَبُو السَّرِيِّ، أَصْلُهُ مِنْ مَرُو، يَرْوِي عَنْ ابْنِ لَهْيَعَةَ وَاللَيْثِ بْنِ سَعْدٍ، رَوَى عَنْهُ ابْنُهُ سَلِيمُ بْنُ مَنْصُورٍ وَالنَّاسُ، أَخْبَارُهُ فِي الْقَصَصِ وَالْحَثِّ عَلَى الْخَيْرِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْتَاجَ إِلَى ذِكْرِهَا، لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الْحَدِيثِ الَّذِينَ يَحْفَظُونَ، وَأَكْثَرُ رَوَايَتِهِ عَنِ الضَّعَفَاءِ». «الثَّقَاتُ» (٩: ١٧٠)، مَاتَ سَنَةَ ٢٢٥ هـ كَمَا فِي «الْمَقَابِرِ وَالْمَشَاهِدِ» لِابْنِ أَتَجِبِ السَّاعِي (ص ٤٩). وَلَمْ أَظْفِرْ لَهُ بِهَذِهِ الْمَوْعِظَةِ الَّتِي ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ.

أَيُّهَا الرَّجُلُ الْكَثِيبُ، اللَّابِسُ حُلَّةَ الْمُرِيبِ، الْمَخَاطِرُ بِنَفْسِهِ، الْمَقِيمُ عَلَى مَعْصِيَةِ رَبِّهِ، احْذَرِ النَّارَ الْكُبْرَى؛ فَإِنَّ النَّارَ لَا يَقُومُ لَهَا صُمُّ الْجِبَالِ، وَالنَّارُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ تُوصَفَ.

ولا تَغْتَرَّ بِقَوْلِكَ: هذا العذابُ كُلُّهُ إِنَّمَا هُوَ لِمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَجَحَدَ آيَاتِهِ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ، فَإِنْ قُلْتَ هَذَا فَأَنْتَ مَغْرُورٌ، وَمَا يُؤْمِنُكَ أَنْ تَكُونَ مِثْلَ هَذَا؟ قُتِبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الذُّنُوبِ الَّتِي سَلَفَتْ، وَتَعَلَّمُهَا مِنْ نَفْسِكَ وَأَنْتَ مُصِرٌّ عَلَيْهَا؛ فَإِنَّ الْمُقِيمَ عَلَى الذُّنُوبِ وَالْإصرَارِ عَلَى الْكِبَايِرِ يُخَافُ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ سَلْبُ الْإِيمَانِ، وَنَعُودُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ وَالسَّلَامَةَ مِنَ التَّبْدِيلِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

يَا مَسْكِينُ، اسْمِعْ مَا قَالَ مَوْلَاكَ، وَدَبِّرْهُ بِعَقْلِكَ: ﴿أَفَحَبِيبَتُنَا إِذْ سَمِعَتْ بِمَدَائِنِ آلِ فِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ مُخْرَجُونَ إِلَىٰ أَرْضِ فَارَسَ لَا نَمْلِكُ لَهَا شَيْئًا فَتُنَادِيَ يٰأَيُّهَا الْمَلِكُ إِنِّي أَمْرٌ مِنْ رَبِّكَ﴾ ﴿الزُّمَرُ: ٢١﴾

أَيُّهَا الْمَقْرُورُ، أَتَرْضَى (إِلْفِكَ بِالْجُلُوسِ) ^(١) فِي رَحْبَةِ الشَّيْطَانِ، قَاعِدًا
فَرَحًا مَسْرُورًا بِالْمَلَاهِي، مُسْتَمِعًا لِأَلْحَانِ الْأَشْعَارِ وَالْقَصَائِدِ، وَقَدْ سَوَدَتْ
صَحِيفَتُكَ بِالزَّالِدِ ^(٢)، تُحَقِّقُ نَظْرَكَ إِلَى ضَرْبِ الْمَعَارِفِ كَأَنَّكَ قِرْدٌ نَائِلٌ ^(٣)، وَاللَّهُ
مُطَمِّنٌ عَلَيْكَ الضَّمَدَ الْوَاحِدَ، الرَّقِيبَ الشَّاهِدَ، الْأَخِيذَ بِالْمَرَامِدِ، يُحْصِي عَلَيْكَ
الْمَافِصَ وَالزَّالِدَ، كَأَنَّكَ فِي الدُّنْيَا حَالِدٌ، لَا تُحَافُ الْمَوْتَ وَلَا لَحْدَ الْآلِاحِدِ؟

أمر لت يا معطوقا مني هو في خلق الذكور حائض واحد، يراحم بالتركب
والشاهد الاستماع الأحاديث والأسانيد عن النبي محمد ﷺ رسول الله الملك

(۱) فر (۲) مکتبہ المصنوعہ

(٢) كما في الأصل، والخط، وفي نسخة أخرى، وأما في نسخة المصنف

(۳) من (او اولی) ملت، و من (یا) ملت، و لعل الصوت مائت

(2) - (11)

الواحد، يرتاع^(١) في رياضِ الأنسِ بتصحیح العقائد، يخوضون في الرحمة، ويرجون من الله تعالى العصمة.

وأنت يا مسكين، يا مطرود، عن هذه^(٢) الطريقِ شاردٌ، قد استحوذَ عليك الشيطانُ المارد، وقادَبَكَ إلى جميع المعاصي والمنهيات كالـدليلِ القائد، وأخذَ بعنانِكَ إلى قبيح خذلانِكَ، وسلَكَ بك طُرُقَ المهالك، بأقوالِكَ وأفعالِكَ شَرُّ الموارد، ورَمَى بك تحت شِباكٍ انهماكِ أنواع المصايد، كم ذا أعالِجُكَ، كم ذا أعادِلُكَ^(٣)؟ أمتحركُ أنت أم صخرٌ جامدٌ، وكأني أضربُ على حديدٍ باردٍ؟

فاستحي من الله تعالى على قدرِ إنعامِهِ عليك، وإدراهِ رزقِهِ لَدَيْكَ، فإلى كم لا تُفِيقُ من سَكَراتِ غَمَرَاتِ الضيق، وزُكامِ الحريق، قد أعماك اللهُ والغناءُ عن الطريق، وقادَبَكَ الشيطانُ إلى يسارِ الحريق، فلا ترى ولا تسمعُ إلا المُحال، من القبائح والقيِل والقالِ؟

قد مالَ إلى المِزَمِرِ والمِلاهي قَلْبُكَ، وأحضرتَ فيها لُبَّكَ وذَهَنَكَ، وانقادت إليها جوارِحُكَ، وبالَ الشيطانُ في أذُنِكَ.

يا مسكين، أجلسْتَ نَفْسَكَ لِلضحكِ والمِحالِ، بِرَحبةِ أبي الأهوال، وأعجبَكَ الصَّارِخَاتُ المَتَبَرِّجَاتُ بالولاول^(٤)، فلا ترى في ذلك الموطن^(٥)

(١) كذا في الأصل، ومعناها: يرتاع. قال في «تاج العروس» مادة (روع): «وقال أبو زيد: ارتاع للخير، وارتاع له، بمعنى واحد.

(٢) سقط من (ع).

(٣) إنما يقال: عدله، ولعله من باب الإبتاع.

(٤) في (ي): «بالولول». والولاول: جمع ولولة، وهي الصوت المتتابع بالويل والاستغاثة.

«لسان العرب»، مادة: ولول (١١: ٧٣٦).

(٥) في (ع): «الموضع».

إِلَّا ضَاحِكًا سَاهِيًا، وَقَلْبًا قَاسِيًا، غَافِلًا عَنِ الطَّاعَةِ نَاسِيًا، لَاهِيًا (عَمَّا مَضَى وَعَمَّا هُوَ آتِيًا) (١).

وَقَدْ فَرِحَ النَّاسُ بِالنَّاسِ، وَالنِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيْطَانِ، قَدْ احْتَشَدْنَ بِالزَّيْنَةِ وَاللِّبَاسِ، فَلَا تَرَى إِلَّا خَنَاسًا وَوَسْوَاسًا، وَنَاسًا غَيْرَ نَاسٍ، وَالْأَصْوَاتُ قَدْ عَلَتْ بِالضَّحِكِ عَلَى الْقَبَائِحِ الْمُخْتَنَةِ، وَالْأَفْعَالِ الْمُؤَنَّثَةِ.

وَالشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ وَجَدَ بُغْيَتَهُ وَمُنَاهُ، وَنَشَرَ رَايَتَهُ وَفَسَاطِيطَهُ وَأَلْوِيَتَهُ، وَأَبْرَزَ لِأَتْبَاعِهِ أَرْجَاسَهُ وَرِبَاهُ، وَسُرَّ وَفَرِحَ بِمَنْ أَتَّبَعَهُ وَوَافَقَهُ وَشَاهَدَهُ، وَلَا فِي الْقَوْمِ مَنْ يَذْكُرُ اللَّهَ وَيَسْتَغْفِرُهُ بِذَلِكَ الْمَوْطِنِ بِالسَّنَةِ وَلَا شِفَاهُ.

قَدْ غَلَبَ الشَّيْطَانُ عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَاسْتَحْوَذَ عَلَى مَلَائِهِمْ، وَلَعِبَ بِهِمْ وَبِعُقُولِهِمْ، فَإِذَا كَانَ آخِرُ اللَّيْلِ وَقَامَ دَاعِي الْفَلَاحِ، وَتَبَيَّنَ خَيْطُ الْفَجْرِ وَلَا حَ، وَبَدَتْ أَنْوَارُ الصَّبَاحِ، وَقَامَ أَهْلُ الصَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ، وَأَجَابَ الدَّاعِي مَنْ أَجَابَ، وَفَازَ بِالْخَيْرِ وَالثَّوَابِ مَنْ سَبَقَ لَهُ ذَلِكَ فِي أَمِّ الْكِتَابِ، لَا مَنْ خَرَجَ عَنِ الْخَيْرِ وَلَمْ يُجِبْ، وَخَسِرَ فِيمَنْ خَسِرَ وَخَابَ، وَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَاتِ بِاعْتِكَافِهِ عَلَى الْارْتِيَابِ.

أَصْبَحَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ بِزَعْمِهِ أَنَّهُ مِنَ الْمَصْلُومِينَ الْمَخْبُتِينَ، فَمَرَّةً

(١) سقط من (ي). والجادة أن يقال: عما هو آت، ولعله راعى السجع. وإنما يُسَمَّحُ بهذا في الشعر خاصة؛ كقول الناظم:

يا رب هذا العبد أصبح راجيا عفواً عن الماضي وما هو آتيا

وتكون عني في القيامة راضيا حاشا لجودك أن تقنط عاصيا

«النور السافر عن أخبار القرن العاشر» (ص ٣٨٩).

يَنْفُخُ وَيَخْمَطُ^(١)، ومرةً يَتَحَرَّى^(٢) كالغَوَاطِ^(٣)، فتراهُ يَمَسُحُ عَيْنَيْهِ مِنَ النَّعَاسِ، حيراناً مِنَ السَّهَرِ وَالْهُوَاسِ^(٤)، قام سكراناً، مَذْهُولَ الْعَقْلِ هِيْمَاناً، يَتَفَقَّدُ ثِيَابَهُ مِنْ حَرِّ شَرَرِ النَّارِ.

يَفْتَحُ عَيْنَيْهِ مَرَّةً وَيَمَسُحُهَا مَرَّةً، يَمِيلُ بِشِقِّهِ هَكَذَا وَهَكَذَا، يَخَافُ أَنْ يَقَعَ مِنَ السَّهَرِ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ عِنْدَمَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وقد فاته وَقْتُ الصَّلَاةِ، يَتَوَضَّأُ لِصَلَاةِ الصُّبْحِ، يُحَرِّكُ الْمَاءَ خَوْضًا، وَلَا يَعْلَمُ سُنَّةً وَلَا فَرَضًا، فَلَا تَرَى لَهُ وُضوءًا حَسَنًا، وَلَا تَسْمَعُ مِنْهُ دَعَاءَ بَيْنًا.

فإذا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ وَأَحْرَمَ جَعَجَعَ وَزَمَزَمَ^(٥)، جَاءَهُ الشَّيْطَانُ بِالْكَمَكَمَةِ، وَالنَّسِيَانِ وَالْحَمَحَمَةِ^(٦)، فَأَسْلَبَهُ قَلْبَهُ، وَوَسَّوَسَ إِلَيْهِ وَأَغْوَاهُ، وَأَبْهَتَهُ وَأَنَسَاهُ، وَجَرَّ يَدَهُ عَلَى وَجْهِهِ.

(١) في (ي): «يتمخط». وخمط الرجل وتخمط: غضب وتكبر وثار. «لسان العرب»، مادة: خمط (٧: ٢٩٦).

(٢) في (ي): «ينخر». والتحري: القصد والاجتهاد في الطلب، والعزم على تخصيص الشيء بالفعل والقول. «لسان العرب»، مادة: حرى (١٤: ١٧٢).

(٣) غاط يغوط غوطاً: حفر، «لسان العرب»، مادة: غوط (٧: ٣٦٤).

(٤) هَوَسَتِ النَّاقَةُ هَوْسًا: إِذَا اشْتَدَّتْ ضَبَعَتُهَا، وَقِيلَ: تَرَدَّدَتْ لِلضَّبْعَةِ، وَالْأَسْمُ: الْهُوَاسُ كِكِتَاب. كَذَا فِي «تاج العروس»، مادة: هيس (١٧: ٤٧).

(٥) الْجَعَجَعُ وَالْجَعَجَعَةُ: صَوْتُ الرِّيحِ وَنَحْوَهَا، وَفِي الْمَثَلِ: أَسْمَعُ جَعَجَعَةً وَلَا أَرَى طِحْنًا، يُضْرَبُ لِلرَّجُلِ الَّذِي يُكْثِرُ الْكَلَامَ وَلَا يَعْمَلُ، وَلِلَّذِي يَعْذُّ وَلَا يَفْعَلُ. «لسان العرب»، مادة: ججع (٨: ٥٠). وَالزَّمَزَمَةُ: صَوْتُ خَفِي لَا يَكَادُ يُفْهَمُ. «لسان العرب»، مادة: زمم (١٢: ٢٧٢).

(٦) الْكَمَكَمَةُ: التَّغْطِي بِالثِّيَابِ. «لسان العرب»، مادة: كمم (١٢: ٥٢٦). وَالْحَمَحَمَةُ: صَوْتُ الْبِرْدَوْنِ دُونَ الصَّوْتِ الْعَالِي، وَصَوْتُ الْفَرَسِ دُونَ الصَّهِيلِ. «لسان العرب»، مادة: كمم (١٢: ١٥٠).

وَقَالَ لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ: مَرَحَبًا بَوَجْهِ لَا يُفْلِحُ، وَبِتَاجِرٍ لَا يَرْبَحُ، يَا مَحْرُومَ، الْبَارِحَةَ
نَدِيمِي وَقُرَّةُ عَيْنِي وَكَرِيمِي وَخَلِيلِي فِي مَجْلِسِي وَصَاحِبِي وَمُؤَانِسِي^(١)، تَلْهُو
وَتَفَرِّحُ، وَتَتَنَزَّهَ وَتَمَرِّحُ بِكُلِّ مَا شَاهَدْتَهُ عَلَى الْخَنَا وَشُرْبِ الرَّاحِ^(٢)، قَدْ خَرَجْتَ
بِذَلِكَ عَنْ طُرُقِ النَّجَاحِ، وَمَالَتْ بِكَ نَفْسُكَ الْخَبِيثَةَ إِلَى الْخَزْيِ وَالْإِفْتِضَاحِ،
بِالْأَعْمَالِ الْخَبِيثَةِ الْقُبَاحِ، وَالْآنَ حِينَ خَرَجَ عَنْكَ وَقْتُ الصَّلَاةِ وَالْأَرْبَاحِ، أَتَيْتَهَا
لِتُصَلِّيَهَا لِغَيْرِ وَقْتِهَا، أَمْ لَكَ هَاوِيَةٌ^(٣)، وَنَارُكَ الْحَامِيَّةُ.

يَا مَحْرُومَ، يَا مَلُومَ، يَا مَذْمُومَ، الْآنَ فُزْتُ مِنْكَ بِبُغْيَتِي، وَنَلْتُ مِنْكَ حَاجَتِي،
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ آدَمَ الَّذِي أَخْرَجْتَهُ مِنَ الْجَنَّةِ بِلُقْمَةٍ وَاحِدَةٍ أَكَلَهَا عَصَى اللَّهُ بِهَا
فَأَهْبَطَ مِنَ الْجَنَّةِ دَارَ الْأَمَانِ، إِلَى دَارِ الشَّقَاءِ وَالذُّلِّ وَالْهَوَانِ؟ وَأَنَا الْمَسْلُطُ عَلَى
ذَرِيَّتِهِ، أَخْرَجْتُكَ عَنْ الطَّرِيقِ الَّتِي هِيَ أَهْدَى لِمَطْمَعِي فِيكَ وَأَشْبَاهِكَ أَنْ تَكُونَ
مَعِي فِي النَّارِ، فَمَنْ أَرَادَ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا عَصَمَهُ مِنِّي وَلَمْ يُسَلِّطْنِي عَلَيْهِ.

وَهَذَا الْكَلَامُ بِلِسَانِ الْحَالِ. فَقُمْتَ إِلَى صَلَاتِكَ، أَنْتَ حَاضِرٌ فِيهَا بِقَامَتِكَ
وَجَوَارِحِكَ، وَقَلْبُكَ عَنْهَا غَائِبٌ، كَأَنَّهُ فِي ظُلْمَةٍ^(٤) الْغِيَاهِبِ.

فَيُصَلِّيُ هَذَا صَلَاةَ الصُّبْحِ مِنْ تِلْكَ اللَّيْلَةِ، يَضْبُطُهَا صَبًّا، وَيَكْبُتُهَا كَبًّا، لَا يُقِيمُ
رُكُوعَهَا، وَلَا يُتِمُّ سُجُودَهَا، قَدْ أَجْلَسَهُ الشَّيْطَانُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، يَنْقُرُهَا بِأَنْفِهِ لَا
بِجَبْهَتِهِ، إِمَّا بِقَارَعَةٍ^(٥) طَرِيقٍ، أَوْ بَقَعَةٍ نَجَسَةٍ فِي مَضِيقٍ، يَجْلِسُ لَهَا جُلُوسَ الْقِرْدِ
بَيْنَ يَدَيْ سَائِسِهِ، أَوْ مَلَاكِ لِرَأْسِهِ^(٦).

(١) فِي (ع): «مُؤْنِسِي».

(٢) الرَّاحُ: مِنْ أَسْمَاءِ الْخَمْرِ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: رُوحُ (٢: ٤٥٥).

(٣) فِي (ي): «الْهَآوِيَّةُ». (٤) فِي (ع): «ظُلُمَاتُ».

(٥) فِي (ع): «بَقْرِيَّةٌ».

(٦) قَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ: «رَأْسُ الْكَلَابِ وَرَأْسُهَا: كَبِيرُهَا». «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: رَأْسُ (٦: ٩١).

والولهانُ قد ازدري به، وأشغله ووسوسه^(١) وألهمه أحوالَ البارحة، فمرةً يضحكُ ومرةً يتبسّم، هكذا صلاته حتى ينصرفَ منها على هذه الحالة، قد أغبنها بل أغبن^(٢) نفسه من ركوعها وسجودها، ومراعاة أحوالها، ولم يتق الله تعالى فيها، ولا أتم بها آية من القرآن، ولم يأت فيها بالسبعة آراب^(٣).

فإذا صليت الصلاة على هذه الصورة، تقول الصلاة: ضيّعك الله كما ضيّعني. فهذا الذي (اتخذ صلاته)^(٤) هزؤًا ولعبًا، وهذه الصلاة لا يُبثها المَلِكُ بكتاب، (ولا في صحيفة بثواب)^(٥)، ينقُرُها كنقرِ الديك للحبة، فلا تُساوي حبة، ثم تُلَفُّ كالثوب الخلق فيضربُ بها^(٦) وجهُ صاحبها.



(١) قال ابن منظور: «وسوس الرجل: كلّمه كلامًا خفيًا». «لسان العرب»، مادة: وسس (٦: ٢٥٤).

(٢) هذه لغة نادرة.

(٣) أي: أعضاء، واحدها: إرب، والمراد: الجبهة واليدين والرُكبتان والقَدَمان. «لسان العرب»،

مادة: أرب (١: ٢٠٨).

(٤) في (ع): «اتخذ الله صلاته»، وصححت في الحاشية ب: «اتخذ الله في صلاته».

(٥) في (ع): «بثواب ولا في صحيفة».

(٦) سقط من (ع).

فَصْلٌ

[في وصف حال من اتخذ المزمراً]

يا مسكين، بعتَ نَوْمَكَ مِنَ الشَّيْطَانِ، بِرَحْبَةِ الذَّلِّ والهوان، وَقَدْ نَهَاكَ
رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ اتِّخَاذِ الْمَزَامِيرِ وَجَمِيعِ الْأَغَانِي، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ
الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وَقَالَ ﷺ: «إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِشَيْءٍ فَخُذُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ
شَيْءٍ فَانْتَهُوا عَنْهُ كُلَّهُ»^(١).

وَأَيُّ مُنْكَرٍ أَشْنَعُ وَأَقْبَحُ مِنَ الْمِزْمَرِ^(٢)، وَمَا يَتَعَلَّقُ بِبَابِهِ وَإِجَابَةُ^(٣) دَعْوَتِهِ؟!
رُويَ أَنَّ الشَّيْطَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، جَعَلْتَ لِعِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ إِعْلَامًا
بِأَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ وَأَذَانًا، فَمَا أَذَانِي؟ قَالَ: الْمِزْمَرُ، قَالَ: وَجَعَلْتَ لَهُمْ قُرْآنًا،
فَمَا قُرْآنِي؟ قَالَ: الشَّعْرُ وَالْغِنَاءُ^(٤).

وَفِيهِ طَوْلٌ، وَسَنَذْكُرُهُ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

(١) سقط من (ع). والحديث رواه بمعناه عن أبي هريرة رضي الله عنه: ابن ماجه في مقدمة كتابه
«السنن»، باب اتباع سنة رسول الله ﷺ. وهو أول حديث فيه.

(٢) في (ع): «المزمارة». (٣) في (ع): «أجاب».

(٤) رواه عن أنس بن مالك رضي الله عنه موقوفًا عليه: أبو الليث السمرقندي في «بحر العلوم»
(٣١٩: ٢)، ورواه من وجه آخر عن وهب بن منبه من قوله: ابن قتيبة في «الأسربة» (ص ١٥٠)،
وذكره أبو المظفر السمعاني في «تفسيره» (٣: ٢٦٠) وقال عقبه: «والخبر غريب جدًا».

وقد عَلِمْنَا أَنَّ الْمَزْمَرَ أَذَانُ الْخَبِيثِ الشَّيْطَانِ، وَالشَّعْرَ وَالْأَغَانِي قِرَاءَتُهُ^(١)،
فَكَيْفَ لَنَا أَنْ نَأْخُذَهُ أَوْ نَصْرِفَهُ فِي أَفْرَاحِنَا وَأَنْكِحَتِنَا، وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَنَا؟ فَإِنْ
أَخَذْنَا بِهِ وَاسْتَعْمَلْنَاهُ فِي وَلَائِمِنَا وَأَفْرَاحِنَا، فَتَحْنُ مِنْ حِزْبِهِ، وَمُنْقَادِينَ إِلَى
طَاعَتِهِ، وَهُوَ عَدُوٌّ لَنَا.

وقد أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِعِدَاوَتِهِ لَنَا فِي كِتَابِهِ، فَقَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ
عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦].

فقد ارتكبنا النهي، وعَصَيْنَا، وَمَزَّقْنَا الْحِجَابَ، وَاقْتَحَمْنَا الْإِفْكَ وَالْارْتِيَابَ،
وَأَخَذْنَا بِأَنْوَاعِ^(٢) الْمُنْكَرِ مِنْ كُلِّ بَابٍ بَاب.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ لِحْيَةَ عَلَا عَلَيْهَا مِزْمَارًا»^(٣).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ مَلَأَ أُذُنِيهِ (مِنْ الْمَزْمَرِ)^(٤) صُبَّ فِي أُذُنِيهِ^(٥) يَوْمَ
الْقِيَامَةِ الْآنُكَ»^(٦). وَهُوَ الرِّصَاصُ الْمَذَاب.

وهذا وعيدٌ شديدٌ، وَزَجَرٌ أَكِيدُ، ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ
أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

رُوي فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ لَيْلَةَ الْقَدَرِ،
فَيَسْلُمُ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ حَاشَا خَمْسَةَ نَفَرٍ: مُدْمِنُ خَمْرِ، وَعَاقٌ لِوَالِدَيْهِ،
وَمُشَاحِنٌ، وَالْعَشَارُونَ، وَصَاحِبُ كُوبَةٍ^(٧).

(١) فِي (ي): «طَرِيقَتُهُ». (٢) فِي (ع): «مِنْ أَنْوَاعٍ».

(٣) لَمْ أَجِدْ مِنْ ذِكْرِهِ، وَعَلَامَاتُ الْوَضْعِ عَلَيْهِ ظَاهِرَةٌ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(٤) فِي (ع): «مِزْمَارًا». (٥) فِي (ع): «أُذُنُهُ».

(٦) لَمْ أَجِدْهُ هَكَذَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ تَخْرِيجُهُ بِالسِّيَاقِ الْمَعْرُوفِ: «مَنْ جَلَسَ إِلَى قَيْنَةٍ...» الْحَدِيثُ.

(٧) هَذَا جُزْءٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ رَوَاهُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعًا: الْفَاكِهِيُّ فِي =

فَإِنْ قِيلَ: مَا مَعْنَى الْكُوبَةِ^(١)؟ قَالَ^(٢): فَهُمْ أَصْحَابُ الْعِيدَانِ وَالطَّنَائِيرِ
وَالْمَزَامِيرِ.

أَيُّهَا الْمَاهِرُ بِضَرْبِ الْمِعْرَفَةِ، وَمُطَارَحَةِ الْقِيَانِ بِالْأَلْحَانِ وَالْقَوَافِي الْمُؤَلَّفَةِ،
الرَّافِعُ عَقِيرَتَهُ بِالْأَصْوَاتِ الْحَسَنَةِ، الْمُتَرْجِعُ^(٣) بِهَا بِالصَّنْعَةِ وَالْإِحْسَانِ.

أَمَّا إِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَمَارَةِ النِّفَاقِ، وَمَوَاقِعِ الْفِتَنِ، وَهَمَزَاتِ الشَّيْطَانِ لِلْبَلَاءِ
وَالْمِحْنِ، قَدْ أَتَعَبْتَ بِقَبَائِحِ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَيْكِ الْمَلَكَيْنِ الْحَافِظَيْنِ سِنِينَ،
وَجَعَلْتَ اللَّهَ تَعَالَى عَلَيْكَ أَكْبَرَ الشَّاهِدِينَ.

فَتُوبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَإِلَى مَتَى هَذَا التَّسْوِيفُ وَالتَّوَانُ؟ فَقَدْ آنَ مَا هُوَ آتٍ
وَحَانَ، وَيَكْفِي مِمَّا مَضَى فَقَدْ كَانَ مَا كَانَ، فَلَقَدْ طَالَ مَا فَتَنَتْ بِحُسْنِ صَوْتِكَ
كَثِيرًا مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالشُّبَّانِ، وَأَوْقَعَتْهُمْ فِي زَوَايَا الْخِذْلَانِ، وَمَدَارِكِ
مَنَاهِكِ^(٤) مَهَالِكِ مَصَايِدِ اللَّعِينِ الشَّيْطَانِ.

وَمِمَّا يُحْكِي فِي هَذَا الْمَعْنَى: أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرَّ ذَاتَ
يَوْمٍ بِمَوْضِعٍ مِنْ نَوَاحِي الْكُوفَةِ، فَإِذَا فُسَّاقٌ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى شُرْبِ الْخَمْرِ،
وَفِيهِمْ مُغْنٌ يُقَالُ لَهُ: زَادَانُ، وَكَانَ يَضْرِبُ^(٥)، وَيُغْنِي بِصَوْتٍ حَسَنٍ، فَلَمَّا سَمِعَ

= «أخبار مكة»، رقم: ١٥٧٥، وابن الجوزي في «العلل المتناهية»، رقم: ٨٨٠، وقال: وهذا
حديث لا يصح. قلت: وليس فيه ذكر العشارين، وهم أصحاب المكوس.

(١) هي الطبل والنرد. «لسان العرب»، مادة: كوب (١: ٧٢٩).

(٢) أي: قال المجيب.

(٣) تَرْجَعَ؛ أي: رَدَّدَ صَوْتَهُ فِي قِرَاءَةِ أَوْ أَذَانٍ أَوْ غِنَاءٍ أَوْ زَمَرٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتَرَنَّمُ بِهِ. «لسان
العرب»، مادة: رجع (٨: ١١٤).

(٤) فِي (ي): «مناهلك». ولعل المناهلك جمع منهك، ولعل المنهك مصدر ميمي للنهك وهو
الجهد والضعف والهلاك.

(٥) فِي (ع) زِيَادَةُ: «العود».

بِذَلِكَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الصَّوْتُ لَوْ كَانَ يَقْرَأُ الْقُرْآنُ! وَجَعَلَ الرَّدَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَمَضَى^(١).

فَوَافَقَ الْمَقْدُورَ كَلَامُهُ، وَدَخَلَتِ الْهَيْئَةُ فِي قَلْبِهِ، فَقَامَ وَضَرَبَ بِالْعُودِ وَكَسَرَهُ، ثُمَّ أَسْرَعَ فِي طَلْبِهِ حَتَّى أَدْرَكَه، وَجَعَلَ يَبْكِي بَيْنَ يَدَيِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فَاعْتَنَقَهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَجَعَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَبْكِي، ثُمَّ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ: (كَيْفَ لَا)^(٢) أَحِبُّ مَنْ أَحَبَّهُ اللَّهُ؟ فَتَابَ مِنْ ذُنُوبِهِ، وَجَعَلَ يُلَازِمُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَتَّى تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ، وَأَخَذَ حَظًّا وَافِرًا مِنَ الْعِلْمِ حَتَّى صَارَ إِمَامًا فِي الْعِلْمِ.

وَقَدْ جَاءَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَخْبَارِ: رَوَى زَادَانُ^(٣) عَنْ^(٤) عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، رَوَى زَادَانُ عَنْ سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ^(٥).

فَانظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى هَذَا التَّائِبِ وَإِلَى مَا صَارَ أَمْرُهُ إِلَيْهِ وَتَبَدَّلَ حَالُهُ إِلَى أَنْ صَارَ عَالِمًا إِمَامًا فِي الْعِلْمِ بَعْدَ ضَرْبِ الْمِعْزَفَةِ، قَدْ صَارَ رَفِيقَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَرَوِي عَنْهُ الْعِلْمَ.



(١) فِي (ي) زِيَادَةُ: «فَسَمِعَ زَادَانُ قَوْلَهُ، فَقَالَ: مِنْ هَذَا؟ قَالُوا لَهُ: هَذَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: وَأَيُّ شَيْءٍ قَالَ؟ قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الصَّوْتُ لَوْ كَانَ يَقْرَأُ كِتَابَ اللَّهِ! وَجَعَلَ الرَّدَاءَ فِي رَأْسِهِ وَمَضَى».

(٢) فِي (ع): «أَلَا».

(٣) زَادَانُ الْكَنْدِيُّ تُنْظَرُ تَرْجُمَتُهُ مَفْصَلَةٌ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٨: ٢٧٨).

(٤) فِي (ع): «أَنْ».

(٥) ذَكَرَ الْقِصَّةَ بِهَذَا السِّيَاقِ ابْنُ قِدَامَةَ فِي «كِتَابِ التَّوَابِينِ» (ص ١٢٢)، وَرَوَاهَا بِسِيَاقٍ آخَرَ ابْنُ

عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (١٨: ٢٨٣).

فضل [في قصة إبليس وأعدائه]

نُروى في الخبر أن إبليس لعنه الله له أعوانٌ من ولده يبعثهم لإضلال
المؤمنين، منهم من وكله بالمصلين^(١) الصائمين المتصدقين والعباد
الضالحين، وصاحب هذا الصنف: زوبعة الأبيض^(٢)، وهو صاحب الرباطات
والحنج والجهاد، قد سُلط على أهل الخير والصلاح ليُفسد ما هم عليه.

ومنهم من وكله بالأسواق، واسمُه: شلواء^(٣)، وهو صاحب الربا.

ومنهم من وكله بالرحب والمزارع لاجتماع العوام للفضول، واسمُه:
الغاوي، ويكنى بأبي الأهوال^(٤). (فَيَعْقِدُ لَهُمُ الرَايَاتِ، وَيَبْعَثُهُمْ لِإِضْلَالِ النَّاسِ).

وأشدُّهم نكايةً المُكنى بأبي الأهوال^(٥)، وهو الموكَّلُ بالمزمر، وهو
صاحبُ الشجون^(٦) والعرايد^(٧) والشر.

(١) في (ع): «بالمسلمين».

(٢) لم أجد ما ذكره المؤلف، نعم ورد أن زوبعة كان من الجن الذين صرفهم الله لسماع القرآن،
ولذا ورد ذكره في كتب الصحابة. وروى ابن الأعرابي في «معجمه» رقم: ١٠٧ من قول
عطية العوفي أن سليمان عليه السلام أمر ببناء بيت المقدس، فقالوا له: إن زوبعة الشيطان
له عين في الجزيرة... الخبر.

(٣) لم أجد من ذكر هذا. (٤) لم أجد من ذكر هذا.

(٥) سقط من (ع). (٦) في (ي): «الحشود».

(٧) لعلها جمع غريبة، وهي سوء الخلق. «لسان العرب»، مادة: عربد (٣: ٢٨٩).

فإذا أتى أبو الأهوال المزمَرُ^(١) المكنى بِكُنْيَتِهِ قَرِيَّةً^(٢) أو موضعاً^(٣) من المواضع وَقَفَ الشَّيْطَانُ أَبُو الْأَهْوَالِ بِالرَّحْبَةِ الْمَعْتَادَةِ لِذَلِكَ، وَنَشَرَ رَايَتَهُ وَهَزَّهَا وَسَطَ الرَّحْبَةِ، وَجَعَلَ يَدَهُ فِي شَعْرَةٍ مِنْ شَعْرَاتِ لِحْيَتِهِ، وَصَاحَ بِأَصْحَابِهِ: لِيَقْبَلِ^(٤) إِلَى مَجْلِسِي^(٥) الَّذِينَ لَا يُفْلِحُونَ، أَلَا مَنْ أَجَابَ دَعْوَتِي، وَدَخَلَ فِي طَاعَتِي، وَقَعَدَ تَحْتَ رَايَتِي فَقَدْ صَارَ تَحْتَ الْخِزْيِ وَالْمَلَامَةِ، وَالتَّوْبِيخِ وَالنَّدَامَةِ، وَخَرَجَ عَنْ طَرِيقِ الْإِسْتِقَامَةِ.

أَلَا إِنَّ رَحْبَتِي هَذِهِ مَنْ أَتَاهَا فَقَدْ أَتَى بَابًا مِنْ أَبْوَابِ الْكِبَائِرِ، وَاحْتَوَى عَلَى جَمِيعِ الشَّرِّ بِأَنْوَاعِ الْمَنَآكِرِ.

أَلَا إِنَّ رَحْبَتِي هَذِهِ مَنْ أَتَاهَا فَقَدْ دَخَلَ فِي حِمَايَ وَذِمَامِي^(٦) وَذِمَّتِي وَحَرِيمِي. أَلَا إِنَّ حَرِيمِي سَجِّينٌ، وَسَجِّينٌ تَحْتَ خَدِّ إِبْلِيسَ (لَعَنَهُ اللَّهُ)^(٧) بِأَدِيمِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ مِنَ الْأَرْضِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سَجِّينٍ﴾ [المطففين: ٧] الآية.

ثُمَّ يَقُولُ أَبُو الْأَهْوَالِ لَعَنَهُ اللَّهُ: أَلَا مَنْ دَخَلَ تَحْتَ رَايَتِي، وَأَجَابَ أَذَانِي وَدَعْوَتِي، وَارْتَاخَ فِي رَوْضَتِي أَنَا صَاحِبُ أَبِي الْأَهْوَالِ الْمُكْنَى بِكُنْيَتِي^(٨)، فَهُوَ مُنَايَ وَبُغْيَتِي، قَدْ تَمَتَّعَ بِقِرَائَتِي، وَقَدْ بَسَطْتُ لَهُ فِي مَجْلِسِي هَذَا بِسَاطِي، (قَدْ

(١) فِي (ع): «إِلَى الْمَزْمَرِ». (٢) فِي (ع): «إِلَى قَرِيَّةٍ».

(٣) فِي (ع): «مَوْضِعٌ». (٤) فِي (ع): «لِيَقْبَلُوا».

(٥) فِي (ع): «مَجْلِسٌ».

(٦) الذَّمَامُ وَالْمَدَامَةُ: الْحَقُّ وَالْحُرْمَةُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّة: ذَمَمَ (١٢: ٢٢٠). وَلَيْسَتْ هُنَا جَمْعُ ذِمَّةٍ؛ لِأَنَّهُ عَطَفَهَا عَلَيْهَا.

(٧) زِيَادَةٌ مِنْ (ع). (٨) فِي (ي) زِيَادَةٌ: «مَنْ دَخَلَ فِي حَزْبِي».

وطبته^(١) "لَكُمْ وَلِئْسَانِكُمْ وَيَنَاتِكُمْ"^(٢)، وهو الذي أعددتُه نزهةً لِلنَّفُوسِ، وحَلَقْتُهُ بِكُلِّ شَرٍّ وَنُوسٍ، فَاسْتَقَرُّوا فِيهِ بِالْجُلُوسِ، فَأَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَقَرَّةَ عَيْنِي وَأَتْرَابِي، وَنَدَمَانِي وَأَحْبَابِي.

ومجلسي هذا مجلسُ فرحةٍ وَجَمَالٍ وَنَزْهَةٍ، وَقَدْ أَسْرَعْتُ إِلَيْهِ، وَهَرَوْتُ بِأَلَا زِدْحَامٍ عَلَيْهِ، هَذَا فِي الظَّاهِرِ دُونَ مَا أَضْمَرْتُ لَكُمْ فِي الْبَاطِنِ، وَإِنَّمَا أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ مَجْلِسِي هَذَا مُزَيْنٌ مَلِيحٌ فِي الظَّاهِرِ، وَفِي بَاطِنِهِ الْمَكْرُ، وَالشَّرُّ وَالْمَحْنُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ.

أَلَا إِنَّ مَجْلِسِي شَرُّ الْمَجَالِسِ، لَا يَحْضُرُهُ إِلَّا السَّفَلَةُ وَأَتْبَاعُ الْوَسَاوِسِ، وَمَعَ (ذَلِكَ إِنِّي)^(٣) أَخْبَرْتُكُمْ بِأَنِّي لَيْسَ لِي عَلَيْكُمْ سُلْطَانٌ إِلَّا بِالْحَيْلِ هَذِهِ كَمَا رَأَيْتُمْ مِنَ الزَّيْنَةِ وَالْمَرَاتِبِ الدُّنْيَوِيَّةِ، أَنْ دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهَا بِالتَّهْيِيجِ وَالْوَسْوَسَةِ فَأَجَبْتُمْ^(٤)، فَإِنَّ النَّفْسَ خِزَانَتِي وَإِلَيْهَا مَرْجِعِي، وَهِيَ مَقْعَدِي وَوَسَادَتِي.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٢].

(أَي: قَالَ إِبْلِيسُ لَمَّا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، وَاسْتَقَرَّ بِكُلِّ فَرِيقٍ قَرَارُهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٢]؛^(٥) أَي: وَعَدَ مَنْ أَطَاعَهُ بِالْجَنَّةِ، وَمَنْ عَصَاهُ بِالنَّارِ، ﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾ [إِبْرَاهِيم: ٢٢] أَنَا خِلَافَ ذَلِكَ،

(١) فِي (ي): «أَوْطِيته»، وَفِي (ع): «وُطِيته». قَالَ فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»، مَادَّة: وَطِي (١٥: ٣٩٦):

«وُطِيته وَطَأَ لُغَةً فِي وَطِيته»، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: وَطَأَتْهُ؛ أَي: مَهْدَتْهُ.

(٢) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٣) فِي (ع): «ذَلِكَ فَإِنِّي».

(٤) زِيَادَةٌ مِنْ (ي).

(٥) فِي (ع): «فَاسْتَجَبْتُمْ».

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] وعدي، ووفى الله بوعده^(١)، ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ أي: ما كان لي عليكم فيما وعدتكم به من النصرة حُجَّة تَثْبُتْ لِي عَلَيْكُمْ تُصَدِّقَ قَوْلِي، ﴿إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَأَسْتَجِبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ أي: إلا أن دعوتكم إلى طاعتي ومعصية الله تعالى فأجبتُموني، ﴿فَلَا تُلْهُمُونِي وَلَوْلُمُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] عليها، ﴿مَا أَنَا بِمُضِرِّخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُضِرِّخِي﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ أي: بِمُغِيثِكُمْ وما أنتم بِمُغِيثِي، ﴿إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ﴾ [إبراهيم: ٢٢] مِنْ عِبَادَتِكُمْ قَبْلُ فِي الدُّنْيَا، ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢]؛ أي: مُوجِع.

قال محمد بن كعب القرظي^(٢): فَلَمَّا سَمِعُوا مَقَالَهٗ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللهُ هَذِهِ فِي خُطْبَتِهِ مَقَتُوا أَنْفُسَهُمْ، فَنُودُوا: ﴿لَمَقْتُ اللهُ أَكْبَرَ مِنْ مَقَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾ [غافر: ١٠]^(٣).

قال الحسن^(٤): إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَقُومُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللهُ خَطِيئًا عَلَى مِنبَرٍ مِنْ نَارٍ يَقُولُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية^(٥).

وروى عامر بن عقبة الجُهَنِي، قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا جَمَعَ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، وَفَرَّغَ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَ النَّاسِ، قَالَ الْمُؤْمِنُونَ:

(١) في (ع): «عهده».

(٢) محمد بن كعب بن سليم بن أسد، أبو حمزة القرظي المدني، وكان قد نزل الكوفة مدة، ثقة عالم. «تقريب التهذيب» (ص ٥٠٤).

(٣) رواه ابن جرير الطبري في «جامع البيان»، رقم: ٢٠٦٤٧ (١٦: ٥٦٣، ٥٦٤).

(٤) هو الحسن البصري الإمام رحمه الله.

(٥) رواه ابن جرير الطبري في «جامع البيان»، رقم: ٢٠٦٤٦ (١٦: ٥٦٣).

قَدْ قَضَى بَيْنَنَا رَبَّنَا، (فَمَنْ يَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبَّنَا؟) ^(١)، فيقولون: انطلقوا بنا إلى مَنْ خَلَقَهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَعَلَّمَهُ الْأَسْمَاءَ؛ أَي: أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، يَعْنِي: آدَمَ، فَيَأْتُونَهُ فيقولون: اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبَّنَا، فيقول: عَلَيْكُمْ نُوحٌ، فَيَأْتُونَ نُوحًا فَيَدُلُّهُمْ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَدُلُّهُمْ عَلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى فَيَدُلُّهُمْ عَلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى فَيَدُلُّهُمْ عَلَى النَّبِيِّ الْأَمِيِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «فَيَأْتُونِي فَيَسْأَلُونِي أَنْ أَشْفَعَ لَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ، فَيَأْذُنُ اللَّهُ لِي بِالْقِيَامِ، فَيَثُورُ لِمَجْلِسِي أُطِيبَ رِيحُ شَمِّهَا أَحَدٌ، حَتَّى آتِيَ رَبِّي فَأَشْفَعَ فَيُشَفِّعَنِي لَهُمْ. فيقول لَهُمُ الْكَفَّارُ عِنْدَ ذَلِكَ: قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَمَنْ يَشْفَعُ لَنَا؟ فيقولون: مَا هُوَ إِلَّا إِبْلِيسُ، هُوَ الَّذِي أَضَلَّنَا، فَيَأْتُونَ إِبْلِيسَ فيقولونَ لَهُ: قَدْ وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَهُمْ، فَقُمْ فَأَشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبَّنَا؛ فَإِنَّكَ أَضَلَلْتَنَا، فيقومُ فَيَثُورُ لِمَجْلِسِهِ أُنْثَى رِيحُ شَمِّهَا أَحَدٌ قَطُّ، فعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ لَعْنَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] إلى قوله: ﴿أَلَيْمٌ﴾ [إبراهيم: ٢٢] ^(٢)».

وَلِنَرْجِعَ إِلَى مَا كُنَّا بِسَبِيلِهِ، فَإِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي رَحْبَةِ أَبِي الْأَهْوَالِ تَحْتَ رَايَةِ الشَّيْطَانِ، سَمِعَ لَهُمْ ضَجَّةً وَضَوْضَاءً وَوَهْلَةً وَعَجِيجًا وَضَجِيجًا، وَلِلنِّسَاءِ ضَغْضَغَةٌ وَتَبْرِيحًا، وَلِلصَّبِيَّانِ قَاحَةٌ وَضَحْكًا وَتَهْيِيجًا ^(٣).

فَتَرَاهُمْ فِي فَرْحٍ وَوَهْلَةٍ وَحَرَكَةٍ وَمِحْنَةٍ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَشْغُولٌ بِالْبُهْتَانِ، وَالزُّورِ وَالطُّغْيَانِ، قَدْ غَلَبَ ضَوْءُ النَّارِ عَلَى ظِلْمَةِ اللَّيْلِ، وَلَا فِي الْقَوْمِ مَنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا مَنْ يَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، إِلَّا فِي ضَحْكٍ وَوَلَاوٍ وَصِيَاخٍ وَزِلْزَالٍ، وَمَزَامِرٍ عَلَى آلَاتِ أَبِي الْأَهْوَالِ.

(١) سقط من (ي). (٢) رواه الدارمي في «سننه»، رقم: ٢٨٤٦ (٣: ١٨٤٩).

(٣) في (و): «وتصحيحًا»، وصححت في الحاشية بـ: «وتصحيحًا».

فَتَّب يا أَخِي بَيْنَمَا أَنْتَ حَيٌّ وَيُقَبَّلُ^(١) مِنْ عَمَلِكَ شَيْءٌ مِنْ^(٢) طَاعَتِكَ فِي
مرضاة الشيطان؛ لِئَلَّا تَلْقَى اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْكَ غَضَبَان، وارجع إلى أحكام الشريعة
والقرآن، يُجَازِيكَ رَبُّكَ بِالْغُفْرَانِ، وَيُدْخِلُكَ جَنَّةَ الرِّضْوَانِ، لِلْخَيْرَاتِ الْحَسَنِ،
أَوْ مَا سَمِعْتَ مُنْزَلَ الْقُرْآنِ يُبَيِّنُ لِأَهْلِ الْعُقُولِ وَالْأَذْهَانِ: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا
الْإِحْسَنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].



(١) في (ي): «ألا يرفع».

(٢) أي تب من طاعتك في مرضاة الشيطان بينما أنت حي ويُقبَّل من عملك شيء.

فَضْلٌ

[في التحذير من الدنيا]

يا أخِي، احذر الدُّنْيَا وزِينَتِهَا؛ فَإِنَّهَا غَرَارَةٌ خَدَاعَةٌ مَكَّارَةٌ، تَظُنُّ أَنَّهَا مُقِيمَةٌ وَهِيَ سَيَّارَةٌ، وَمَصَالِحَةٌ قَدْ شَنَّتْ الْغَارَةَ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ، وَالْبِدَارَ الْبِدَارَ، فَكَأَنَّكَ بِالمَوْتِ قَدْ خَطَفَ^(١)، ثُمَّ عَادَ إِلَى الْبَاقِي^(٢) وَعَطَفَ، تَنَبَّهْ لِنَفْسِكَ يَا ابْنَ النَّطْفِ، فَقَدْ أَجَادَ^(٣) الرَّامِي الخَذْفَ^(٤)، إِلَى كَمْ سِيرِكَ فِي سَرَفٍ، لَيْتَ هَذَا الْعَزْمَ وَقَفَ، تُؤَخِّرُ الصَّلَاةَ ثُمَّ تَكْتُبُهَا^(٥) كَالْبَرْقِ إِذَا خَطَفَ، الْجَسْدُ أَنِّي^(٦) وَالْقَلْبُ انصَرَفَ، يَا مَنْ بَاعَ الدُّرَّ^(٧) وَاشْتَرَى الخَزْفَ، ابْسُطْ بِسَاطَ الحُزْنِ عَلَى رَمَادِ الْأَمْسِ.

وَاعْلَمْ أَنَّكَ (حَافِظٌ وَضَابِطٌ)^(٨)، لَيْسَ بِنَاسٍ وَلَا غَالِطٍ، (عَلَيْكَ حَافِظٌ)^(٩) يَكْتُبُ عَلَيْكَ الْأَلْفَاظَ السَّوَاقِطَ، وَأَنْتَ عَلَى الْمَلَاهِي خَابِطٌ، قَدْ اشْتَغَلَ مَشْيُكَ فِكْمَ تَغَالِطٍ؟ ابْكِ عَلَى مَا مَضَى وَيَكْفِي الْفَارِطَ.

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ مَا أَبْعَدَ^(١٠) مَا فَاتَ، وَمَا أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ، فَمَا لِلْعَيُونِ قَدْ اخْتَلَفَتْ أَنْوَارُهَا، وَكَثُرَ نَظَرُهَا إِلَى الْمَحْرَمَاتِ فَقَلَّ بُكَاءُهَا، آهِ آهِ لِأَمْرَاضِ

(١) فِي (ع): «خَطَفَتْ». (٢) يَعْنِي: الْبَاقِي عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ.

(٣) فِي (و) وَ(ع): «حَادَ». (٤) فِي (و) وَ(ع): «الْخَذْفُ».

(٥) فِي (ع): «تَكْتُبُهَا»، وَصُحِّحَتْ فِي الْحَاشِيَةِ بِ: «تَكْتُبُهَا».

(٦) أَنِّي أَنِّيَا فَهُوَ أَنِّي: تَأَخَّرَ وَأَبْطَأَ، كَذَا فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: أَنِّي (٤٨: ١٤).

(٧) فِي (ع): «الْدَّارَ». (٨) فِي (و) وَ(ي): «حَافِظًا وَضَابِطًا».

(٩) زِيَادَةٌ مِنْ (ي). (١٠) فِي (و): «أَبْعَتْ».

نُفُوسٍ قَدْ يَتَسَّ طَبِيبُهَا، وَلَأَصْوَاتٍ مَوَاعِظَ قَدْ خَرَسَ (مُجِيبُهَا).

يا أَخِي، أَنْفَاسُكَ مَعْدُودَةٌ، وَلَحَظَاتُكَ مَشْهُودَةٌ، وَأَفْعَالُكَ مَرْدُودَةٌ، وَعَلَيْهَا رَقِيبٌ يُحْصِيهَا^(١)، فَسُبْحَانَ مَنْ لَا تُغْلِطُهُ الْمَسَائِلُ، وَلَا تَخِيبُ لَدَيْهِ الْوَسَائِلُ.

ذَكَرَ (أَبُو طَالِبٍ الْمَكِّي) ^(٢) فِي كِتَابِ «قُوتِ الْقُلُوبِ» أَنَّ الْيَوْمَ وَاللَّيْلَةَ أَرْبَعَةٌ ^(٣) وَعِشْرُونَ سَاعَةً، وَفِي كُلِّ سَاعَةٍ اثْنَا عَشَرَ ^(٤) دَقِيقَةً، وَفِي كُلِّ دَقِيقَةٍ اثْنَا عَشَرَ ^(٥) شَعِيرَةً، وَأَنَّ كُلَّ شَعِيرَةٍ مِنْهَا يَتَنَفَّسُ فِيهَا الْإِنْسَانُ اثْنِي عَشَرَ نَفْسًا ^(٦).

فَعَدَدُ الْأَنْفَاسِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ نَفْسٍ وَتِسْعُ مِثَّةِ نَفْسٍ وَاثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ نَفْسًا، وَعَدَدُهَا فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَلْفُ نَفْسٍ وَسِتُّ مِثَّةِ نَفْسٍ وَثَمَانِيَةُ نَفْسٍ ^(٧).

فَمَا كَانَ مِنْهَا فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَهُوَ حَيٌّ، وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ مَيِّتٌ.

فَانْظُرْ فِي نَفْسِكَ رَحِمَكَ اللَّهُ تَجِدْ أَنْفَاسَكَ كُلُّهَا مَيِّتَةً، وَاعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ فِي كَمِينِ الْغَيْبِ، لَا تَعْلَمْ مَتَى يَأْتِيكَ، فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ مِنْ إِيْتَانِهِ لِئَلَّا يَأْتِيكَ وَأَنْتَ مَيِّتُ الْقَلْبِ، وَمَوْتُ الْقَلْبِ ^(٨): الْغَفْلَةُ وَالْإِصْرَارُ عَلَى الْمَعْصِيَةِ، وَالْعَصْمَةُ وَالْخَيْرُ بِيَدِ اللَّهِ تَعَالَى، يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَمَا أَمَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى أَنْ نُصَرِّفَ الْأَنْفَاسَ وَنُخْرِجَهَا - وَهِيَ الَّتِي تَقُومُ بِهَا الْبَنِيَّةُ، وَهِيَ رَاحَتُنَا وَحَيَاتُنَا - إِلَّا فِي طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى؛ لِأَنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا.

(١) سقط من (و). (٢) زيادة من (ي).

(٣) كذا في الأصول، وكذا في «قوت القلوب».

(٤) كذا في الأصول. (٥) كذا في الأصول.

(٦) «قوت القلوب» (ص ٥٠)، لكنه ذكر أن كل شعيرة أربعة وعشرون نفسًا.

(٧) كذا في الأصول. (٨) في (ع): «القلوب»، وفي (ي) زيادة: «إنما هو فكرة».

وأنفاسنا بيد القدرة، إن شاء خروجهما^(١) عَنَّا خَرَجَتْ^(٢)، وإذا خَرَجَتْ الأنفاسُ
عَنِ الْعَبْدِ بَطَلَتْ الحركات، وَتَمَّتْ الأيام، وَانْقَضَتْ الساعات، وَقَدْ تَكَلَّمَ الْعِلْمَاءُ
فِي ذَلِكَ كُلِّهِ، وَلَيْسَ هَذَا الْكِتَابُ مِمَّنْ^(٣) يَسْغُ ذَلِكَ، وَنَحْنُ نُسْأَلُ عَنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾

[الإسراء: ٣٦].

وَالْأَنْفَاسُ مُتَعَلِّقَةٌ بِالرُّوحِ، وَالرُّوحُ مَسْكَنُهُ الْقَلْبُ، وَالرُّوحُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ
تَعَالَى، (لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥])^(٤).

وَمِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ عَلَيْكَ أَنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ بِالسَّبْعَةِ آرَابٍ، وَأَسْجَدَكَ بِحَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ
وَمَعُونَتِهِ عَلَيْهَا، وَشَقَّ وَجْهَكَ (فِي سَبْعٍ)^(٥)، (وَجَعَلَ رِزْقَكَ فِي سَبْعٍ، وَهُوَ قَوْلُهُ
تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ * أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا * ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ
شَقًّا * فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعَبَبْنَا وَقْصَبًا * وَزَيَّنَّا وَنَخْلًا * وَحَدَّاقٍ غُلْبًا *
وَفَلَكِهَةً وَأَبًا * مَتَلَعَا لَكُم * وَلَا نُعَلِّمُكُمْ * فَإِذَا جَاءَتْ الصَّاحَةُ﴾ [عبر: ٢٤-٢٣].

وَالصَّاحَةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ، حَذَّرَ اللَّهُ تَعَالَى عِبَادَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِيَعْمَلُوا
لَهُ، وَأَعْلَمْنَا سُبْحَانَهُ بِمَا أَثَبَّتَ لَنَا مِنَ الْحَبِّ وَالْأَرْزَاقِ وَالْفَوَاكِهِ وَغَيْرِهَا،
(لِنُحْمَدَهُ وَنُشْكِرَهُ وَنُطِيعَهُ وَنُمَثِّلَ)^(٦) أَوْامِرَهُ.

(١) فِي (و) وَ(ع): «مَنْعَ خُرُوجِهَا». (٢) بِيَاضٍ فِي (و) بِمَقْدَارِ كَلِمَةٍ.

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ. (٤) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٥) فِي (ع): «شَقًّا». وَلَعَلَّ الْمُرَادَ بِالسَّبْعِ: الْجِهَةُ وَالْعَيْنَانِ وَالْأَنْفَ وَالشَّفَتَانِ وَاللِّسَانَ، وَأَمَّا الْأُذُنَانِ
فَلَيْسَتَا مِنَ الْوَجْهِ.

(٦) رُسِمَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ فِي الْأَصُولِ هَكَذَا: «لِنُحْمَدُوهُ وَنُشْكِرُوهُ وَنُطِيعُوهُ وَنُمَثِّلُوهُ».

ولا يَقْوَى على ذلك أَحَدٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ، أَنْ يَقُومَ بِشُكْرِ النِّعْمَةِ الَّتِي أَنْعَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِهَا عَلَيْنَا.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]؛ أي: ظَلُمُوا لِنَفْسِهِ، جَهُولًا^(١) بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِ.

ومن النعمة السابعة، والقدرة البالغة، ما أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ ضَوْءِ الْبَصَرِ، وَهُمَا نُورَانِ مِنْ مَاءِ سِرِّ قُدْرَتِهِ كَالْقَارُورَةِ الصَّافِيَةِ، شَقَّهُمَا وَجَعَلَهُمَا فِي وَجْهِكَ طَلَانِعَ عَلَى بَدَنِكَ وَجَمِيعِ جَوَارِحِكَ، يَحْفَظَانِهَا وَيَرْعَيَانِهَا، مِنْهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ.

وَجَعَلَهُمَا بَيَاضًا فِي سَوَادٍ عَلَى أَلْوَانٍ شَتَّى مُخْتَلِفَةٍ: أَشْهَلُ^(٢) وَأَكْحَلُ وَأَزْرَقُ، طَلِيعَةً مُشْرِفَةً عَلَى جَمِيعِ الْأَعْضَاءِ فِي الْحَيَاةِ كُلِّهَا كَالطَّلِيعَةِ عَلَى الْعَسْكَرِ، وَأَصْلَحَ لِلْمَطَالَعِ^(٣) الْمَكَانَ الْمَشْرِيفَ، وَجَعَلَهُمَا فِي كَنْفَيْنِ حِرَاسَةً لَهُمَا، وَتَوْفِيرًا لِلضَّوْءِ بِاجْتِمَاعِ شُعَاعِهِمَا، فَالَّتِ الْعَيْنُ مِنْ طَبَقَاتٍ أَرْبَعٍ كَالْقُشُورِ الْمُتْرَاكِبَةِ، فَلَوْ تَعَسَّرَ مِنْهَا^(٤) وَاحِدَةٌ لَبْطَلَ حُكْمُهُمَا^(٥)، وَخُلِقَ لَهُمَا الْهُدَبُ^(٦) لِدَفْعِ مَا يَظْهَرُ إِلَيْهِمَا وَهُوَ الْجَفْنُ، وَلِيُعَدَّلَ الضَّوْءُ بِسَوَادِهِ.

وهذا بعضُ ما نَجِدُهُ فِي الظَّاهِرِ دُونَ الْبَاطِنِ، ففِيهِمَا مِنْ عَجَائِبِ الْقُدْرَةِ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ، وَالصَّوَابُ: ظُلُومٌ ... جَهُولٌ.

(٢) الشُّهْلَةُ فِي الْعَيْنِ: أَنْ يَشُوبَ سَوَادُهَا زُرْقَةً. وَعَيْنٌ شَهْلَاءُ وَرَجُلٌ أَشْهَلُ الْعَيْنِ. «لسان

العرب»، مادة: شهل (١١: ٣٧٣).

(٣) فِي (و) وَ(ع): «المطالع».

(٤) فِي (ع): «منهما».

(٥) يَعْنِي: الْعَيْنَيْنِ.

(٦) الْهُدْبَةُ وَالْهُدْبَةُ: الشَّعْرَةُ النَّابِتَةُ عَلَى شَفْرِ الْعَيْنِ. «لسان العرب»، مادة: هذب (١: ٧٨٠).

(ما تَكَلَّ عَنْهُ الْعَقُولُ) ^(١)، وَلَوْ دَقَبْنَا ^(٢) نَصِفُ كُلَّ جَارِحَةٍ لَخَرَجْنَا عَمَّا إِلَيْهِ
فَصَلْنَا مِنَ الْإِخْتِصَارِ.

فَانْظُرْ هَذِهِ الْقُدْرَةَ الْبَالِغَةَ، وَفِي خَلْقِكَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ^(٣) تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَأَقْلِعْ عَنْ عَصِيَانِكَ، وَتُبْ إِلَى اللَّهِ مِنْ إِصْرَارِكَ، وَاحْذَرِ أَخْلَهُ، إِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ
شَدِيدٌ، لَا سِيَّيْمًا إِنْ كُنْتَ عَلَى غَفْلَةٍ، فَيَعْظُمُ ^(٤) لِيَذْلِكَ نَدْمُكَ ^(٥)، وَيَطُولُ أَسْفُكَ.
فَغَضَّ طَرَفَكَ، وَاقْبِضْ جَوَارِحَكَ عَمَّا لَا يَجِلُّ لَكَ، وَلَا تَصْرِفْهَا فِيمَا لَا يَصْلُحُ.
قَالَ الْحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الْعِبَادَةُ أَوَّلُهَا وَآخِرُهَا غَضُّ الْبَصَرِ عَنْ رُؤْيَا الدُّنْيَا
وَزِيَّتِهَا ^(٦).

وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ، ثُمَّ تَكُونُ شَهْوَةً، ثُمَّ تَكُونُ مَعْصِيَةً لَا تُرَدُّ إِلَّا بِعَصْمَةِ اللَّهِ
تَعَالَى. فَقَلَّ طَرَفٌ ^(٧) يَكُونُ قَلْبُهُ ^(٨) لَهُ مُسَاعِدًا إِلَّا كَانَتْ جَوَارِحُهُ مُنْقَادَةً لَهُ.
فَيَأْتِيَاكُمْ وَإِطْلَاقُ سِهَامِ أَعْيُنِكُمْ عَلَى قُلُوبِكُمْ، فَمَا بَقِيَ غَرَضٌ فَصَدَّتْهُ السَّهَامُ.
وَيَأْتِيَاكُمْ وَالتَّعَرُّضُ لِسَخَطِ الْجَبَّارِ، فِي إِطْلَاقِ الْأَبْصَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ الطَّرْفَ
دَلِيلُ الْجَوَارِحِ، فَمَا ظَنُّكَ بِدَلِيلِ خَائِنٍ، كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ اسْتَدَلَّ بِهِ وَاتَّبَعَهُ؟
وَمَا أَمَدَهُ اللَّهُ ^(٩) بِهَذِهِ الْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ إِلَّا لِيَسْتَعِينَ بِهَا عَلَى طَاعَتِهِ وَالْإِسْرَاعِ
إِلَى مَرْضَاتِهِ.

(١) سقط من (ي).

(٢) في (و) و(ع): «فيقطع».

(٣) لم أجده عنه هكذا.

(٤) في (ع): «قلبك».

(٥) في (ع): «قلبك».

(٦) في (ع): «قلبك».

(٧) في (ع): «قلبك».

(٨) في (ع): «قلبك».

(٩) في (ع): «قلبك».

فانظر كيف خلق الأشياء بلا مثال، واختَرعها بغير مشقة ولا إشكال،
ثم انظر إلى سماء الدنيا كيف جعلها موضعاً لبصرِكَ؛ لِتَعْتَبِرَ^(١) كيف رزَّتها
بعلامات النجوم، وحفظها من الشياطين برِواصِدِ الرُّجوم، فكأنه قال سبحانه:
يا عبادي، شَقَّقتُ أبصارَكُمْ، وجَعَلْتُ فيها النُّورَ سِرًّا مِنْ أسرارِ عَجائبي،
وغياباتِ عِلْمي، ويدائعِ حِكْمَتِي في خَلْقِي، ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي
وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وشكُّره أن تَمَثِّلَ أوامره، وألا تنظر إلى المحرمات، والملاهي المحظورات.
يا أخِي، تقول عن نَفْسِكَ: أنا وأنا، وتخالطُ الفقهاءَ والفضلاءَ مِنَ الناسِ
وأهل الخيرِ والصلاح، تُزاحِمُ على الصَّفِّ الأول، وتنتهي الناسَ عن قِيلَ
وقال، وتجتهدُ في ارتقابِ الأوقات، لإقامة الصلوات، فإذا لاح شيءٌ من
المحرمات، والمناهي وجميع المحظورات، نَسِيتَ ما كنتَ عليه، وهَرولتَ
بالله^(٢) والمشي إليه.

وقلت: ما في المزمِرِ أبي الأهوالِ إثمٌ ولا هو منكِرٌ، ولا على مَنْ مَشَى
إليه وشاهدَه عارٌ ولا شَتَانٌ، وقد سُلِبَ عنكَ رُوحُ الحياءِ، بِسِيرِكَ إليه على
المَلَقِ والرياء.

قد كَشَفْتَ عن وجهِكَ قِناعَ الخير، وبرَقَعْتَه^(٣) بِرُقَعِ الأنجاسِ والضَّيرِ،
وقد صُمِّمْتَ مِنَ الآذانِ، وعَمِيتَ مِنْكَ البصائرُ العَقْلِيَّةُ ويا لَيْتَه ما كان، فشاهدتَ
مَجْلِسَه بِأَضْيَقِ مَكَانٍ، وخُضَّتْ^(٤) في الأنجاسِ والأدناسِ لِلخزيِ والخذلانِ،

(١) في (ع): «فتعتبر».

(٢) كذا بالأصل.

(٣) برَقَعَه فَبَرَقَعَ أَي: ألبسه البرقعَ فَلَبِسه. «لسان العرب»، مادة: برقع (٨: ٩).

(٤) في (ع): «خضعت».

قَدْ سَمِعَ مَنْ كَانَ حَوْلَكَ حَسِيسَ قَلْبِكَ بِالْخَفَقَانِ، وَاضْطَرَبْتَ^(١) جَوَارِحُكَ
بِالْفَرَحَةِ وَالطَّيْرَانِ، وَقُلْتَ: جَاءَ الْعَرِيفُ فُلَانٌ، وَمَعَهُ مِنَ الْقِيَانِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ،
بِكُلِّ مَقَالَةٍ وَإِحْسَانٍ.

قَدْ أَنْكَرْتَ نَفْسَكَ، وَأَزَلْتَ عَنْهَا مِثْرَ الْخَشْوِ وَالْخُضُوعِ، وَكَثَرَةُ الْكَبِّ
عَلَى السَّجُودِ وَالرُّكُوعِ.

وَتَرَكْتَ مُصَاحِبَةَ أَهْلِ الْخَيْرِ وَقُرَاءَةَ الْقُرْآنِ، بِمَسْجِدِ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالْإِيمَانِ،
قَدْ بَدَّلْتَ حَالَتَكَ^(٢) الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا بِالْأَمْسِ بِأَهْلِ الْمَلَاهِي وَالْبَهْتَانِ، مَعَ الشُّبَّانِ
وَالصَّبِيَّانِ، مُوَافِقًا لِلشَّيْطَانِ وَأَصْحَابِهِ وَقُرْنَائِهِ^(٣) وَأَتْرَابِهِ.

وَقَدْ جَاءَ الْكُلُّ بِمَا إِلَيْهِ يَحْتَاجُ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَطْعِمَةِ وَلُحُومِ الدَّجَاجِ، مَعَ مَا
يَأْتُونَ بِهِ مِنَ الْوِطَاءِ وَالْغَطَاءِ، وَالتَّنَافُسِ بِالْإِعْطَاءِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالشَّرَابِ بِرَحْبَةِ
الشَّيْطَانِ شَرِّ الرَّحَبِ.

قَدْ مَلَكَتْكَ أَهْوَاؤُ الطَّبِيعَةِ، وَأَخْرَجَتْكَ عَنْ أَحْكَامِ الْقُرْآنِ وَالسُّنَنِ وَالشَّرِيعَةِ.
فَكَمْ ذَا يَا أَخِي تَجُرُّ أَذْيَالَكَ فِي الْمَجُونِ وَالتَّوَارِجِ^(٤)، وَتَقَطُّعُ أَيَّامَكَ فِي
الْهَارِجِ^(٥)، فَلَا تَعْرِفُكَ الْمَلَاهِي وَالْعَابُ الْكَرَارِيجِ^(٦)، كَأَنَّكَ فِي الْخَارِجِ عَلَى
أَفْعَالِ الشَّيْعِ وَالْخَوَارِجِ.

(١) فِي (ع): «اضطراب». (٢) فِي (ع): «حالك».

(٣) فِي (ي): «وعثراته».

(٤) لَعَلَّهَا جَمْعُ نَوْرَجَةٍ وَهِيَ: الْإِخْتِلَافُ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا. «تاج العروس»، مَادَّة: نَرْج (٦: ٢٣٦).

(٥) فِي (ي): «المارج». وَلَعَلَّهُ يَعْنِي: فِي الْأَمْرِ الْهَارِجِ، وَهُوَ الْمَخْتَلِطُ، يُقَالُ: هَرَجَ النَّاسُ
يَهْرَجُونَ هَرْجًا؛ أَيْ: اخْتَلَطُوا. «لسان العرب»، مَادَّة: هَرْج (٢: ٣٨٩).

(٦) جَمْعُ الْكَرَجِ وَهُوَ الَّذِي يُلْعَبُ بِهِ، فَارْسِي مُعَرَّبٌ. «لسان العرب»، مَادَّة: كَرْج (٢: ٣٥٢).
كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّهُ الْكَرَارِجُ مِرَاعَاةً لِلسَّجْعِ.

استماعك المزمَر المحظور والملاهي ونَقَرَ^(١) الطُّنبور، يُؤدِّيك إلى
ارتكابِ الغُرور، ويُبْعِدُكَ عَن دَارِ الحُبور، دَارِ السَّلامِ الرَّبِّ الغُفُور.



(١) زيادة من (و).

فصل

[في أصناف الناس مع المزمري]

اعلم أن الناس في المزمري أبي الأهوال على ثلاثة أصناف:

فالصنف الأول: وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿رَجَالٌ لَا تُلْهِيمُهُمْ تَجَرَّةً وَلَا بَيِّنَةً عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] الآية، وقال: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢] يعني: الباطل، ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾ [الفرقان: ٧٢]، وهم أهل الحق والإخلاص والدين واليقين، فقد جعله هذا الصنف حراماً بيئاً لا يحل لأحد من المسلمين أن يستعمله ولا يحضره؛ لإنهيه عليه السلام عن اتخاذ المزامير والقيان، وهي من أشراط الساعة.

وهذا الصنف يفرون منه كفرارهم من الأسد، ويجعلون القطن في آذانهم حذراً من أن يسمعه، فهذا الصنف قد عصمهم الله منه، وهم القليل، وقليل ما هم. والصنف الثاني: وهم الذين جعلوه بضعف عقولهم مكروهاً خفيفاً، وقد غلطوا وجهلوا الحق فيه، فتراهم فيه مذبحيين يتخذونه في أنكحتهم وولائمهم، لا يرون به بأساً، يرونه من اللهو الخفيف.

والصنف الثالث: وهم الذين جعلوه مباحاً لا بأس به، لا (يغيرونه ولا ينكروونه)^(١)، وقائل هذا ومن قال بقوله يحل ما حرم الله ورسوله، والمزمري من

(١) في (و) و(ع): «يغيروه ولا ينكروه».

أفعال الشيطان، وأفعال الشيطان كلها باطل وزور ومُنكر، والمزمر رجس نجس من زينة الحياة الدنيا.

قال الله تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْأَفْظَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾ [آل عمران: ١٤] الآية، وهذه من المباحات.

والمباحات حلال لنا اتخاذها على الوجه المباح، وليس بها بأس، ولكن أراد الله سبحانه بعباده خيرا إذ تبههم عليها، ألا يشتغلوا بالأهل والأولاد وكثرة المال عن ذكر الله وعن إقامة فرائضه وحدوده، وألا يستعينوا^(١) بها على معصيته بالبطر والأشر^(٢) والبغي.

كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧] الآية؛ أي: ولو وسع الله عليهم لجاوزوا الحد الذي حد لهم.

﴿وَلَكِنْ يُنْزِلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٢٧]؛ (أي: سهل لهم رزقا مقدرا يصلحهم، وتصلح به أحوالهم)^(٣).

﴿إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الشورى: ٢٧]؛ أي: ذو خبر بهم^(٤)، وذو علم بمن يصلحه التضييق، ويفسده^(٥) السعة، فيعطي كلاً على قدر ما يصلحه.

وقال رسول الله ﷺ: «أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها»، فقال له قائل: يأتي الخير يا رسول الله^(٦)، فقال ﷺ: «إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَأْتِي إِلَّا بِالْخَيْرِ»، في حديث طويل^(٧).

(١) في (و) و(ي): «يستعينون». (٢) في (ع): «الأشوار»، وفي (ي): «الإشارة».

(٣) سقط من (ي). (٤) بياض في (ع).

(٥) كذا في الأصول، وهي لغة صحيحة لها شواهد في القرآن الحكيم.

(٦) كذا في الأصول، والصواب: أو يأتي الخير بالشر يا رسول الله؟

(٧) أخرجه بمعناه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: البخاري في «الجامع الصحيح»، =

فَأَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَهُ وَتَبَهُهُمْ بِتَرْكِ السَّعَةِ فِي الدُّنْيَا؛ لِتَأْخُذُوا مِنْهَا الْبَلْعَةَ لِيَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى الطَّاعَةِ، إِذْ لَا بَدَّ مِنَ الْقُوَّةِ.

رَوَى عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ﴾ [النور: ١٤] الْآيَةُ: الْآنَ يَا رَبُّ حِينَ رَأَيْتَهَا، فَتَنَزَّلَ ﴿قُلْ أَوْفَيْتُكُمْ بِحَقِّهَا مِنْ ذَلِكَ﴾ [النور: ١٥] ^(١).

فَالْمَعْنَى: زَيْنَ اللَّهُ لِلنَّاسِ ذَلِكَ ابْتِلَاءً وَاجْتِبَارًا مِنْهُ، كَمَا قَالَ جَلَّ وَعَزَّ: ﴿وَإِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَتَيْتُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [كهف: ٧].

فَأَخْبَرَ بِالْعَلَّةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا جَعَلَ مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا، فَهَذِهِ الْمَبَاحِثُ قَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ تَعَالَى زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، يَتَّبِعِي بِهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَتَنَبَّأُهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [التقوى: ٩].

(قَالَ عَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ: ﴿عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [التقوى: ٩] ^(٣): عَنْ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ الْمَفْرُوضَاتِ ^(٤)، وَقِيلَ: هُوَ عَامٌّ، وَقَعَ النِّهْيُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى ^(٥) الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ، وَهُوَ فِي الْمَعْنَى وَقَعَ عَلَى الْمَخَاطِبِينَ، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ: ﴿فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التقوى: ٩].

= كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها، رقم: ٦٤٢٧، ومسلم في «الصحيح»، كتاب الزكاة، باب تخوف ما يخرج من زهرة الدنيا، رقم: ١٠٥٢.

(١) رواه ابن جرير الطبري في «جامع البيان»، رقم: ٦٦٩٥ (٦: ٢٤٤).

(٢) سقط من (ع). (٣) سقط من (ع).

(٤) رواه عن عطاء: البيهقي في «شعب الإيمان»، رقم: ٢٦٥٩ (٤: ٣٦٨)، وعن الضحاك: ابن جرير الطبري في «جامع البيان» (٢٣: ٤١٠).

(٥) في (ع): «عن».

لنبي ومن ينسب إليه ووثقه عنا فرض الله عليه من الصلوات، ومن
ذكر الله، فماتت هم المحظورات خطو طهم من قرائه الله ورحمته.

قد نكح من تنوع لصاحبات من الحلال والطيبات، فكيف حال من انحط
لغيره بالمحظورات المحظورات منا لا يحل لأحد بها؟

قد رجع هذا إلى الله، وأبى إلى الله منه، ولا تعد^(١) إلى مثله، وهذا الذي
حكته من أن جميع المحظورات من المال والمزامير (مباح أو مكروه)^(٢) إنما هو
هذا صريح^(٣). وهي محزنة، قد حزمها الكتاب والسنة، وهي زينة الشيطان
نكح على ولد دم.



(٢) سبط من (ي).

(١) من (و) و(ي) تعود.

(٣) من (و) اسراج.

فصل

يُذَكِّرُ فِيهِ الشَّيْطَانُ وَعِدَاوَتَهُ وَمَكْرَهُ

اعْلَمْ رَجَمَكَ اللَّهُ أَنْ لِلشَّيْطَانِ مَصَايِدَ وَمَكَايِدَ وَجِبَالَاتٍ وَشِبَاكًا وَأَسْبَابًا، قَتَلَ بِهَا كَثِيرًا مِنَ الْخَلْقِ، وَأَهْلَكَهُمْ إِلَى الْأَبَدِ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ صَالِحٍ^(١) عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَنَزِلٍ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَهُوَ يُحَدِّثُهُمْ بِحَدِيثِ آدَمَ، وَكَيْفَ كَانَ بَدَأَ خَلْقَهُ، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِ إِذِ

(١) المشهور بهذا الاسم: الحافظ أبو جعفر أحمد بن صالح المصري، لكن مثله لا يروي هذا الحديث الكذب السمج المختلق.

وفي «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٨: ٥٠) ما نصه: «وسئل عن قصة إبليس وإخباؤه النبي ﷺ وهو في المسجد مع جماعة من أصحابه، وسؤال النبي ﷺ له عن أمور كثيرة، والناس ينظرون إلى صورته عيانًا، ويسمعون كلامه جهرا، فهل ذلك حديث صحيح أم كذب مختلق؟ وهل جاء ذلك في شيء من الصحاح والمسانيد والسنن أم لا؟ وهل يحل لأحد أن يروي ذلك؟ وماذا يجب على من يروي ذلك ويحدثه للناس، ويزعم أنه صحيح شرعي؟

فأجاب: الحمد لله، بل هذا حديث مكذوب مختلق، ليس هو في شيء من كتب المسلمين المعتمدة، لا الصحاح ولا السنن ولا المسانيد، ومن علم أنه كذب على النبي ﷺ، لم يحل له أن يرويه عنه، ومن قال: إنه صحيح فإنه يُعَلِّمُ بحاله، فإن أصر عوقب على ذلك، ولكن فيه كلام كثير قد جُمع من أحاديث نبوية، فالذي كذبه واختلقه جمعه من أحاديث بعضها كذب وبعضها صدق، فلهذا يوجد فيه كلمات متعددة صحيحة، وإن كان أصل الحديث - وهو مجيء إبليس عيانًا إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه وسؤاله له - كذبًا مختلقًا لم ينقله أحد من علماء المسلمين، والله سبحانه وتعالى أعلم».

هُم بِمُنَادٍ يُنَادِي بِالْبَابِ^(١): يَا أَهْلَ بَيْتِ النُّبُوءَةِ وَمَعْدِنِ الرِّسَالَةِ، أَدْخُلْ أَمْ لَا؟
فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَتَعْلَمُونَ مَنْ هَذَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَقَالَ:
«إِنَّهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ».

فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْرِجْ إِلَيْهِ وَأَقْتُلْهُ؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ
عَلَى ذَلِكَ يَا عُمَرُ، إِنَّهُ مِنَ الْمُنْظَرِينَ، وَلَكِنْ مُرِهِ بِالْدُخُولِ؛ فَإِنَّهُ مَأْمُورٌ بِذَلِكَ».
فَقَالَ لَهُ: ادْخُلْ يَا شَيْطَانُ، فَدَخَلَ، فَإِذَا هُوَ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ أَعُورٍ، لَا^(٢)
نَبَاتٍ بَعَارِضِيهِ، عَيْنَاهُ مَشْقُوقَتَانِ بِطُولِ وَجْهِهِ، وَمَنَاخِرُهُ مَفْتُوحَتَانِ، وَفِي لِحْيَتِهِ
عَشْرُ شَعْرَاتٍ كَأَنَّهُنَّ ذَيْلُ فَرَسٍ، أَنْيَابُهُ كَأَنْيَابِ الْخَنْزِيرِ.

فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ خَاصَّةً، وَعَلَى أَصْحَابِكَ^(٣) عَامَةً، فَلَمْ يَرُدْ
أَحَدٌ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: السَّلَامُ لِلَّهِ يَا مُحَمَّدُ، فَلِمَ لَا تَرُدُّوْا^(٤) السَّلَامَ؟
فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «نَعَمْ السَّلَامُ لِلَّهِ، وَلَكِنَّكَ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ نَفْسِكَ
وَعَدُوُّ بَنِي آدَمَ، لِمَ جِئْتَ إِلَيْنَا يَا مَلْعُونٌ؟»

فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مَا جِئْتُكَ اخْتِيَارًا، وَلَكِنْ جِئْتُكَ اضْطِرَارًا.

قَالَ: «وَمَا اضْطَرَّكَ إِلَيْنَا؟»

قَالَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَانِي الْيَوْمَ مَلَكٌ، فَقَالَ: يَقُولُ لَكَ الرَّبُّ تَعَالَى: ائْتِ
مُحَمَّدًا فَأَخْبِرْهُ بِكُلِّ^(٥) مَا يَسْأَلُكَ عَنْهُ، وَانْصَحْهُ فِي أُمَّتِهِ، وَإِلَّا هَدَمْتُ أَرْكَانَ
عَرْشِكَ، وَرَدَدْتُهُ رَمَادًا. فَلَذَلِكَ أَتَيْتُكَ.

(١) فِي (ي): «بِالْبَيْتِ».

(٢) زِيَادَةٌ مِنْ (ي).

(٣) فِي (ي): «وَعَلَى فَرَسِ أَصْحَابِكَ».

(٤) كَذَا بِالْأَصْلِ، وَالصَّوَابُ: «تَرُدُّونَ».

(٥) فِي (ع): «عَنْ».

فَقَالَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ أَبْغَضُ خَلْقَ اللَّهِ إِلَيْكَ؟»
فَقَالَ: أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ حِينَ ظَهَرْتَ عَلَيَّ، وَأَفْسَدْتَ مَا كَانَ^(١) بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ.
قَالَ: «فَمَنْ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِي؟»

قَالَ: غَنِي شَاكِرٌ.

قَالَ: «فَمَنْ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِهِ؟»

قَالَ: شَابٌ تَقِيٌّ يُجَدِّدُ تَوْبَتَهُ كُلَّ يَوْمٍ.

قَالَ: «فَمَنْ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِهِ؟»

قَالَ: فَقِيرٌ صَابِرٌ لَا يَشْكُو ضَرَرَهُ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلَّهِ.

قَالَ: «فَمَنْ أَبْغَضُ إِلَيْكَ مِنْ بَعْدِهِ؟»

قَالَ: عَالِمٌ وَرِعٌ، وَلَوْ لَا الْعُلَمَاءُ لَرَدَدْتُ أَمَّتَكَ إِلَى الْجَاهِلِيَّةِ؛ لِأَنَّهُمْ بِهِمْ
يَهْتَدُونَ، وَبِأَثَارِهِمْ يَقْتَدُونَ.

قَالَ لَهُ: «فَإِذَا نَهَضْتَ أُمْتِي إِلَى الصَّلَاةِ، كَيْفَ تَكُونُ؟»

قَالَ: تَأْخُذُنِي الْحَمَى.

قَالَ: «فَإِذَا قَرَأُوا الْقُرْآنَ؟»

قَالَ: أَذُوبُ كَالرِّصَاصِ^(٢) عَلَى النَّارِ^(٣).

قَالَ: «فَإِذَا خَرَجُوا حَاجِّينَ؟»

قَالَ: أَكُونُ مُقَيَّدًا.

(٢) فِي (ع): «كَمَا يَذُوبُ الرِّصَاصُ».

(١) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٣) سَقَطَ مِنْ (ي).

قال: «فإذا صاموا»؟

قال: أكون ملجوما حتى يفطرون^(١).

قال: «فإذا تصدقوا»؟

قال: يا محمد، ما عليّ أشد من ذلك، وكأن المتصدق يأخذني فيضع المنشار في رأسي فيجعلني نصفين، فيرمي النصف الواحد في الجحيم، والآخر في السعير.

قال: «فمن خيار أمتي»؟

قال: شاب يتقي الله.

قال: «فمن شرها»؟

قال: شيخ زان.

قال: «فما طعامك وشرابك»؟

قال: الربا كسبي، والزنا زواجي، واليمين الكاذبة مني، والسرقة ضروري، والحرام غنيمي، والشراب بالشمال مشربي، والبول بالقيام صلاحي، وتفقيع^(٢) الأصابع تسييجي، وتشبيك الأصابع حول الركب فرجي، ولا جامع أخذ امرأته ولم يسّم الله قبل ذلك إلا وأنا معه فيما هو فيه.

قال: «فصف لي خصال^(٣) أهل الجنة»؟

(١) كذا في الأصول.

(٢) في (ي): «وتفقيع». والتفقيع: صوت الأصابع إذا ضرب بعضها ببعض أو فرقعتها. «لسان

العرب»، مادة: فقع (٨: ٢٥٥).

(٣) في (ع): «حال».

قال: الإيمان، والعلم، والحلم، والكرم، والسخاء، والرحمة، والتودد، والنصيحة، والحكمة، والأدب، والمروءة، والذيانة، والجود، والبصيرة، والحياء، والاستقامة، وسعة الخلق، والفطنة، والمعرفة، وكيتمان السر، وبر الوالدين، فهذه يا محمد ما علمت من خصال أهل الجنة من أمتك.

قال: «وما خصال أهل النار؟»

قال: هم أصحاب الشرك، والشك في دين الله، والغلول، وعمى القلب، والملامة، والغضب في غير حق، والظلم، ونسيان الصلاة، والفجور، وترك البر، والقطيعة، والأمن، والإياس^(١)، وعقوق الوالدين، والكذب، والنميمة، والغيبة، والبهتان، وشهادة الزور، والإفك.

أوما^(٢) علمت يا محمد أن ما جعل الله تعالى هذه الخصال إلا فيمن مقته؟ ومن مقته الله أدخله النار.

فقال له النبي عليه السلام: «لقد قلت يا لعين وأحصيت، فما لك لا تؤمن وتتوب وتدخل الجنة؟»

فقال: يا محمد، أنت نبي وصفي، أتأمرني أن أفعل ما لم يرده الله بي وقد قدره علي؟ وقال لآدم: لا تأكل من الشجرة فأكل منها، وقال لي: اسجد لآدم فلم أسجد، ولو شاء ربك لسنجدت، لكن يا محمد خلق الله النار، وخلق لها أهلاً، وجعلني والشياطين دليلهم إليها، وخلق الجنة، وخلق لها أهلاً، وجعلك أنت دليلهم إليها، ويفعل الله ما يشاء، فما جيلني إذ أضلني الله، وأرشدك يا محمد، وقد قال: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ﴾^(٣)، وقوله: ﴿وَبَلَوْنَهُمْ بِالْخُسُفِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾^(٤) الأعراف: ١٦٨.

(١) في (ع): «الأيس».

(٢) في (ع): «أما».

فقال النبي عليه السلام: «الحمد لله الذي هدى أمّتي وأشغلك بها».

فقال اللعين: وأيُّ هُدى لأمتِكَ يا محمد، وأنتَ تَموتُ وأنا حيٌّ مِنَ المُنظَرينَ إلى آخِرِ الخَلقِ؟ عندَ ذلكَ أموت، ولا بدَّ لي أن أقولَ فيكَ وفي الله.
قال: «وما تقولُ في يا ملعون»؟

قال: أقول: إنّما كانتَ الرّسالةُ لعلِّي بن أبي طالبٍ، فأخطأَ بها جبريلُ وأتى محمداً، فغَضِبَ عَلَيَّ فزَوَّجَه مِنْهُ ابنتَهُ لِيَسْكُنَ غَضَبُهُ، فَسَتَكُونُ مِنْهُمْ طائفةٌ يُطِيعُونِي فِي ذَلِكَ.

قال: «وما تقولُ في الله يا عدو الله»؟

قال: أقول: إنّ اللهَ لَيْسَ لَهُ مَشِيئةٌ، وَلَا إِرَادَةٌ، وَلَا يَخْلُقُ، وَلَا النَّاسُ إِلَّا كَالرَّيِّعِ يَمُوتُونَ وَيَبْثُونُ.

فقال النبي ﷺ: «إنّ هذا لكائنٌ والله المستعانُ على إبليس، اخرج يا لعين فقد أَهْلَكَتَ الْعَالَمِينَ».

فقال رسولُ الله ﷺ: «بُعِثْتُ دَاعِيًا وَمُبَلِّغًا، وَلَيْسَ إِلَيَّ مِنَ الْهُدَى شَيْءٌ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مُزَيَّنًا، وَلَيْسَ لَهُ مِنَ الضَّلَالَةِ شَيْءٌ»^(١).

يَعْنِي: يُوسُوسُ وَيُزَيِّنُ الْمَعْصِيَةَ، وَلَيْسَ لَهُ أَكْثَرُ مِنْ ذَلِكَ، فَيَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي دَفْعِ الْوَسْوسَةِ عَنْ نَفْسِهِ، وَيَجْتَهِدَ فِي مَخَالَفَةِ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦]، فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَعْرِفَ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ.

(١) لمحمد بن عبد الهادي الولاتي الحسني الإدريسي العلمي رسالة في حديث النبي ﷺ مع إبليس اللعين، وهي محفوظة بخزانة القصر الملكي بالرباط، برقم: ١٤٠٢٧.

ويُقال: من علامة الجاهل أربعة أشياء: الغضب في غير حق، وأتباع النفس في الباطل، وإنفاق المال في غير حق، وقلة معرفة صديقه من عدوه، يعني: يختار طاعة الشيطان على طاعة الله.

وروي أن إبليس لعنه الله جاء إلى موسى عليه السلام وهو يُناجي ربه، فقال له ملك من الملائكة: ويلك^(١)، ما تَرجو منه وهو على هذه الحالة يُناجي ربه؟ فقال له: أَرجو منه ما رَجوتُ من أبيه آدم وهو في الجنة^(٢).

وقال أحد الحكماء: النفس مَجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمورٌ بِمُلازمة الأدب، فالنفس بطبعها تَجري في ميدان المخالفة، والعبد يَجهد^(٣) في رَدِّها عن سوء المعاملة إلى حُسن المعاملة، فَمَنْ أَطْلَقَ عِنَانَهَا فإلى النار^(٤). وقد سُلِّطَ علينا أربعة من الأعداء: الدنيا، والهوى، والنفس، والشيطان، ولا عاصِمَ إلا الله سبحانه وتعالى.

وقال الشاعر^(٥): [الكامل].

إِنِّي بِلَيْتٍ بِأَرْبَعٍ يَرْمُونَنِي بِالنَّبْلِ^(٦) عَنْ قَوْسٍ لَهَا تَوْتِيرٌ^(٧)

(١) في (و) و(ع): «ويحك».

(٢) رواه عن فضيل بن عياض عن بعض أشياخه: ابن أبي الدنيا في «مكايد الشيطان»، رقم: ٤٨ (ص ٧٢).

(٣) في (ع): «يجتهد».

(٤) روى قريباً منه من قول أبي علي الروذباري رحمه الله: ابن الجوزي في «ذم الهوى» (ص ٤٩).

(٥) سقط من (و). وقد ذكر هذين البيتين من دون نسبة: القرطبي في «التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص ٨٨٠).

(٦) في (ع): «بنبل».

(٧) وتَر القوسَ وأوتَرها: شَدَّ وتَرها، وفي المثل: إنباضٌ بغير تَوْتِير. «لسان العرب»، مادة: وتر (٢٧٣: ٥).

إِبْلِيسُ والدُّنْيَا وَنَفْسِي وَالْهَوَىٰ يَا ^(١) رَبُّ أَنْتَ عَلَى الْخَلَاصِ قَدِيرٌ
وَرَأْسُ الْخَطِيئَاتِ (وَهُوَ الْبَلَاءُ) ^(٢) الْعَظِيمِ، وَالْخَطْبُ الْجَسِيمُ: حُبُّ الدُّنْيَا،
وَالرُّكُونُ إِلَيْهَا وَإِلَى زِينَتِهَا وَشَهَوَاتِهَا.

وَأَبُو الْأَهْوَالِ دَاعٍ مِنْ دَوَاعِي الشَّرِّ وَالْفِتْنَةِ، وَفِيهِ تَجَمُّعُ الْكِبَائِرِ وَالصَّغَائِرِ،
وَهُوَ مِنْ أَشَدِّ الْقَبَائِحِ وَالْفِتَنِ ^(٣).

فَمِنْ ذَلِكَ الْغَفْلَةُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ، وَهُوَ مَجْمَعُ شُرَابِ الْخَمْرِ، وَبِهِ
وَعَلَيْهِ تَقُومُ الْعَرَابِدُ، وَازْدِحَامُ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَمُخَالَطَاتُهُمْ، وَرَفْعُ الْأَصْوَاتِ
بِالضَّحِكِ وَالصِّيَاحِ مَعَ وَلَاوِلِ النِّسَاءِ الْمُتَبَرِّجَاتِ بِرَحِيَّتِهِ، وَالْإِعْلَانُ بِالْفَاحِشَةِ.
فَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، ذَهَبَ الصَّالِحُونَ، وَبَقِيَ الْجَاهِلُونَ، بِأَبِي الْأَهْوَالِ
بِالْمَزَاحِ زَاخُوا، أَيْنَ شَارِبُونَ الرِّيحَ؟ رَاخُوا.

أَيْنَ أَرْبَابُ الْمَنَاصِبِ؟ (بَدَأُهمُ الْمَوْتُ الْمُنَاصِبُ) ^(٤)، (أَيْنَ الْعَاكِفُونَ
عَلَى الْمَلَاهِي؟ أَذَلُّهمُ عَذَابٌ وَاصِبٌ، لُفَّتْ وَاللَّهُ الْأَكْفَانُ بِالْعَاصِبِ عَلَى تِلْكَ
الْعَصَائِبِ) ^(٥)، وَخَلَّتْ بِهِمْ آفَاتُ الْمَصَائِبِ ^(٦)، وَفَرَّقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِو وَالْمَلَأَعِبِ
الْجِمَامُ الْغَالِبُ، فَيَا مَنْ يَأْمَنُ هَذِهِ النَّوَائِبَ، أَحَاضِرٌ قَلْبُكَ أَمْ غَائِبٌ؟!

(١) سقط من (و). (٢) في (و) و(ع): «والبلاء».

(٣) سقط من (و).

(٤) سقط من (ي). يقال: ناصبه الشر والحرب والعداوة مناصبة: أظهره له. «لسان العرب»،

مادة: نصب (١: ٧٥٨).

(٥) العاصب: من عصب الشيء يعصبه عصبًا: طواه ولواه، وقيل: شدّه، والعصائب: هي

الجماعات. «لسان العرب»، مادة: عصب (١: ٦٠٢).

(٦) سقط من (ع).

كَمْ مِنْ عَاصٍ يَتَقَلَّبُ بِمَجْلِسٍ ^(١) الْمَلَاهِي بِعُيُوبِهِ، وَيَتَخَبَّطُ فِي الْمُنْكَرِ
بِكثْرَةِ ذُنُوبِهِ، بَيْنَ مِزْمَرٍ وَمِزْمَرٍ، وَمُسْكِرٍ ^(٢) وَمُنْكَرٍ، وَاعْجَبًا لِمَنْ رَأَى هَلَاكَ
جَنَسِهِ ^(٣)، وَلَمْ يَتَأَهَّبْ لِرَمْسِهِ، أَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ؟

وَلَنَرْجِعْ ^(٤) إِلَى ذِكْرِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، أَبَيِّنُ أحوَالَهُمْ.

فَأَمَّا الصَّنْفُ الْأَوَّلُ: وَهُمْ ^(٥) الَّذِينَ يَرَوْنَهُ حَرَامًا بَيِّنًا، أَعْنِي: الْمِزْمَرُ، فَإِذَا
شَعَرَ أَحَدُهُمْ بِهِ فَرَّ مِنْهُ لِحَيْنِ وُصُولِهِ إِلَى الْقَرْيَةِ أَوْ مَوْضِعًا هُوَ فِيهِ، فَإِنْ أَمَكَّنَهُ
الْهَرَبُ مِنْهُ فَرَّ مِنْهُ كَفَرَارِهِ مِنَ الْأَسَدِ.

وَإِنْ لَمْ يَتِمَّ كُنْ لَهُ ذَلِكَ لِعُذْرِ أَصَابِهِ جَلَسَ ^(٦) فِي بَيْتِهِ كَالْمَسْجُونِ، كَأَنَّمَا
أَصِيبَ بِمُصِيبَةٍ، وَأَغْلَقَ مَسَامِعَهُ ^(٧) بِالْقُطْنِ؛ لِئَلَّا يَدْخُلَ فِي ^(٨) أُذُنِيهِ عَلَى كُرِهِ
مِنْهُ، لِعِلْمِهِ بِالْوَعِيدِ الَّذِي تَقَدَّمَ عَلَيْهِ ^(٩).

وَالصَّنْفُ الثَّانِي: وَهُمْ ^(١٠) الَّذِينَ يَرَوْنَهُ مَكْرُوهًا لَيْسَ بِمُحَرَّمٍ، فَتَرَى أَحَدَهُمْ
فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ يَتَشَوَّفُ مِنْ آخِرِ الزُّقَاقِ كَالْمُخْتَفِي بِحَيْثُ لَا يَرَاهُ أَحَدٌ عَابِرًا ^(١١)
عَلَيْهِ مِنَ النَّاسِ، مِنْ مَغِيبِ الشَّقَقِ إِلَى آخِرِ الْغَسَقِ فِي مِحْنَةٍ بِنَفْسِهِ، وَنَفْسُهُ
بِهِ قَرِيرَةٌ.

(١) فِي (ع): «فِي مَجْلِسٍ». (٢) فِي (ع): «سُكِرَ».

(٣) فِي (ع): «نَفْسِهِ». (٤) فِي (ي): «رَجَعْنَا».

(٥) سَقَطَ مِنْ (ع). (٦) فِي (و): «جَبَسَ».

(٧) فِي (و): «مَسَامَهُ». (٨) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٩) فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ: وَالْمَعْنَى: لِعِلْمِهِ بِالْوَعِيدِ عَلَيْهِ الَّذِي تَقَدَّمَ.

(١٠) سَقَطَ مِنْ (ع).

(١١) فِي (و): «عَارٌ»، وَفِي (ع): «عَالٌ». وَالتَّقْدِيرُ: حَالُ كَوْنِهِ عَابِرًا عَلَيْهِ.

فَمَرَّةً يَظْهَرُ بِرَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ، وَمَرَّةً يَخْنَسُ بِكُلِّيَّتِهِ، وَهُوَ كَالْمُرَائِي الْمَصِيبِ،
اللابِسِ حُلَّةِ الْعَاصِي الْمَرِيبِ.

فَإِذَا التَّحَمَّتِ الشَّيَاطِينُ، وَهَزَّتْ عَلَيْهَا الْمَوَاعِينُ^(١)، وَكَثُرَتْ الْآلَةُ بِكُلِّ
قَرِينٍ، وَازْدَحَمَتِ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ بِكُلِّيَّةٍ^(٢) الْأَمَاكِينِ، وَصَرَخَ الْبَوَقُ^(٣) الْفَتَّانِ،
وَقَامَتْ عَلَيْهِ الْأَصْوَاتُ بِالْأَلْحَانِ الْحَسَانِ، هَاجَتْ^(٤) نَفْسُهُ الْوَقِيحَةُ^(٥)،
وَأَشْهَرَتْهُ^(٦) لِلْخَوْضِ وَالْفَضِيحَةِ، مَالَ بِهَا نَحْوَ الْمَعَازِفِ الْقَبِيحَةِ.

فَيَنْدَرِجُ إِلَى خَلْفِ رُكْنٍ مِنْ أَرْكَانِ الْجُدُرَاتِ، يَنْظُرُ بِطَرْفٍ خَفِيٍّ، وَهَذَا
الَّذِي هُوَ عَظِيمٌ فِي نَفْسِهِ، يُظْهِرُ التَّقْشِفَ وَالنُّمُوسَةَ^(٧) وَالْخَيْرَ وَالصَّلَاحَ فِي
الظَّاهِرِ لِلنَّاسِ.

هَكَذَا فِعْلُهُ^(٨) بِطُولِ اللَّيْلَةِ، يَتَقَلَّبُ فِي سَخَطِ اللَّهِ وَنَقَمَتِهِ، بِمُدَاهَنَتِهِ وَبِلَيْتِهِ.
فَإِذَا سَمِعَ نَعْمَةً مِنَ الْمَلَاهِي فَجَجَ^(٩) بِرَأْسِهِ لِيَنْظُرَ الْأَلْعَابَ، وَيَسْمَعَ الْفَوَاحِشَ

(١) فِي (و) وَ(ي): «الْمَوَاعِينُ». وَالْمَوَاعِينُ أَوْ الْمَوَاعِنُ: جَمْعُ مَاعُونٍ، وَهُوَ مَعْرُوفٌ.
(٢) فِي (ي): «بِكُلِّهَا». وَلَعَلَّهُ يَعْنِي الْمُبَالَغَةَ فِي تَصْوِيرِ اِزْدِحَامِهِمْ فِي مَكَانٍ ضَيْقٍ كَكُلِّيَّةِ الْمَزَادَةِ،
وَهِيَ جُلَيْدَةٌ مُسْتَدِيرَةٌ مُشْدُودَةُ الْعُرْوَةِ قَدْ خُرِزَتْ مَعَ الْأَدِيمِ تَحْتَ عُرْوَةِ الْمَزَادَةِ. «لِسَانُ
الْعَرَبِ»، مَادَّة: (١٥: ٢٢٧).

(٣) فِي (ع): «الْبَوَاقُ».

(٤) هَذَا هُوَ جَوَابُ الشَّرْطِ فِي قَوْلِهِ: فَإِذَا التَّحَمَّتِ الشَّيَاطِينُ.

(٥) رَجُلٌ وَقِيحُ الْوَجْهِ وَوَقَاحُهُ: ضَلْبُهُ قَلِيلُ الْحَيَاءِ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّة: وَقَح (٢: ٦٣٧).

(٦) فِي (ع): «أَشْهَرَتْ». وَ«أَشْهَرُ» بِمَعْنَى «شَهَرَ» لُغَةً نَادِرَةً.

(٧) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْمَصْدَرَ هَكَذَا فِيمَا بَحِثْتُ، وَلَعَلَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ النَّامُوسِ وَهُوَ بَيْتُ الرَّاهِبِ. «لِسَانُ
الْعَرَبِ»، مَادَّة: نَمَس (٦: ٢٤٣).

(٨) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٩) كَذَا فِي الْأَصُولِ، لَعَلَّ الْمَعْنَى: رَفَعَ رَأْسَهُ، فَجَجَ قَوْسَهُ وَهُوَ يُفْجِئُهَا فَجْأً: إِذَا رَفَعَ وَتَرَاهَا عَنْ كِبْدِهَا.
«لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّة: فَجَج (٢: ٣٣٨).

مِنَ الْكَذَّابِ، وَيُصْغِي بِأُذُنِهِ لِسَمْعِ^(١) الْمَزْمَرِ الدَّبَابِ^(٢).
يُكَابِدُ طُولَ لَيْلِهِ الْبَرْدَ وَالسَّهَرَ فِي مَعْصِيَةِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، فَقَدْ حَرَمَ نَفْسَهُ
لِذِيذِ الْمَنَامِ، وَبَاعَهَا بِالْقَبَائِحِ وَالْآثَامِ، فَلَا كَثْرَ اللَّهُ مِثْلَهُ فِي الْإِسْلَامِ.
وَالصَّنْفُ الثَّالِثُ: وَهُمْ الَّذِينَ يَرَوْنَهُ مُبَاحًا لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ، قَدْ^(٣) بَسَطَ لَهُمُ
الشَّيْطَانُ بَسَاطَةَ الْإِنْسِاطِ، وَفَرَشَ بِرَحِيَّتِهِ فُرْشَ التِّيهِ وَالشَّطَطِ، وَأَخْرَجَهُمْ عَنِ
الْمَنْهَاجِ الْمُسْتَقِيمِ الصِّرَاطِ.
قَدْ اتَّسَعَ لَهُمُ الْمَجَالُ بِمِيدَانِ الْلَهْوِ وَالْمِحَالِ، وَالْقَبِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ،
يَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ فِي مَرْضَاةِ الشَّيْطَانِ.
يَتَخَبَّطُونَ بِهُبُوبِ زَلَقَةٍ، فِي لَهْوٍ وَضَحِكٍ وَمَخْرَقَةٍ، قَدْ أَشْعَلُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ
النَّارَ الْمُحْرِقَةَ، فِي أَسْفَلِ الْهَآوِيَةِ الْمُغْرَقَةِ.
وَقَدْ قِيلَ: إِنَّهُ يُخَسَفُ بِطَائِفَةٍ مِنْ هَذِهِ الْأَمَةِ يَبِيتُونَ عَلَى لَهْوٍ وَلَعِبٍ وَفُكَاهَةٍ
وَمِزَاحٍ، لَاهِينَ غَافِلِينَ، لَا يَشْعُرُونَ حَتَّى يُخَسَفَ بِهِمْ.
قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧].
يَا أَخِي، اسْتَمَاعُ الْمَزْمَرِ بِحُضُورِهِ، وَوَهْلَتِهِ وَشُرُورِهِ، وَدَسِيتِهِ وَنَكِيرِهِ،
يُبْعِدُكَ عَنِ النَّعِيمِ وَحُبُورِهِ، وَخَيْرَاتِهِ وَشُرُورِهِ، وَغُرْفِهِ وَقُصُورِهِ.
اسْتَمَاعُكَ الْمِعْزَفَةَ، وَالزُّنُوجَ الْمُسْنِفَةَ، يُؤَدِّيكَ إِلَى الْمُهْلِكَاتِ الْمُرْجِفَةِ^(٤)،
وَمَقَامِعِ^(٥) الزَّبَانِيَةِ الْخَاطِفَةِ.

(١) فِي (ع): «لِسَمْعِ».

(٢) صِبْغَةٌ مَبَالِغَةٌ مِنْ دَبِّ الشَّرَابِ فِي الْجِسْمِ وَالْإِنَاءِ وَالْإِنْسَانِ يَدْبُ دَبِيئًا: مَرَى. «لِسَانُ الْعَرَبِ».

مَادَّةُ دَبِّ (١: ٣٦٩).

(٣) فِي (ع): «فَقَدْ».

(٤) فِي (و) وَ(ع): «الْمُؤَذِّيَّة».

(٥) فِي (ع): «مَقَامِيع».

يا مسكين، أعجبك حسن حركات الزاقص، وأنت^(١) ترغم أنك المؤمن الخالص، ما ثم خالص، وأين الخالص؟ بل أنت علم خالص.

تظن أنك يقظان، وأنت سكران ناعس، بضوء نار^(٢) الأبالس بائس، ببعد ذرك المغاطس^(٣)، ودهاليز الأفكار والوساوس، كم ذا الرقاد، كم ذا المنام، في طاعة الغاوي أبي المتخانس^(٤)؟

يا أخي، اعلم أن إبليس لعنه الله لا يقنع منك بهذا كله، إنما يقنع منك^(٥) بالخروج عن الإسلام، ويقطعك عن الطريق التي هي أهدى.

قال الله تعالى حكاية عن إبليس لعنه الله: ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦]، يعني: طريق الإسلام.

﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، يعني: من الآخرة وأمرها، يعني^(٦): أجعلهم في الشك.

﴿وَمِنْ خَلْفِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]؛ أي^(٧): لأزئبن لهم الدنيا وزينتها حتى يطمئنوا إليها.

﴿وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]^(٨)، يعني: آتيهم من جهة الدين^(٩) والطاعة.

(١) في (ع): «إنك». (٢) في (و) و(ع): «نور».

(٣) في (و) و(ع): «المغاطيس». والمغاطس جمع مغطس وهو كل موضع يغطس فيه.

(٤) في (و): «المختانس». والصواب المثبت، من الخنوس الذي هو من صفات الشيطان نعوذ بالله منه.

(٥) في (ع): «بك». (٦) سقط من (ع).

(٧) في (ع): «يعني». (٨) سقط من الأصول.

(٩) في (ع): «اليمين».

﴿وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧]، يَعْنِي: مِنْ جِهَةِ الْمَعَاصِي.

﴿وَلَا تَحْدُ أَكْثَرُهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، يَعْنِي: عَلَى نِعْمَتِكَ.

فالواجب على العاقل أن يجتهد في ^(١) مُحَارَبَتِهِ، بالخروج عن طاعته، فإنه عَدُوٌّ مَأْكُورٌ، قَدْ أَهْلَكَ خَلْقًا كَثِيرًا، وَالْعِصْمَةُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَرَوَى صَالِحٌ ^(٢) بِإِسْنَادِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمٍ، قَالَ: بَيْنَمَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ جَالِسٌ ^(٣) إِذْ جَاءَهُ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ يَتَلَوْنُ - يَعْنِي: قَلَنْسُوَّةَ ذَاتِ الْوَاوِ - فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ خَلَعَ الْبُرْنُسَ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَقَالَ: أَنَا إِبْلِيسُ، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ؟ قَالَ: جِئْتُ لِأَسَلِّمَ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّكَ كَرِيمٌ ^(٤) عَلَى ^(٥) اللَّهِ تَعَالَى، قَالَ: فَمَا الْبُرْنُسُ الَّذِي عَلَيْكَ؟ قَالَ: أَخْطَفْتُ بِهِ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ، وَأَزَيَّنُّ لَهُمْ بِهِ الْمَعَاصِي، وَأَحْبَبُّ إِلَيْهِمْ زِينَةُ الدُّنْيَا وَمَلَاهِيهَا.

يَا مَسْكِينٍ، نَظَرْتُكَ إِلَى نُحَاسٍ ^(٦) الْبُوقِ، يَرْمِي بِكَ تَحْتَ النَّطُوقِ ^(٧)، فِي أَسْفَلٍ لَطَى أَبْعَدَ مَرْمَى مِنَ الْعَيُوقِ ^(٨).

(١) فِي (ع): «عَلَى».

(٢) لَمْ أَتَّبِعْ مَنْ هُوَ، وَالْخَبَرُ رَوَاهُ مِنْ وَجْهِ آخَرَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زِيَادِ بْنِ أَنْعَمٍ بِهِ: ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي «مَكَائِدِ الشَّيْطَانِ»، رَقْمٌ: ٤٧ (ص ٧١).

(٣) فِي الْأَصُولِ: «جَالِسًا»، وَلَهُ وَجْهٌ. (٤) سَقَطَ مِنْ (ي).

(٥) فِي (ع) كَتَبَ فَوْقَهُ: «كَذَا». (٦) فِي (ي): «نُحَاسٍ».

(٧) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّهُ جَمَعَ نِطَاقَ كُنُطُقٍ، وَهِيَ أَعْرَاضٌ مِنْ جِبَالٍ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: نَطَقَ (١٠: ٣٥٤).

(٨) الْعَيُوقُ: كَوْكَبٌ أَحْمَرٌ مُضِيءٌ بِجِبَالِ الثُّرَيَّا فِي نَاحِيَةِ الشَّمَالِ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: عَوْقَ (١٠: ٢٧٩).

وَشُهُودُكَ الْمَلَاهِي بِرَحْبَةِ الشَّيْطَانِ لِسَمْعِ الطَّنَائِيرِ وَالْعِيدَانِ، وَطَرَطَقَةِ^(١)
الآلَاتِ وَالشَّيْزَانِ^(٢)، عَلَى الْأَصْوَاتِ الْحَسَانِ، وَرَقَصِ الْقِيَانِ، مِنْ زِينَةِ الشَّيْطَانِ
الْمُسَمَّى بِالْوَلَهَانِ، يُؤَدِّيكَ إِلَى الْحَامِيَاتِ مِنَ النَّيْرَانِ، مَعَ الَّذِينَ ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا
وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤].

اسْتِمَاعُكَ تَرْنِينَ الْعُودِ، وَالْأُوتَارِ بِالْقُصُودِ^(٣)، يُخْرِجُكَ عَنْ طَاعَةِ الْمَلِكِ
الْوُدُودِ^(٤)، احْذَرِ أَنْ تَكُونَ مِنَ الرَّحِمَةِ مَبْعُودِ^(٥)، وَتَحْتَ الْإِيَّاسِ مَذُودِ^(٦).



(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَهُوَ بِمَعْنَى: الصَّوْتِ الْمَرْتَفِعِ الْفُطَيْعِ، وَلَا يَزَالُ مُسْتَعْمَلًا فِي لُغَتِنَا الدَّارِجَةِ
غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْهُ هَكَذَا فِيمَا بَحِثْتُ.

(٢) فِي (ع): «الشَّيْرَانِ». وَلَمْ أَجِدْهَا عَلَى كَلَا التَّقْدِيرِينَ. إِلَّا أَنْ يَكُونَ جَمْعًا لِلشَّيْزَى وَهُوَ شَجَرٌ
تُعْمَلُ مِنْهُ الْقِصَاعُ وَالْجِفَانُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: شَيْزَ (٥: ٣٦٣). ثُمَّ رَأَيْتُ فِي مَجْلَةِ
الْمَنَاهِلِ [ع: ٢٠، ربيع الثاني ١٤٠١ هـ] (ص ٢٠٦ - ٢٤٣) مَقَالًا بِعَنْوَانِ: «الْمَوْسِيقَى
الْمَغْرِبِيَّةُ عَلَى عَهْدِ الْمَرِينِيِّينَ وَبَنِي وَطَّاسٍ» لِلْأَسَاطِذِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ عَبْدِ الْجَلِيلِ، فَإِذَا فِيهِ
(ص ٢٤١) أَنَّ الشَّيْزَانَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الطُّبُولِ.

(٣) جَمَعَ قَصْدٌ عَلَى قَوْلِ بَعْضِ الْفُقَهَاءِ كَمَا فِي «الْمَصْبَاحِ الْمُنِيرِ» (٢: ٥٠٤).

(٤) فِي (ع): «الْمَعْبُودِ».

(٥) فِي (ي): «مَطْرُودٍ». وَالْجَادَةُ أَنْ يَقُولَ: مَبْعُودًا وَمَذُودًا، وَكَأَنَّهُ رَاعَى السَّجْعَ، لَكِنَّهُ مَذْمُومٌ فِي

مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ إِلَّا فِي الشَّعْرِ.

(٦) فِي (ع): «قُدُودٍ».

فَضْلُكَ

[في الترهيب من سماع المزمرة]

يا أخِي، قَدْ قَطَعْتَ عُمرَكَ فِي ارتكَابِ المَنَاهِي، بُحُورَ الخطايا والمَلَاهِي،
أما خَشِيتَ النَّاهِي؟ (يا غافلاً يا ساهي) ^(١)، احذَرِ وَقُوعَ الحِمَامِ بِكَ وَأَنْتَ عَنْهُ
لَاهِي.

فَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى لِئَلَّا يَحُلَّ بِكَ الْعِقَابُ وَالْيَمُّ الْعَذَابُ، وَقَدْ فَارَقَتْ
الْأَهْلَ وَالْأَحْبَابَ، وَالْجِيرَانَ وَالْأَصْحَابَ، مُرْتَهَنًا بِخَفَائِرِ الثَّرَابِ، فِي ظُلْمَةِ
الرَّمْسِ دَارِ الْقَوْتِ وَالذَّهَابِ.

فَنَدِمْتُ ^(٢) حِينَ لَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ؛ إِذْ زَلَّتْ بِكَ ^(٣) الْقَدَمُ، وَقَدْ خَلَفَتْ لِلوَرِثَةِ
الثَّرَاثُ ^(٤) مِنَ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ، بِطُولِ الشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ.

رَوَى عَنْ جَابِرٍ ^(٥) بَنِ عَبْدِ اللَّهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يُعْمَلُ
فِيهِمْ بِالْمَعَاصِي هُمْ أَعَزُّ وَأَكْثَرُ مِمَّنْ يَعْمَلُهُ فَلَا يُغَيِّرُوهُ، إِلَّا عَمَّهُمُ اللَّهُ بِعِقَابٍ» ^(٦).

يا أخِي، تَجْعَلُ المَزْمَرَ وَجَمِيعَ آيَاتِهِ مُبَاحًا، وَتَقُولُ: هَكَذَا وَجَدْنَا آبَاءَنَا
وَأَسْلَفَنَا، وَكَانُوا أَجُودَ مِنَّا وَأَصْلَحَ وَلَمْ يُغَيِّرُوهُ.

(١) سقط من (ع). (٢) في (ع): «فتندم».

(٣) في (ع): «مع». (٤) في (ع): «التراب».

(٥) كذا في الأصول، والصواب: أن الحديث من رواية جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

(٦) رواه أحمد في «المسند»، رقم: ١٩٢٣٠ (٣١: ٥٥٧، ٥٥٨).

فَنَقُولُ: إِنَّكَ أَنْتَ الْقَائِلُ بِالْمُحَالِ، وَتُثْنِي عَلَى آبَائِكَ بِالْقَبِيحِ مِنَ الْأَقْوَالِ، وَهُوَ عَارٌ عَلَيْكَ أَنْ تُثْنِيَ عَلَيْهِمْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُمْ إِنْ كَانُوا كَمَا تَزْعُمُ عَلَى ذَلِكَ وَمَاتُوا عَلَيْهِ غَيْرَ تَائِبِينَ، مُصِرِّينَ عَلَى الْقِيَامِ بِهِ وَالْأَخْذِ بِقِيَامِهِ، فَبِشْنِ الثَّنَاءِ أَثْنَيْتَ عَلَى آبَائِكَ وَأَسْلَافِكَ؛ إِذْ كَانُوا مُقِيمِينَ عَلَى الْمُنْكَرِ وَالْفَوَاحِشِ.

فَارْجِعْ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ، وَلَا تُثْنِي ^(١) عَلَى آبَائِكَ وَأَجْدَادِكَ إِلَّا بِخَيْرٍ؛ فَإِنَّهُمْ قَدْ ^(٢) قَدِمُوا عَلَى مَا عَمِلُوا، فَرَحِمَ اللَّهُ جَمِيعَهُمْ.

وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اذْكُرُوا مَحَاسِنَ مَوْتَاكُمْ، وَكُفُّوا عَنْ مَسَاوِيهِهِمْ» ^(٣).

فَلَا تُثْنِي ^(٤) عَلَيْهِمْ إِلَّا بِخَيْرٍ.

وَرُويَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ أَنَّ الْمَنْزِلَ الَّذِي يَنْزِلُ بِهِ الْمَزْمَرُ أَبُو الْأَهْوَالِ يَبْقَى مَسْخُوطًا عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً، يَتَقَلَّبُ بِأَهْلِهِ سَبْعِينَ ^(٥) نَوْعًا مِنَ الْبَلَاءِ، (كُلُّ نَوْعٍ مِنَ الْبَلَاءِ) ^(٦) يَقُولُ: أَنَا لَهُمْ أَنَا لَهُمْ، فَعِنْدِي مِنَ الْبَلَاءِ وَأَنْوَاعِهِ كَذَا وَكَذَا، أَصِيبُ بِهِ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ.

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الذُّنُوبِ الْمَوْبِقَةِ الْكَبَائِرِ ^(٧) الْمُحْرِقَةِ ^(٨).



(٢) سقط من (ع).

(١) كذا في الأصول.

(٣) رواه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أبو داود في «السنن»، كتاب الأدب، باب في النهي عن سب الموتى، رقم: ٤٩٠٠.

(٥) كذا في الأصول.

(٤) كذا في الأصول.

(٧) كذا في الأصول، ولعل الصواب: «والكبائر».

(٦) سقط من (ع).

(٨) في (ع): «المحرمة».

قَصْنُ

يُذَكِّرُ فِيهِ النِّسَاءَ حَبَائِلَ الشَّيْطَانِ

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ النِّسَاءَ مَصَايِدُ الشَّيْطَانِ، وَهُنَّ أَشَدُّ بِالْمَزْمَرِ فَرَحًا مِنَ الرِّجَالِ عَلَى مَا حَدَّثَنِي مَنْ (أَثِقُ بِهِ) ^(١) مِمَّنْ امْتَحَنَ بِهِ فِي عُقُوفَانِ شَبَابِهِ ثُمَّ تَابَ مِنْهُ، وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

(وَبِالسَّمْعِ الْفَاشِي الْمُسْتَفِيزِ أَنَّ النِّسَاءَ يَقْلُنَ: كُلُّ ابْنَةٍ لَا يُنْفَخُ فِي وَجْهِهَا عِنْدَ مَجْلَاهَا ^(٢) نَجَاسُ ^(٣) الْبُوقِ ^(٤)، فَلَيْسَتْ بِعَرُوسٍ وَ(لَا فَرَحٍ) ^(٥) مَطْلُوقٌ، وَلَا هِيَ عِنْدَ زَوْجِهَا بِقِيَمَةٍ، وَلَا رَأَتْ فَرَحَةً قَطُّ وَلَا خَيْرًا مِنْ أَهْلِهَا، وَلَا مِنْ زَوْجِهَا.

فَتَرَاهَا مَكْسُورَةَ الْقَلْبِ مَعَ زَوْجِهَا الزَّوْمَانَ الطَّوِيلِ، وَتَضْرِبُ بِذَلِكَ وَجْهَ زَوْجِهَا وَهِيَ عَجُوزٌ فِي الْغَابِرِينَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ النِّسَاءَ إِنَّمَا هُنَّ فِي عِصْمَةِ الْأَزْوَاجِ لِهَذَا وَغَيْرِهِ، وَرَأَيْتُ أَنَّ النِّسَاءَ هُنَّ ^(٦) أَشَدُّ فَرَحًا بِالْمَزْمَرِ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْأَزْدِحَامِ بِرَحْبَتِهِ لِلتَّزَاهَةِ.

(١) فِي (و): «أَثَقَهُ».

(٢) مُصَدَّرٌ مِمِّي مِنْ جَلَا الْعُرُوسِ عَلَى بَعْلِهَا، وَاجْتَلَاهَا زَوْجِهَا؛ أَيْ: نَظَرَ إِلَيْهَا. «لِسَانَ الْعَرَبِ»، مَادَّة: جَلَا (١٤: ١٤٩).

(٣) النَّجَاسُ: التَّعْوِيذُ. «لِسَانَ الْعَرَبِ»، مَادَّة: نَجَسَ (٦: ٢٢٦).

(٤) سَقَطَ مِنْ (ع). (٥) فِي (ع): «لِلْفَرَح».

(٦) فِي (ع): «هَن».

فَعَلَى الرَّجُلِ أَنْ يَمْنَعَهَا مِنْ هَذَا وَغَيْرِهِ، لَا سِيَّما بِالْأَعْرَاسِ^(١) وَالْوَلَائِمِ
وَالنِّزَاهَةِ^(٢)، وَلَا يَمْشِي فِي أَغْرَاضِهَا، وَيَمْنَعُهَا^(٣) كُلَّ الْمَنْعِ؛ لِأَنَّ الْمَرْأَةَ ضَعِيفَةٌ
الْعَقْلَ.

وَأَكْثَرُ مَا يَقَعَنَّ فِي الْبَلَاءِ الْعَاقِلَاتُ مِنْهُنَّ ذَوَاتُ الْهَيْئَةِ بِجَمَالِهِنَّ، وَسَعَةِ
الدُّنْيَا عَلَيْهِنَّ، وَمِيلِهِنَّ إِلَى الشَّهَوَاتِ، لَا سِيَّما بِرَحْبَةِ الشَّيْطَانِ أَبِي الْأَهْوَالِ.
وَالْمَرْأَةُ كُلُّهَا عَوْرَةٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦].
وَالنِّسَاءُ نَاقِصَاتُ عَقْلٍ وَدِينٍ، فَتَقْصُرُ^(٤) عَقْلَ الْمَرْأَةِ: أَلَا^(٥) تُقْبَلُ فِي الشَّهَادَةِ
إِلَّا إِنْ كَانَتْ^(٦) امْرَأَتَيْنِ مَعَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَالْمَرَأَتَانِ مِنْ أَعْدَلِ النِّسَاءِ فِي الدِّينِ
وَالْخَيْرِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ.

وَنَقْصُ دِينِهِنَّ أَنْ تَتْرَكَ الْمَرْأَةُ الصَّلَاةَ شَطْرَ عُمرِهَا بِالْحَيْضِ وَالنِّفَاسِ،
وَلَيْسَ عَلَيْهَا قَضَاءٌ فِي ذَلِكَ، مَعَ مَا أَوْدَعَ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْكَيْدِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ كَيْدَ كُنَّ عَظِيمٌ﴾ [يوسف: ٢٨]، وَضَعَفَ كَيْدَ الشَّيْطَانِ
فَقَالَ: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ
الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]

وَمَعَ ذَلِكَ فَقَدْ جَعَلَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى قَوَاعِدَ بُيُوتِنَا، وَمَقْصِيَّ شَهَوَاتِنَا، وَلَا غَيْرَةَ
أَشَدَّ غَيْرَةً عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى الرَّجُلَ سِتْرَ الْمَرْأَةِ، وَحِجَابًا يَحْجُبُهَا مِنَ الْعَارِ وَالْمَنْكَرِ
وَجَمِيعِ الْمَنَاهِي.

(١) فِي (ع): «الْأَعْرَاسِ».

(٢) فِي (ع): «النِّزَاهَاتِ».

(٣) فِي (ع): «لِيَمْنَعَهَا».

(٤) صُحِّحَ فِي (ع) بَعْدَ إِثْبَاتِهِ هَكَذَا: «فَتَقْصُرُ».

(٥) فِي (ع): «لَا».

(٦) فِي (ع): «كَانَتْ».

وَقَدْ جُعِلَتْ^(١) هِمَّتُهَا فِي الرَّجُلِ لِأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنَ الرَّجُلِ، يَعْنِي: حَوَاءُ خُلِقَتْ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنَ الصَّلَعِ الْأَعْوَجِ الْقَصِيرِ.
وَأَمَّا الرَّجُلُ (فَخُلِقَ مِنَ التُّرَابِ)^(٢)، فَجُعِلَتْ هِمَّتُهُ فِي التُّرَابِ لِلْحَرِثِ وَالْبِنَاءِ وَالْغِرَاسَةِ وَشَقِّ أَخَادِيدِ الْأَنْهَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، فَافْهَمُ تُصِيبُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.
فَمَنْ ضَيَّعَهَا وَأَعْطَاهَا سُؤْلَهَا فَقَدْ ضَيَّعَ نَفْسَهُ، وَأَرَادَ مِحَّتَهَا، وَأَفْسَدَ حَالَهُ مَعَهَا، فَمِحَّتُهَا أَكْبَرُ الْمِحْنِ، وَفِتْنَتُهَا أَشَدُّ الْفِتَنِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي لِأُمَّتِي فِتْنَةً أَضَرَّ مِنَ النِّسَاءِ عَلَى الرِّجَالِ»^(٣).

فَكَيْفَ بِالْمَرْأَةِ إِذَا سَمِعَتْ الْقَوَاحِشَ مِنَ الْفُجَّارِ فِي رَحْبَةِ أَبِي الْأَهْوَالِ، وَمُجْتَمَعِ الْفُسَّاقِ مِنَ الرِّجَالِ؟ وَكَيْفَ السَّلَامَةُ بِاجْتِمَاعِ الْقَطَنِ وَالنَّارِ؟
وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّرَّ لَا يَقَعُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَتَهْيِجُ^(٤) الْمُحَنَّةَ، وَالتَّحَامُ الْفِتْنَةُ إِلَّا بِتِلْكَ الْمَوَاطِنِ، لِاجْتِمَاعِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالنِّسَاءِ بِالرِّجَالِ بِمَوَاضِعٍ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْخَطَأُ الْبَيِّنُ، وَالْمَنْكَرُ الْمَعْلَنُ.
وَفِي الْحَدِيثِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَى امْرَأَةٍ فِي جَنَازَةٍ، فَأَمَرَ بِطَرْدِهَا فَطُرِدَتْ حَتَّى لَمْ يَرَوْهَا^(٥).

(١) فِي (ع): «جَعَلَ». (٢) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٣) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْبُخَارِيُّ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»، كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا يَتَّقَى مِنْ شَوْمِ الْمَرْأَةِ، رَقْمٌ: ٥٠٩٦، وَمُسْلِمٌ فِي «الصَّحِيحِ»، كِتَابُ الذَّكْرِ وَالِدُعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ، بَابُ أَكْثَرِ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءِ، وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ، وَبَيَانُ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، رَقْمٌ: ٢٧٤١. (٤) فِي (و): «تَهْيِجُ».

(٥) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِزَى عَنْ أَبِيهِ: الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْمَعْجَمِ الْأَوْسَطِ»، رَقْمٌ: ٧٨١٢ (٨: ١٤).

وقال رسول الله ﷺ لِنِسَاءٍ رَأَيْنَ فِي جَنَازَةٍ: «أَتَحْمِلْنَهُ فَيَمْنُ يَحْمِلْنَهُ؟»^(١) قُلْنَ: لا، قال: «أَفَتُدْخِلِيْنَهُ»^(٢) قَبْرَهُ فَيَمْنُ يُدْخِلُهُ؟ قُلْنَ: لا، قال: «أَفَتَحْثِيْنِ عَلَيْهِ فَيَمْنُ يَحْثِي؟» قُلْنَ: لا، قال: «فَارْجِعْنَ مَأْزُورَاتٍ غَيْرَ مَأْجُورَاتٍ»^(٣).

قال^(٤): «وكان مسروق رضي الله عنه يحثي في وجوههن التراب، ويطردهن، فإن لم يرجعن لم يرجع، ويقول: لا ندع حقاً ليأطل»^(٥).

وقال النخعي^(٦): كانوا إذا خرجوا بالجنائز غلقوا الأبواب على النساء^(٧).

وقال ابن عمر: ليس للنساء في الجنائز نصيب^(٨).

فافهم، هذا رسول الله ﷺ قد طرد النساء من اتباع الجنائز^(٩)، وأخبر عنهن حين رجعن، فقال: «فارجعن مأزورات غير مأجورات».

(١) كذا في الأصول. (٢) كذا في الأصول.

(٣) رواه قريباً من هذه الرواية: عبد الرزاق في «المصنف»، رقم: ٦٢٩٨ (٣: ٤٥٦).

(٤) يعني: الراوي. وغالب الظن أن ما نقله المؤلف من الحديث والأثر من «مصنف عبد الرزاق»، والله أعلم.

(٥) رواه قريباً من هذه الرواية: عبد الرزاق في «المصنف»، رقم: ٦٣٠٠ (٣: ٤٥٧). وقوله:

«لا ندع حقاً ليأطل»، الصواب أنه من قول الحسن البصري، أخرجه عنه عبد الرزاق في

«المصنف» بعد أثر مسروق مباشرة، رقم: ٦٣٠١ (٣: ٤٥٧).

(٦) هو إبراهيم بن يزيد النخعي الإمام الفقيه المشهور.

(٧) رواه عنه: عبد الرزاق في «المصنف»، رقم: ٦٢٩٣ (٣: ٤٥٦).

(٨) لم أجده من قول ابن عمر رضي الله عنهما، وإنما رواه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله

عنهما مرفوعاً: الطبراني في «المعجم الكبير»، رقم: ١١٣٠٩ (١١: ١٤٥). نعم رواه من

حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً: الطبراني في «المعجم الأوسط»، رقم:

٨٤١٠ (٨: ٢٠٥)، لكن بلفظ: «ليس للنساء أجر في اتباع الجنائز».

(٩) في (ع): «الجنائز».

وَهُنَّ فِي تَبَعِ الْأَمْوَاتِ إِلَى الْقُبُورِ بِالْقَرَائِحِ وَالْفَجَائِعِ لِمُصِيبَةِ الْمَوْتِ؛ إِذَا لَا مُصِيبَةَ مِثْلُ الْمَوْتِ، وَقَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ مُصِيبَةً.

وَكَانَ ذَلِكَ الْوَقْتُ أَصْلَحَ مِنْ وَقْتِنَا هَذَا، وَنِسَاؤُهُ أَصْلَحَ مِنْ نِسَائِنَا، وَرِجَالُهُ كَذَلِكَ، لَا سِيَّمَا وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ، يَعِظُهُمْ وَيَأْمُرُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ.

وَكَانُوا يُصَلُّونَ خَلْفَهُ، وَيَشْهَدُونَ خُطْبَتَهُ وَمَوَاعِظَهُ، وَإِنَّمَا خَرَجَتِ النِّسَاءُ لِتِلْكَ الْجَنَازَةِ بِالْبُكَاءِ بِقُلُوبٍ مَجْرُوحَةٍ، وَأَكْبَادٍ مَقْرُوحَةٍ مِنْ مُصِيبَةِ الْمَوْتِ وَخَوْفِ الَّذِي يَأْتِي بَعْدَهُ مِنْ أُمُورِ الْآخِرَةِ، مِنْ شِدَّةِ مَوَاعِظِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ عَلَى الْقَبْرِ وَظُلْمَتِهِ وَسُؤَالِهِ، مَغْمُومِينَ مَكْرُوبِينَ، لَيْسَ لَهُنَّ هِمَّةٌ^(١) إِلَّا طَلَبَ الْآخِرَةِ، وَالتَّخَلُّصَ مِنْ أَهْوَالِهَا وَكُرُوبِهَا.

وَلَمْ يَكُنْ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ مُنْكَرٌ وَلَا لَعِبٌ وَلَا لَهْوٌ وَلَا فُسَادٌ، بَلْ كَانَ أَوَّلُ الْإِسْلَامِ، وَالدَّخُولُ فِيهِ بِالْاجْتِهَادِ وَكَثْرَةِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ كَذَلِكَ.

وَانْظُرْ كَيْفَ رَدَّهِنَّ ﷺ مِنْ تَبَعِ الْجَنَازَةِ، وَلَمْ يَسْمَحْ لَهُنَّ فِي تَبَعِهَا. فَكَيْفَ فِي وَقْتِنَا هَذَا؟ لِكثْرَةِ الشَّرِّ وَالْفُسَادِ، وَالْفُسَاقِ وَشُرْبِ الْخُمُورِ، وَقِلَّةِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَقَدْ قَلَّ^(٢) الْعُلَمَاءُ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا شِرَارُ الْخَلْقِ إِلَّا الْقَلِيلُ، وَقَلِيلٌ مَا هُمْ، وَنَحْنُ نَسْمَحُ لِلنِّسَاءِ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمُنْكَرِ وَاللَّهْوِ الْقَبِيحِ، وَالْإِحْتِشَادِ عَلَيْهِ بِجُمْلَةِ الرِّجَالِ الْفُسَاقِ وَالْأَشْرَارِ؛ إِذْ لَا يَجْتَمِعُ فِي تِلْكَ الْمَوَاطِنِ إِلَّا مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ.

(١) فِي (ع): «هَم».

(٢) فِي (ع): «قَالَ».

واعلم أن وقعة المرأة هي أعظم الوقائع، وما عظمَت مُصيبةٌ، وحَلَّتْ وجَلَّتْ رَزِيَّةٌ، واشتَدَّتْ بَلِيَّةٌ إلا باجتماع الرجال بالنساء في موطن واحد، لا سيما مواطن المنكر واللهو، لِمَنْ كَانَ بِقَلْبِهِ مَرَضٌ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

فَبِتِلْكَ اللَّيْلَةِ تَقَعُ الْفِتْنُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، وَدَلِيلُهُمْ لَذَلِكَ: الشَّيْطَانُ لعنه الله، فما ظَنُّكَ بِدَلِيلٍ خَائِنٍ يَقُودُ الرِّجَالَ إِلَى النِّسَاءِ، وَالنِّسَاءَ إِلَى الرِّجَالِ، وَفِي الْمَثَلِ السَّائِرِ: مَنْ كَانَ دَلِيلُهُ الْبُومُ كَانَ مَصِيرُهُ إِلَى الْخَرَابِ^(١)، وَمَنْ كَانَ دَلِيلُهُ الْغُرَابُ دَلَّ بِهِ طُرُقَ الْجِيَاغِ^(٢).

فَمَا مِنْ وَاقِعَةٍ وَقَعَتْ بِالْمَرْأَةِ إِلَّا وَسَبَّيْهَا التَّبَرُّزُ وَالتَّبَرُّجُ لِلَّهِوِ وَالْمِزْمَرِ، يَأْمَنُ يَجْمَعُ بَيْنَ الْقُطْنِ وَالنَّارِ، فَمِنْكَ بَدَأُ الشَّرِّ، وَإِلَيْكَ يَعُودُ؛ كَمَا قَالَ^(٣):

يَا مَنْ أَلَمَ^(٤) عَنِ الْهَوَى وَأَنَا الَّذِي سَقَتْ الْعَذَابَ إِلَى الْقَلْبِ وَقُدَّتْهُ؟

وَأَنْتَ سَمَحْتَ لِخَلِيلَتِكَ^(٥) بِالْخُرُوجِ إِلَى طَاعَةِ الشَّيْطَانِ وَمِزَاحِمَةِ الرِّجَالِ، فَلَا تَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَكَ.

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «بَاعِدُوا بَيْنَ أَنْفَاسِ الرِّجَالِ وَأَنْفَاسِ النِّسَاءِ»^(٦).

(١) ذكره ضمن الأمثال أبو حيان التوحيدي في «البصائر والذخائر» (٩: ٥٦).

(٢) كذا في الأصول، والمعروف في جمع جيفة: جيف وأجياغ.

(٣) يعني: كما قال الشاعر أو القائل، ولم أجد البيت هكذا، وقريب منه ما أنشده ابن النجار الكاتب الدمشقي (ت ٥٦٨ أو التي بعدها):

ولمن ألوم على الهوى وأنا الذي قُدْتُ الْفُؤَادَ إِلَى الْغَرَامِ وَسُقَّتْهُ؟

«خريدة القصر» (٢: ٢٨٧).

(٤) كذا في الأصول، ولعل الصواب: «ألوم».

(٥) في (ع) و(ي): «لخليلتك».

(٦) أقدم من ذكر هذا الحديث الجاحظ في «المحاسن والأضداد» (ص ٢٤٩)، وليس له أصل.

«وَحَيْرُ شَيْءٍ أَلَا^(١) يَرَيْنَ الرِّجَالُ، وَلَا يَرَاهُنَ الرِّجَالُ»^(٢).

ولو أَنَّ عَظَمَ رَجُلٍ فِي حَائِطٍ (وَعَظَمَ امْرَأَةٍ فِي حَائِطٍ)^(٣) لَلْحَقُّ أَحَدُهُمَا إِلَى الْآخَرِ.

وقيل لبعض العاقلات من النساء وقد وقعت لها من مثل هذه الجهة واقعة: ما كان سببها^(٤) مع عقلك؟ قالت: قُربُ الوِساد، وكثرة السَّوادِ^(٥).

واعلم أن امرأتك هي المُسلَّطة عليك في مثل هذا وغيره، وهل وقعت واقعة في الدنيا عظيمة اشتدَّ أمرها إلى يوم القيامة إلا وسببها امرأة؟

ألا ترى أن أولها واقعة آدم عليه السلام حيث أخرج من الجنة؟ وسبب إخراجه: امرأته حواء التي تَبَدَّتْ^(٦) بِالْأَكْلِ مِنَ الشَّجَرَةِ الْمَنْهِيَّةِ عَنْهَا^(٧).

وما قَتَلَ قَابِيلُ أَخَاهُ هَابِيلَ إِلَّا بسبب امرأة، أراد أن يتزوجها، فحكَّم الله بتزويجها من أخيه فقتله، واستحقَّ بذلك^(٨) أوزارَ القاتلين إلى يوم القيامة بسبب ذلك.

(١) سقط من (ع).

(٢) رواه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ابنُ أبي الدنيا في «كتاب العيال»، رقم: ٤١٢ (٥٩٣: ٢).

(٣) سقط من (ع). (٤) في (ي): «سبب ذلك».

(٥) قصة مشهورة ذكرها غير واحد مع الاختلاف في اللفظ، وفي تسمية المرأة التي وقعت لها. انظر: على سبيل المثال «المحاسن والأضداد» (ص ٢٤٩، ٢٥٠).

(٦) أي: تكشفت بسبب الأكل من الشجرة، وكذلك آدم عليه السلام.

(٧) رواه ضمن قصة طويلة عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه: أبو الشيخ في «العظمة» (٥: ١٥٦٨، ١٥٦٩).

(٨) سقط من (ع).

وَهَلْ عُقِرَتْ نَاقَةُ صَالِحٍ إِلَّا بِسَبَبِ امْرَأَةٍ أَطْمَعَتِ الْعَاقِرَ بِأَنْ يَتَزَوَّجَهَا،
فَعَقَرَهَا طَمَعًا فِي مُنَاكَحَتِهَا؟

وَهَلْ مُطِرَ قَوْمُ لُوطٍ حِجَارَةً مِنْ سَجِيلٍ إِلَّا بِسَبَبِ امْرَأَةٍ؟

وكذلك قصة بلعام بن باعورة^(١)، استدعته امرأته أن يدعوا على بني إسرائيل،
وألحت عليه حتى مال إلى قولها، ودعا عليهم حتى استحق بذلك الأوزار، وآل
أمره إلى أن قال الله تعالى فيه: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ
تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الأعراف: ١٧٦] الآية، فسقط من المنزلة الرفيعة التي تذكر عنه^(٢).

وكذلك برصيص العابد^(٣)، ومن هذا كثير، مثل جريج الزاهد^(٤) وغيره،
ولكل واحد من هؤلاء قصة مشهورة.

واعلم أن امرأتك في المحنة المسلمة عليك في مثل هذا وغيره (هي أعظم
المحنة)^(٥)، فإن طاولتها على كل ما تريده منك، رضى عنك وأصلحت حالك
معها، وإن خالفها سخطت، كما قيل: ولا يأتيك ما تكره إلا ممن عرفت.

وزوجك من المعارف الكلية القريبة إليك، فلا تمش^(٦) في رضاها إلا إن
كان في طاعة الله ومرضاته.

(١) كذا في الأصول، والمعروف: بلعام بن باعوراء، وقيل غير ذلك. ترجمته في «تاريخ دمشق»
(٣٩٦: ١٠).

(٢) روى هذه القصة بتفصيل ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٩٨، ٣٩٩).

(٣) كذا في الأصول، ويقال أيضًا: برصيصا، وقصته مذكورة في بعض كتب التفسير عند قوله
سبحانه وتعالى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ﴾ [الحشر: ١٦].

(٤) الصواب: أن جريجًا الراهب امتحن فثبت، ولم يتلبس بشيء من ذلك، وقصته معروفة.

(٥) سقط من (ي). (٦) في (ع) و(ي): «تمشي».

قال: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا فَسَقَ شُبَّانُكُمْ، وَبَغَتِ نِسَاؤُكُمْ، وَكَثُرَ جُهَاكُمُ؟»^(١).
 «وَكَيْفَ بِكُمْ إِذَا ظَهَرَتِ الْمَعَازِفُ، وَشُرِبَتِ الْخُمُورُ، وَلَعَنَ آخِرُ هَذِهِ الْأَمَةِ
 أَوْلَهَا»^(٢)، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ يُصَلُّونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ».
 وَكَمْ مِنْ مُصَلٍّ لَا خَلَقَ لَهُ.

وَلَقَدْ حَدَّثَنِي ثِقَّةٌ مِمَّنْ شَاهَدَ أَبَا الْأَهْوَالِ وَخَالَطَهُ، ثُمَّ تَابَ مِنْهُ: أَنَّهُ إِذَا جَاءَ
 الْمَزْمَرُ أَبُو الْأَهْوَالِ إِلَى قَرْيَةٍ خَرَجَ كُلُّ مَنْ فِي الْقَرْيَةِ لِلِقَائِهِ^(٣)، وَنَادَى: جَاءَ
 أَبُو الْأَهْوَالِ، جَاءَ أَبُو الْأَهْوَالِ وَالْأَفْعَالِ^(٤).

فَتَرَاهُمْ يَتَفَاخَرُونَ بِلِبْسِ الثِّيَابِ وَالزَّيْنَةِ، وَالرَّجُلُ مِنْهُمْ قَدْ ظَهَرَ الْبِشْرُ فِي
 وَجْهِهِ وَالْفَرْحُ وَالضَّحِكُ، يَلُوحُ مِنْهُ السُّرُورُ^(٥)، يُيَادِرُ إِلَى أَخَذِ الْوِسَادَةِ، يَقُولُ:
 الزِّيَادَةُ الزِّيَادَةُ.

فَيَضَعُ الْبِسَاطَ عَلَى عُنُقِهِ وَالْمِخْدَةَ بِيَدِهِ، فَتَقُولُ لَهُ زَوْجَتُهُ: مَا أَمْرُكَ وَمَا
 خَبْرُكَ، لَعَلَّهُ قَدِمَ عَلَيْنَا ضَيْفٌ أَوْ صَدِيقٌ أَوْ أَخٌ؟ فَيَقُولُ لَهَا كَالْمَلْهُوفِ،
 بِالْفَرْحِ مَأْلُوفٌ، كَأَنَّ عَقْلَهُ مَتْلُوفٌ: مَا هُوَ صَدِيقٌ وَلَا أَخٌ شَفِيقٌ^(٦)، وَإِنَّمَا هُوَ
 الْقَادِمُ قَدْ لَاحَ، أَبُو الْأَهْوَالِ وَ^(٧) الْأَفْرَاحِ.

(١) هذا حديث مرفوع رواه قريباً من هذا اللفظ: ابن وضاح في «البدع»، رقم: ١٥٥ (٢: ١١٧).

(٢) هذا جزء من حديث رواه عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مرفوعاً: انتم مدي في
 «الجامع»، كتاب الفتن، باب ما جاء في علامة حلول المسخ والخسف، رقم: ٢٢١٠. وقال:

«هذا حديث غريب». وأما الزيادة التي ذكر المؤلف فلم أجد من ذكرها كذلك، نعم وردت

في حديث آخر لكن بلفظ: قالوا: يا رسول الله، وهم يشهدون أن لا إله إلا الله؟ قال: «نعم».

(٣) في (ع): «إلى لقائه».

(٤) زيادة من (ي).

(٥) سقط من (ي).

(٦) سقط من (ع).

(٧) في (ع): «أبو».

جاء المزمَرُ الصَّيَّاحُ، جاءَ بِالمَلاهي^(١) والألَعابِ المِلاح^(٢)، جاءَ زَيْنُ الرَّحَبِ، بِالْأَلْعَابِ والعَجَبِ.

فَلَا تَرَى فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ إِلَّا قُلُوبًا حَاضِرَةً، وَنِزَاهَةً وَافِرَةً، وَعَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ جَمِيعُ مَنْ فِي الْقَرْيَةِ، وَلَا يَبْقَى بِالْقَرْيَةِ وَضِيعٌ وَلَا رَفِيعٌ إِلَّا هَرُولَ إِلَيْهِ، وَجَلَسَ تَحْتَ بُوقِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَذَلِكَ مِنْ أَوَّلِ الشَّفَقِ إِلَى آخِرِ الْغَسَقِ.

وَكَذَلِكَ النِّسَاءُ يُقْبِلْنَ وَيَتَزَاكِمْنَ بِالطَّرِقاتِ، وَيَتَطَّلَعْنَ عَلَى الْجُدُرَاتِ، فَتَرَاهُنَّ يَأْخُذْنَ مَكَانًا بَعْدَ مَكَانٍ، حَتَّى إِنَّ الْمَرْأَةَ ذَاتَ الْقَدْرِ وَالْحَالِ يَكُونُ لَهَا الْبِنَاتُ^(٣) الْأَبْكَارُ الْمُحْجُوبَاتِ، تَخْرُجُ بِهِنَّ لِتِلْكَ^(٤) اللَّيْلَةِ، يَتَنَزَّهْنَ فِي الْأَلْعَابِ، وَيَسْمَعْنَ مَا لَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَسْمَعْنَ.

فَإِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِنَّ الْجَارَةُ جَارَةُ الْجِدَارِ خَبَأَتْهُنَّ مِنْهَا وَرَاءَ السُّتْرِ، وَقَدْ بَرَزَتْهَا^(٥) لِلْمُنْكَرِ، تُعَايِنُ الْمَلاهي وَالرِّجَالِ، (وَهِيَ بِكُرٍّ مُحْجُوبَةٍ)^(٦) فِي حَجَرٍ أَبِيهَا^(٧).

لَوْ كَانَ فِي أَبِيهَا^(٨) خَيْرٌ مَا اتَّفَقَ ذَلِكَ، وَلَا يَرْضَى بِهَذَا إِلَّا الْأَرَاذِلُ^(٩) الْجُهَالِ، وَكَيْفَ لَا وَهُوَ يَرَى ذَلِكَ الْمَحْفِلَ الْعَظِيمَ، وَالْمُجْتَمَعَ الذَّمِيمَ؟

فَإِذَا كَثُرَ بِتِلْكَ اللَّيْلَةِ السَّفَهَاءُ وَاللُّغَطُ، وَاجْتَمَعَ الْأَشْرَارُ الْخِلَاطُ، بِرَحْبَةِ الشَّيْطَانِ الْهَيَّاطِ^(١٠)، اشْتَغَلَ الْكُلُّ بِالْغَفْلَةِ وَالضَّحِكِ وَغَوَّاءِ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ،

(١) فِي (ع): «أَبُو». (٢) فِي (ع): «وَالْمِلاح».

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ (ي). (٤) فِي (ع): «فِي تِلْكَ».

(٥) فِي (ع): «بَرَزَتْهُنَّ». (٦) فِي (ع): «وَهُنَّ أَبْكَارٌ مُحْجُوبَاتٌ».

(٧) فِي (ع): «أَبِيهِنَّ». (٨) فِي (ع): «أَبِيهِنَّ».

(٩) فِي (ع): «الْأَرْدَالُ».

(١٠) الْهَيَّاطُ وَالْمُهَيَّاطَةُ: الصَّيَّاحُ وَالْجَلْبَةُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّة: هَيْط (٧: ٤٢٤).

حَتَّى إِذَا هَزَّ الشَّيْطَانُ رَايَةَ النِّفَاقِ، وَقَامَ حِزْبُهُ عَلَى سَاقٍ، وَعَايَنْتَ مَا يُرْضِيكَ
مِنَ الْمَلَاهِي أَكْمَلَ النَّهَائِيَّةِ وَانْتَهَاءَ الْغَايَةِ، قُمْتَ عَلَى قَدَمِكَ^(١) بِالنِّيَّةِ إِلَى حَمِيَّةِ
الْحَمِيَّةِ الْقَبِيحَةِ الذَّمِيمَةِ، عَمَدْتَ إِلَى تَكْنُذٍ^(٢) بِنَشَاطٍ.

هَمَّتْكَ لِحْلٌ^(٣) هَيْمَانِكَ^(٤)، وَخَرِيطَتُكَ^(٥) تَنْقُلُ الْقِيْرَاطَ مِنَ الدَّرْهَمِ، وَتَعُدُّهَا
كِي تَعْلَمَ^(٦).

فَوَثِبْتَ وَثْبَةً السَّنُورِ، وَحَمَلْتَ حَمْلَةَ الثَّوْرِ، بِسُرْعَةٍ وَإِقْدَامٍ، فَحَصَلْتَ^(٧)
حِشْمَةَ اللَّثَامِ^(٨)، وَتَاهَبْتَ لِلْإِحْرَامِ، وَوَقَفْتَ مَوْقِفَ اللَّثَامِ، فِي مِيدَانِ الْآثَامِ.

قَدْ زَالَ عَنْكَ قِنَاعُ الْحَيَاءِ، وَتَصَنَّعْتَ بِالْمَلَقِ وَالرِّيَاءِ، فَدَخَلْتَ فِي جُمْلَةِ^(٩)
الْأُخُوَّةِ وَالذَّمَامِ، وَقَدْ اشْتَدَّ الْهَوْلُ وَالذُّسْتُ لِذَلِكَ الْقِيَامِ، قَدْ عَظُمَ طَوْعُ الشَّيْطَانِ
وَكَثُرَ الرُّحَامُ، لِكَثْرَةِ^(١٠) تَرَادُفِ الْأَقْدَامِ.

(١) فِي (ع): «قَدَمِيكَ».

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ، وَلَعَلَّهُ تَفْعُلٌ مِنَ الْكُنُودِ الَّذِي هُوَ الْجُحُودُ.

(٣) فِي (ع): «لِكُلِّ». وَالْحَلُّ هُنَا الْحُلُولُ وَالنَّزُولُ.

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الصَّوَابَ: «هَيْمَانِكَ».

(٥) الْخَرِيطَةُ: شَبْهُ الْكَيْسِ تَكُونُ مِنَ الْخَرْقِ وَالْأَدَمِ تُشَدُّ عَلَى مَا فِيهَا. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ:
خَرِطَ (٧: ٢٨٠).

(٦) أَي: تَعَدُّ الدَّرَاهِمَ كِي تَعْلَمَ أَنَّهَا قِيْرَاطٌ لَا يَنْقُصُ.

(٧) فِي (ي): «فَجَعَلْتَ».

(٨) فِي (و) وَ(ع): «اللَّثَامِ». وَاللَّثَامُ: رَدُّ الْمَرْأَةِ قِنَاعَهَا عَلَى أَنْفِهَا، وَرَدُّ الرَّجُلِ عِمَامَتَهُ عَلَى أَنْفِهِ.

«لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: لَثَمَ (١٢: ٥٣٣). يَعْنِي: أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا خَرَجَ يَجْمَعُ عَلَيْهِ ثِيَابَهُ، وَيَتَلَثَّمُ
كَأَنَّهُ مُحْتَشِمٌ حَيِي.

(٩) فِي (ع): «جَهَّةٌ»، وَفِي (ي): «جُمْلَةُ أَصْحَابِ».

(١٠) فِي (و): «بِكَثْرَةِ».

فَأَسْرَعَتْ فِي مَشِيكِ إِلَى رَحْبَةِ نَجَاسٍ^(١) الْبُوقِ قَرِيرِ الْعَيْنِ، طَيِّبِ الْخُلُقِ،
كَأَنَّكَ هُمَامٌ، أَوْ أَسَدٌ ضِرْغَامٌ^(٢)، مَعَ جُمْلَةٍ^(٣) الْأَصْحَابِ الْعِتْرَةِ، عَلَى الْجُمَةِ^(٤)
وَالْوَفْرِ.

وَهُنَّ يَقْلُنَ: قَدْ قَامَ فُلَانٌ ابْنُ فُلَانٍ إِلَى رَمِي الدَّرَاهِمِ لِلْقِيَانِ، وَقَدْ أَعْجَبَكَ
مَا سَمِعْتَ مِنْ قَوْلِ الْقَائِلِ، وَأَنْتَ فِي مَشِيكِ هَائِلٌ^(٥) عَاجِلٌ، وَنِسْوَةُ الْمُحَافِلِ
قَدْ هَزَّتْ عَلَيْكَ الْوَلَاوِلَ، كَأَنَّكَ الْفَارِسُ الْهَائِلُ^(٦)، بَيْنَ الصَّفَيْنِ مَائِلٌ، أَوْ الْبَطْلُ
الْمُقَاتِلِ، إِذَا أَمَعَنَ فِي الْمَقَاتِلِ.

فَيَفْتَحُ لَكَ الطَّرِيقَ، كُلُّ صَاحِبٍ وَصَدِيقٍ، تَهْزُ الْأَرْضُ بِقَدَمِكَ^(٧) هَزًّا،
وَالشَّيْطَانُ عَنِ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ يُوْزُّكَ أَزًّا، وَالشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللَّهُ قَدْ أَدْخَلَ أَصْبَعَهُ
فِي دُبُرِكَ، يُرْقِصُكَ وَيَلْعَبُ بِكَ، مِثْلَ صُورَةِ الْخِيَالِ، أَوْ رِيْشَةٍ بِالْأَرْضِ تَهْزُهَا
رِيْحُ الشَّمَالِ.

وَقَدْ قَرَّبَ اللَّحَاقَ، إِلَى أَنْ وَصَلَتْ إِلَى الْبُوقِ النَّهَاقِ، وَطَابَتْ لَكَ الْأَحْوَالُ،
بِمِيدَانِ الْمِحَالِ، وَاهْتَزَّتْ^(٨) لِرَمِيكَ الْمَوَاعِينُ^(٩)، وَاحْتَوَشَتْكَ جَمِيعُ الشَّيَاطِينِ،
وَأَنْتَ فِي نَفْسِكَ مَا لَكَ شَبِيهٌ وَلَا قَرِينٌ.

(١) فِي (ع): «نحاس». (٢) فِي (ع): «درغام».

(٣) فِي (ع): «جهة».

(٤) الْجُمَةُ بِالضَّمِّ: مُجْتَمَعُ شَعْرِ الرَّأْسِ وَهِيَ أَكْثَرُ مِنَ الْوَفْرِ. «لسان العرب»، مادة: جَمَمَ (١٢: ١٠٤).
وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ فِي أَكْمَلِ زِينَةٍ.

(٥) الْهَائِلُ مِنَ الرَّمْلِ: الَّذِي لَا يَثْبِتُ مَكَانَهُ. «لسان العرب»، مادة: هَيْلَ (١١: ٧١٣).

(٦) أَمْرُ هَائِلٍ؛ أَيُّ: مَفْزَعٍ. «لسان العرب»، مادة: هَوَلَ (١١: ٧١١).

(٧) فِي (ع): «بقدميك». (٨) فِي (ع): «واهتز».

(٩) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَسَبَقَ ذِكْرُهُ بِلَفْظِ «الْمَوَاعِينِ»، وَلَعَلَّهُ الْأَنْسَبُ مِرَاعَاةً لِلسَّجْعِ، وَلِأَنَّهُ الْأَشْهُرُ.

وقد حمي الوطيس، واشتدَّ التَّرصيصُ بميدانِ اللعينِ إيليس، وقرب الأشرارِ
بضوءِ النارِ، للزَّيَاءِ والافتخارِ، برميِ الدرهمِ والدينارِ، وقد صارَ بهم الليلُ كالنَّهارِ.
والدُّسْتُ قد قامَ على المزمرِ بالبوقِ والأنفازِ^(١)؛ لرميكِ كالأسدِ الهَصارِ^(٢)،
أو البطلِ الكَرَارِ^(٣).

قد وافقت الشيطانَ في أعمالِه، وقبائحِ أفعالِه، وكثرت الرِّحبة، ورُفِعت
عن جميعِهِم الرِّحمة، فمرةً ترمي في البوقِ ومرةً على الجبهة، حتَّى إذا فِينت
لَكَ الدِّراهمُ بالمَرباطِ وأطرافِ العَمائمِ، واستقرَّت^(٤) بِكُلِّ قاعدٍ وقائمٍ، ويَقْظانٍ
ونائمٍ، قَعَدتْ كأنَّكَ الغانِمُ السَّالمُ، إذا أتَيْ بالغانِمِ.

تَنفُخُ نَفَخَاتِ التَّنِينِ، وَتَنْظُرُ عَنْ شِمَالٍ وَيَمِينٍ، قَدْ أَرْضَيْتَ الشَّيْطَانَ اللَّعِينَ،
وَأَسْحَطْتَ رَبَّ الْعَالَمِينَ؛ إِذْ جَعَلْتَ دَرَاهِمَكَ فِيمَا لَا يَرْضَى، وَصَرَفَهَا^(٥) فِيمَا^(٦)
يُحْظَى.

وَصِرْتَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهِمْ: ﴿إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾

[الإسراء: ٢٧].

فَإِذَا أَصْبَحْتَ (مِنْ صَبَاحِ تِلْكَ اللَّيْلَةِ أَصْبَحْتَ سَكَرَانًا، مَهْمُومًا حَيْرَانًا،
قَدْ رَجَعْتَ إِلَى عَقْلِكَ، وَخَاطِرِكَ وَذِهْنِكَ، قَدْ زَالَتْ عَنْكَ أَحْوَالُ الْبَارِحَةِ)^(٧)،

(١) التَّنْفِيرُ: الجماعةُ من الناسِ كالنَّفَرِ والجمعُ من كلِّ ذلك: أنْفَار. «لسان العرب»، مادة: نفر (٢٢٤: ٥).

(٢) أي: الأسد الشديد الذي يفتَرَسُ ويكسِر. «لسان العرب»، مادة: هصر (٢٦٤: ٥).

(٣) في (ع): «الكدار». (٤) في (ع): «وأسهرت». ويعني: الدراهم.

(٥) في (ع): «صرفتُها». (٦) في (ع): «فيما لا».

(٧) سقط من (ع).

فلا دراهم بقيت^(١) ولا نفسا فارحة، وحل بك الندم بعد ذلك القيام، قد
أفلست خريطتك من الدراهم، لا وازنا بقي لك فيها، ولا ناقصا يقام، تكابدوهم
المديان^(٢)، وتقول معه^(٣): عندي مع فلان كذا، وكذا لفلان، فتبقى حزينا كثيرا
خيران مهينا، قد اجتمع عليك الفقر في الدين والدنيا، وبقيت الثباعات للآخرة
العليا، فأصبحت لا دنيا ولا آخرة، رجعت تلوم نفسك أشد الملام، فكم
أعاذلك، وكم ذا وكم.



(١) في (ع): «باقية».

(٢) المديان: من كان في ذمتك له ديون كثيرة.

(٣) في (ع): «معهم».

فَضْلُكَ

[في التحذير من كفران النعم]

يا خَسِيسَ الهِمَّةِ، يا مُنْكَرَ النُّعْمَةِ، يا قَلِيلَ الرِّأْيِ، يا مَنْ أَنْفَقَ مَالَهُ فِي الْعِصْيَانِ وَالْغَيِّ، (مَا أَنْتَ بِنَفْسِكَ) ^(١) يَقْظَانِ، بَلْ أَنْتَ مَيِّتُ الْقَلْبِ سَكَرَانٌ حَيْرَانٌ، غَرِيقًا ^(٢) فِي الْمَاءِ عَطْشَانٌ.

فَانْتَبِهْ لِهَذَا الْكَلَامِ، وَلَا يَغُرَّنْكَ مُرُورُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَالشُّهُورِ وَالْأَعْوَامِ، فَإِنَّمَا هِيَ أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ، احْذَرِ سُوءَ الْإِنْقِلَابِ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ لِعَابٌ.

يا أَخِي، أَنْفَقْتَ مَالَكَ فِي اللَّهْوِ وَالْمِحَالِ، عَلَى أَقْبَحِ الْأَحْوَالِ، فَإِذَا جَاءَكَ سَائِلٌ يَطْلُبُ مِنْكَ خِرْقَةً بَالِيَةً وَكِسْرَةً يَابِسَةً، قُلْتَ لَهُ: اللَّهُ يُعْطِيكَ، فَرَجَعَ مِنْكَ خَائِبًا، وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الَّذِي أَعْطَاكَ وَأَعْطَاهُ، وَلَوْ أَعْطَيْتَهُ يَسِيرًا أَعْطَاكَ اللَّهُ كَثِيرًا بَاقِيًا، لَكِنَّكَ اشْتَرَيْتَ النَّارَ بِثَمَنِ غَالٍ، وَبِعْتَ الْجَنَّةَ بِالْثَمَنِ الرَّخِيسِ.

يا أَخِي، أَتَاكَ السَّائِلُ وَمَذَلَّةُ الْمَسْأَلَةِ عَلَى وَجْهِهِ، فَخَرَجَ مِنْكَ خَائِبًا، وَأَكْبَادُهُ تَتَوَجَّعُ وَهُوَ يَبْكِي، فَقُلْتَ لَهُ: أَنْتَ عَوَدْتَ نَفْسَكَ السُّؤَالَ، وَالسَّعْيَةَ وَالْحِيَالَ ^(٣)، فَسَدَدْتَ دُونَهُ بَابَكَ، وَأَطْلَقْتَ عَلَيْهِ حِجَابَكَ، وَجَمَعْتَ أَهْلَكَ وَأَقَارِبَكَ وَأَحْبَابَكَ، وَلَمْ تَتَّقِ اللَّهَ فِيهِ، وَهُوَ مُؤْمِنٌ مِثْلَكَ، وَرَبُّكَ وَرَبُّهُ وَاحِدٌ، وَدَعَاةُ الْإِسْلَامِ وَأَخُوتهُ وَاحِدَةٌ، وَلَكِنْ عَافَاكَ اللَّهُ وَابْتَلَاهُ، وَأَغْنَاكَ وَأَفْقَرَهُ.

(١) فِي (ي): «أَنْتَ عِنْدَ نَفْسِكَ». (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَهُ وَجْهٌ.

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الْمَقْصُودَ: مَا يَأْخُذُ السَّائِلَ مُقَابِلَ سَوْأَلِهِ، يُقَالُ: هَذَا حِيَالُ كَلِمَتِكَ؛ أَي: مُقَابِلَةُ كَلِمَتِكَ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّة: حَوْل (١١: ١٨٤).

فالويلُ لك يا مغرور، والويلُ لك يا مسحور، لقد طردَكَ الجليلُ عَنْ بَابِهِ، بِخَيْبَتِكَ عَنْ^(١) ثَوَابِهِ، وأوجبَ لك الكثيرَ مِنَ أليمِ عَذَابِهِ، والمسكينُ قد خَرَجَ عَنْ بَابِكَ بِلا نعمةٍ، وَلَمْ تَخْطُرْ لَهُ بِقَلْبِكَ رَحْمَةٌ، والسائلُ باكِياً^(٢) مِنَ الجوعِ شاكِياً لَيْسَ لَهُ مَأْوَى بِدارٍ، ولا سُكْنَى، ولا أَهْلٌ، ولا مُسْتَقَرٌّ.

كَمَا قَضَى اللهُ سُبْحَانَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَاحِدٌ يَتَنَعَّمُ بِالطَّيِّبَاتِ وَالطُّرَفِ^(٣) وَاللَّذَاتِ وَجَمِيعِ الْأَطْعَمَةِ وَالشَّهَوَاتِ، بِكُلِّيَّةٍ^(٤) الْأَمْنِيَّاتِ، وَرَقَائِقِ الْأَخْبَارِ وَجَمِيعِ الْخَيْرَاتِ. سَاهِي لَاهِي، مُرْتَكِبُ الْمَنَاهِي، لَا تَدْرِي أَيْنَ اللهُ مِنْكَ وَلَا عِنْدَكَ مِنْهُ خَبَرٌ، وَلَا لِأَخْرَجَتِكَ أَثَرٌ، فَمَا أَسْرَعَ زَوَالَ هَذِهِ النِّعْمَةِ عَنْكَ، وَانْقِلَابُهَا مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ! وَآخِرُ^(٥) جَائِعٌ ذُو فَاقَةٍ وَمَسْغَبَةٍ، وَفَقِيرٌ وَمَتْرَبِيَّةٌ، قَدْ غَمَرَهُ^(٦) الْفَقْرُ وَكَثُرَ الْعِيَالُ، وَالْمَسْكَنَةُ وَقَلَّ الْحَالُ.

ثُمَّ إِذَا جَاءَكَ زَقَانٌ وَخَيَالٌ، وَمَلَاهِي بِحِيلٍ^(٧)، أَوْ الْمَزْمَرُ الْكَبِيرُ أَبُو الْأَهْوَالِ، أَوْ أَحَدٌ مِنَ أَبْنَاءِ الدُّنْيَا الظَّلْمَةِ، تَرَى لِنَفْسِكَ نَزْهَةً وَطَلَاقَةً وَجْهًا، وَانصَرَفَتْ^(٨) إِلَى مَنَزِلِكَ مُسْرِعًا، وَيَسَّرَتْ مَا يَحْتَاجُ مِنْ أَنْوَاعِ الْأَلْوَانِ وَالْأَطْعَمَةِ وَلُحُومِ الدَّجَاجِ مَعَ الْفَوَاكِهِ وَأَوَانِي الشَّرَابِ، وَالْبُسْطِ^(٩) وَالْوِطَاءِ وَالْغِطَاءِ وَأَنْوَاعِ الثِّيَابِ.

وَقَدْ سَمِعَ إِخْوَانُكَ وَأَصْحَابُكَ، وَآتَوْا إِلَيْكَ يُهْرَعُونَ^(١٠)، مِنْ كُلِّ حَدَبٍ

(١) فِي (ع): «مَنْ». (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَهُ وَجْهٌ.

(٣) الطَّارِفُ مِنَ الْمَالِ الْمُسْتَحْدَثُ وَهُوَ خِلَافُ التَّالِدِ وَالتَّلِيدِ، وَالْأَسْمُ: الطَّرْفَةُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»،

مَادَّةُ طَرْفٍ (٩: ٢١٣). (٤) فِي (ع): «بِكُلِّ»، وَفِي (ي): «بِكُلِّهَا».

(٥) فِي (ع): «وَأَخَاكَ». (٦) فِي (ي): «غَمَرَهُ».

(٧) فِي (ي): «بِحِيَالٍ». (٨) فِي (ي): «انصرفت».

(٩) سَقَطَ مِنْ (ع). (١٠) فِي (ع): «يُسْرَعُونَ».

يَنْسِلُون، إِلَى أَنْ يَجْلِسَ الْجَالِسُ وَيَقُومَ الْقَائِمُ.

وَقَدْ يَسَّرَ جَمِيعُ اللُّهُو وَالطَّرَب، وَكَثُرَ الضَّحِكُ وَاللَّعِبُ وَالْمَزَاحُ وَقَلَّتْ
الْأَدَب، هَكَذَا دَأْبُهُمْ وَسِيرُهُمْ وَأَحْوَالُهُمْ بَتَعْظِيمِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَغْنِيَاءِ، وَالْحَقَرَةِ
وَالْإِهَانَةِ بِالْفُقَرَاءِ لِفَقْرِهِمْ.

رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَلْعُونٌ مَنْ أَكْرَمَ بِالْغِنَى^(١)،
وَأَهَانَ بِالْفَقْرِ^(٢).

قَالَ الشَّاعِرُ^(٣): [الكامل].

يَا مَنْ يُمْلِي الْبَطْنَ يَغْدِرُ دَائِمًا	وَيَظْلُ بِالشَّهَوَاتِ صَبًّا هَائِمًا
أَيْقِظْ عِنَانَ الْقَلْبِ مِنْ سِنَّةِ الْكَرَى	فَلَرُبَّ مُتَّبِعٍ وَيُحَسِّبُ نَائِمًا
كَمْ جَاءَكَ الْمِسْكِينُ يَسْأَلُ رَحْمَةً	فَرَدَدْتَهُ عَمْدًا وَلَمْ تَكُ رَاحِمًا
وَتَبَيْتُ شَبْعَانًا وَجَارُكَ جَائِعٌ	يُجْرِي مِنَ الْأَوْصَابِ دَمْعًا سَاجِمًا
انْظُرْ إِلَى الصَّدِيقِ كَمْ مِنْ لَيْلَةٍ	قَدْ بَاتَ جِيعَانًا وَأَصْبَحَ صَائِمًا
خَوْفًا مَنْ أَنْ يَنْسَى الْجِيعَ فَإِنْ فِي	نَسْيَانِ أَهْلِ الْفَقْرِ بُخْلًا قَائِمًا

يَا مِسْكِين، أَقْلَبْتُ^(٤) عَلَى نَفْسِكَ صُخُورَ الْجُنُوفِ^(٥)، بِأَوْسَاخِ الدُّنْيَا
وَالدَّرَاهِمِ الزُّيُوفِ، وَتَبَهَّرَجْتَ لِلْأَغَانِي وَتَصَفَّقِ الْكُفُوفِ، وَضَرَبِ^(٦) الدِّيفَانَ

(١) فِي (ع): «غِنَى بِالْغِنَى».

(٢) فِي (ع): «بِالْفَقْرِ». وَالْأَثَرُ رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٦٠: ٣٥٦).

(٣) لَمْ أَجِدْ هَذِهِ الْأَبْيَاتَ فِيمَا بَحِثْتُ، وَقَدْ تَكُونُ لِلْمُؤَلِّفِ.

(٤) أَقْلَبَ بِمَعْنَى: قَلَبَ، وَهِيَ لُغَةٌ رَدِيقَةٌ.

(٥) الْجَنْفُ، مُخَرَّكَةٌ، وَالْجُنُوفُ، بِالضَّمِّ: الْمَيْلُ وَالْجَوْرُ وَالْعُدُولُ. «تَاجُ الْعُرُوسِ»، مَادَّةُ: جَنْفُ (١٠٣: ٢٣).

(٦) فِي (ع): «خَرَاب».

ووهلة الشُّقُوفِ^(١)، فاحذَرِ مِنْ مَصَايِدِ مَكَايِدِ سِمَاكِ^(٢) الهلاكِ أَنْ تُرْدِيَكَ (في فُخُوحِ)^(٣) العُقُوفِ^(٤)، بِمَضَائِقِ مَغَارِقِ الحُتُوفِ.

وَلَا تَجِدْ لَكَ نَاصِرًا عِنْدَ حُلُولِ نُزُولِ المَيِّتَةِ وَأَنْتَ فِي النَّزَعِ الشَّدِيدِ، وَالكَرْبِ الْمَزِيدِ، بِوُقُوعِ ضَرْبَاتِ (دَقِّ بَابَاتِ)^(٥) السُّيُوفِ، وَلَا وَلِيًّا وَلَا نَاصِرًا إِلَّا الرَّحِيمَ الرَّؤُوفَ.

قَالَ الوَاعِظُ: أَيْنَ أَصْحَابُ مَطَارِفِ^(٦) الخَدِّ العِتَاقِ، والعِمَائِمِ الرِّقَاقِ؟ أَيْنَ الَّذِينَ طَلَبُوا العَدَالَاتِ، وَضَيَّعُوا الأَمَانَاتِ؟ أَيْنَ الَّذِينَ أَهْزَلُوا دِينَهُمْ وَسَمَّنُوا بَرَادِيْنَهُمْ؟ أَيْنَ الَّذِينَ أَخْلَقُوا دِينَهُمْ، وَجَدَّدُوا ثِيَابَهُمْ؟ أَيْنَ الَّذِينَ اتَّكَّؤُوا عَلَى شَمَائِلِهِمْ، وَأَكَلُوا غَيْرَ أَمْوَالِهِمْ، وَدَعَّوْا بِرَطْبِ وَيَابِسِ، (وَحُلُوْا بَعْدَ قَارِسِ)^(٧)؟ أَسْخَطُوا رَبَّهُمْ، وَأَرْضَوْا^(٨) شَيَاطِينَهُمْ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٧].



(١) جمع شَقَفٍ، وهو الخَزَفُ المُكْسَرُ. «لسان العرب»، مادة: شَقَفَ (٩: ١٨٣).

(٢) هو ما سَمَكَتْ بِهِ سَقْفًا أَوْ حَائِطًا. «لسان العرب»، مادة: سَمَكَ (١٠: ٤٤٣).

(٣) فِي (ي): «بَخْرُوجٍ».

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّهُ مِنَ الْعَقْفِ الَّذِي هُوَ الْعُطْفُ وَالْمِيلُ وَالْإِعْوَجَاجُ.

(٥) فِي (ي): «ذَبَابَاتٍ».

(٦) فِي (و): «مَظَارِفٍ»، وَفِي (ع): «مُضَارِفٍ».

(٧) فِي (ع): «وَحَلُّوْا بِعِرْقَاسٍ». وَالْقَارِسُ: الْجَامِدُ.

(٨) فِي (ع): «وَرَضَوْا».

فَصْلٌ

[في معرفة المواد التي يصنع منها المزمرة]

قَالَ أَهْلُ الْإِشَارَاتِ: إِنَّ الشَّيْطَانَ لَعَنَهُ اللَّهُ أَلْفَ الْمَزْمَرِ الْكَبِيرِ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ، وَهِيَ أَجْزَاءُ خَبِيثَةٍ لَا خَيْرَ فِيهَا؛ إِذْ هِيَ مِنْ جَوْهَرٍ ^(١) النَّارِ. فَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ: التَّبْنَةُ ^(٢)، وَعَلَيْهَا مَدَارُهُ، وَهِيَ قِوَامُهُ وَرُكْنُهُ وَعَيْنُ حَرَكَتِهِ، وَهِيَ يَسِيرَةٌ فِي رَأْيِ الْعَيْنِ، وَفِعْلُهَا كَبِيرٌ، وَهِيَ مِثْلُ الشَّرَارَةِ مِنَ النَّارِ الصَّغِيرَةِ، وَرُبَّ شَرَارَةٍ أَضْرَمَتْ نِيرَانًا كَثِيرَةً، لَا يُسْتَطَاعُ إِطْفَاؤُهَا وَلَا خُمُودُهَا، وَالتَّبْنُ لَا خَيْرَ فِيهِ.

رُوِيَ عَنْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: يَا رَبِّ، أَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا يَجُورُ، خَلَقْتَ الْخَلْقَ، وَخَلَقْتَ النَّارَ رَحْمَةً لِأَوْلَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، وَنِقْمَةً لِأَعْدَائِكَ الْكَافِرِينَ فِي الْآخِرَةِ، وَقَضَيْتَ عَلَى الْكَافِرِينَ بِالنَّارِ، وَعَلَى مَنْ قَضَيْتَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْخَاطِئِينَ، ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَأَنْتَ الْعَالِمُ الْبَصِيرُ بِخَلْقِكَ، الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِكَ، فَأَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهِ: لَنْ ^(٣) صَدَقْتَ يَا مُوسَى، أَنَا الْمَلِكُ الْعَدْلُ الَّذِي لَا أَجُورُ، هَكَذَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِي، يَا مُوسَى، مَا فَعَلْتَ بِزَرْعِكَ؟ قَالَ: حَصَدْتُهُ، وَدَرَسْتُهُ، وَذَرَوْتُهُ، وَادَّخَرْتُ طَيِّبَهُ، وَأَلْقَيْتُ عَنِّي خَبِيثَهُ، قَالَ: وَمَا خَبِيثُهُ؟ قَالَ: تَبْنُهُ، قَالَ: وَلِمَ أَلْقَيْتَ تَبْنَهُ؟ قَالَ: لِأَنَّهُ

(١) فِي (ع): «جَوَاهِرُ». (٢) فِي (ع): «مِنَ التَّبْنَةِ». وَالتَّبْنَةُ: وَاحِدَةُ التَّبْنِ.

(٣) فِي (و) وَ (ي): «لَمْ»، وَالمُثَبَّتُ مِنْ (ع)، وَلَعَلَّهُ الْأَقْرَبُ إِلَى الصَّوَابِ.

لا خَيْرَ فيه، قال: يا موسى، وكذلك أنا، لا أُدْخِلُ النارَ إلا مَنْ لا خَيْرَ فيه^(١).

والجزءُ الثاني: خَشْبُهُ، وهو أوسطه، وبِهِ يَعْظُمُ صَوْتُهُ، بِسَبَبِ الْمَنَافِسِ^(٢) التي هي فيه، مُسْتَعْدَّةٌ لِتَرْخِيمِ الأصواتِ الخارجَةِ مِنْهُ على الأثقابِ التي فيه، لِتَحْرِيكِ^(٣) الأصابعِ عليها، بِأصواتٍ مُخْتَلِفَةٍ الأَلْحانِ، مُطَابِقَةٍ لِلْمَعَانِي، تُوافِقُ جَمِيعَ الْمَغَانِي.

وهو الذي ابْتَدَعَهُ حُذَّاقُ الشَّيَاطِينِ على ما هو عليه مِنَ الْكُثَافَةِ، لِكِنَّةِ تَحْتَ ذَلِكَ رِقَّةٌ وَلَطَافَةٌ تَسْتَدْعِي عَقُولَ النَّاسِ وَتَهَيِّجُهُمْ^(٤) كَمَا تَعْلَمُ، فما في جَمِيعِ الْمَنَائِرِ وَالْمَلَاهِي أَشْنَعُ مِنْهُ؟

وَالْخُشْبُ لا خَيْرَ فيها^(٥) لِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ^(٦) الْمُنَافِقِينَ: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشْبٌ مُمْسَخَةٌ﴾ [المنافقون: ٤].

لا خَيْرَ عِنْدَهُمْ، ولا عِنْدَهُمْ عَقْلٌ ولا عِلْمٌ، يَعْنِي: الْمُنَافِقِينَ، إِنَّمَا هُمْ صُورٌ وَأَشْبَاحٌ بِلا فِهْمٍ ولا عِلْمٍ ولا عَقْلٍ، فَأَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ أَنَّهُمْ كَالْخُشْبِ، ولا يَكُونُ آخِرُ الْخُشْبِ إلا الْحَرَقُ بِالنَّارِ.

قالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾

[النساء: ١٤٥].

(١) رواه قريباً من هذا السياق من حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه موقوفاً عليه: ابن المبارك في «الزهد»، رقم: ٣٥١ (ص ١١٨).

(٢) كذا في الأصول، ولعل المقصود: الأماكن التي يخرج منها النَّفْسُ بسبب النفخ.

(٤) في (و) و(ي): «وتهيجهم».

(٣) في (ع): «بتحريك».

(٦) في (ع): «على».

(٥) في (ي): «فيه».

والجزء الثالث: مِتْفَحُهُ^(١) الأعلى، وَبَرِيَّتُهُ^(٢) السفلى من النحاس، وهو الْقَطِرَانُ لِبَاسُ أَهْلِ النَّارِ فِي النَّارِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَرَابِيلُهُمْ مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهُهُمُ النَّارُ﴾ [سورة: ٥٠].

فالثلاثة أجزاء هي مِن جَوْهَرِ النَّارِ، وإلى النَّارِ رُجُوعُهَا، فَبِالْتِّبَنِ تَشْتَعِلُ النَّارُ، وهو^(٣) ضَعِيفٌ صِنْفٌ^(٤) مِنَ الْأَصْغَاثِ؛ لِاجْتِمَاعِهِ وَدَقَّتِهِ، وَبِهِ يَشْتَعِلُ الْخَشَبُ؛ لِأَنَّ التِّبْنَ إِنَّمَا الْمَرَادُ بِهِ الْاِشْتِعَالُ، لَيْسَ لَهُ جَمْرٌ، بَلْ تَعْظُمُ بِهِ النَّارُ بِاِشْتِعَالِهِ، يَبْدَأِيَّتُهُ تَعْظُمُ النَّارُ لِتُحْرِقَ^(٥) الْخَشَبَ الْغَلِيظَ.

وكَذَلِكَ تَبْنَةُ الْمِتْفَحِ الْأَعْلَى مِنْهُ، أَعْنِي: الْبُوقُ، عَلَى دِقَّتِهَا وَحَقَارَتِهَا، يُصَوْتُ^(٦) بِحَيْثُ يَسْمَعُهَا أَتْبَاعُ الْمَزْمَرِ، فَيَشْتَعِلُ الشَّرُّ، وَيَكْثُرُ الْاِزْدِحَامُ عَلَيْهِ كَمَا تَشْتَعِلُ النَّارُ فِي الْخَشَبِ الْكَبِيرِ الْكَثِيرِ.

بَلِ التِّبْنُ لَهُ الدُّخَانُ الْكَثِيرُ الشَّدِيدُ السَّوَادُ^(٧)، فَافْهَمْ تَجِدُهُ بَيِّنًا وَاضِحًا.

وَعَنْ لَيْثٍ^(٨) بْنِ سَلِيطٍ^(٩) أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَأْذَنُ اللَّهُ بِهَلَاكِ أَهْلِ الْقُرَى إِذَا عَطَّلُوا الْحُدُودَ، وَاسْتَحْلَوْا الْفُرُوجَ، وَأَظْهَرُوا الْمَعَارِفَ، وَشَرَبُوا الْخُمُورَ، وَلَبَسُوا الْحَرِيرَ، وَاتَّخَذُوا الْقِيَانَ، وَنَحَسُوا الْمَكْيَالَ وَالْمِيزَانَ».

(١) الْمِتْفَحُ وَالْمِتْفَاخُ: مَا يُتْفَحُ بِهِ. «المصباح المنير»، مادة: تَفَحَ (٢: ٦١٦).

(٢) يُقَالُ: سَهْمٌ بَرِيٌّ، أَيْ: مَبْرِيٌّ، وَالتَّيْرِي: التَّحْتَ. «اللسان العرب»، مادة: بَرَى (١٤: ٦٩).

(٣) فِي (ع): «وَهِي». (٤) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٥) فِي (و) وَ(ي): «لِيُحْرِقَ». (٦) فِي (ع): «قَصْرَتَ»، وَفِي (ي): «بِصَوْتِ».

(٧) سَقَطَ مِنْ (ع). (٨) فِي (ع): «بِهَيْثَ».

(٩) كُنَّا فِي الْأَصُولِ، وَهُوَ مُحَرَفٌ عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ، كَذَلِكَ رَوَى الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقِهِ

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَابِطٍ مَرْفُوعًا قَرِيبًا مِنْ هَذَا السِّيَاقِ: نَعِيمٌ بْنُ حَمَادٍ فِي «الْفَتَنِ»، رَقْم:

١٧١٦ (٢: ٦١٦)، وَلَيْسَ فِيهِ بَعْضُ الْجَمَلِ لَكِنْ بَعْضُهَا وَارِدٌ فِي أَحَادِيثٍ أُخَرَ.

فَصْلٌ

[في التحذير من مجالس اللهو]

وعن هلال بن خباب^(١) أنه قال: قلت لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: ما علاماتُ^(٢) هلاكِ هذه الأمة؟ قال: هلاكُ علمائهم^(٣).

وإذا ظَهَرَتْ فِيهِمْ خَمْسٌ نَزَلَ بِهِمُ الْعَذَابُ: الْجَوْرُ، وَالْخَمْرُ، وَالْحَرِيرُ، وَالْمَعَازِفُ، وَاكْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ^(٤).

فاحذر مَجَالِسَ^(٥) الْقِيَانِ، وَالْأَغَانِي بِالْأَصْوَاتِ الْحَسَنَةِ، فَإِنَّهَا دَوَائِرُ الْمُحَنِ وَالْبَلَايَا وَالْإِفْتِنَانِ.

يَا أَخِي، إِنَّكَ تُشَاهِدُ حِلَقَ الذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ، فَمَرَّةً تَبْكِي وَتَسْكُبُ الدُّمُوعَ، كَأَنَّكَ^(٦) مُسْتَغْفِرٌ أَوْابٌ، فَإِذَا لَاحَ شَيْءٌ مِنَ الْمَلَاهِي وَتَبَّتْ إِلَيْهِ وَثْبَةُ الذَّنْبِ عَلَى الْفَرِيَسَةِ، وَرُغِتْ عَنِ الطَّاعَةِ رَوْغَانُ الثَّلْبِ إِذَا انْقَضَتْ عَلَيْهِ^(٧) الْكِلَابُ، لَا وَالْمَلِكِ الْوَهَّابِ، مَا أَنْتَ فِي فِعْلِكَ إِلَّا^(٨) أَكْذَبُ مِنْ كَذَابِ.

(١) هلال بن خباب العبدي مولا هم أبو العلاء البصري، مات سنة أربع وأربعين ومئة. «تقريب التهذيب» (ص ٥٧٥).

(٢) في (ع): «علامة».

(٣) رواه الدارمي في «مسنده»، رقم: ٢٤٧ (١: ٣٠٩).

(٤) وردت بذلك أحاديث، بعضها صحيح، وسائرُها يُستأنس به.

(٥) في (ع): «مجالسهم». (٦) في (ع): «فأنت».

(٧) سقط من (و). (٨) سقط من (ع).

إِلَّا أَنْ تُخْلِصَ النِّيَّةَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَتْرَكَ جَمِيعَ الْمَنَاهِي وَالْمَلَاهِي وَالْإِخْوَانَ السَّوَاءَ، وَتُقْلِعَ عَنِ جَمِيعِ الْمَنَاكِرِ، وَتَأْخُذَ بِأَحْكَامِ الشُّنَّةِ وَالْكِتَابِ، وَتَرْذُ الْمَظَالِمَ، وَتَنْفِي عَنكَ الْمَآثِمَ مِنَ الْكِبَائِرِ وَالْجَرَائِمِ، وَتُسَاوِيَ بَيْنَ سَرِيرَتِكَ وَعِلَانِيَتِكَ فِي أَقْوَالِكَ وَأَفْعَالِكَ، وَتَرْضَى بِسُقُوطِ الْمَنْزِلَةِ وَتَغْيِيرِ^(١) الْحَالِ وَالْمَضْرِبِ^(٢)، بِتَرْكِ زِينَةِ الْمَلَابِسِ وَالْثِّيَابِ، مَعَ قِلَّةِ الْمَطْعَمِ وَالْمَشْرَبِ، إِلَّا مَا لَا بُدَّ مِنْهُ لِإِقَامَةِ الطَّاعَةِ لِلْمَلِكِ الْوَهَّابِ، وَتَأْخُذَ طَرِيقَ الْعُلَمَاءِ وَفُقَهَاءِ الْمَذْهَبِ، وَتَبْكِي عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ ذُنُوبِكَ، وَتَرْجُو اللَّهَ أَلَّا يُعَذِّبَكَ بِأَلِيمِ الْعَذَابِ.

فَإِذَا فَعَلْتَ هَذَا بِتَوْفِيقِ اللَّهِ وَمُعُونَتِهِ نَادِيَ الْمُنَادِي بِاسْمِكَ: أَلَا إِنَّ فُلَانًا قَدْ أَجَابَ الدَّاعِيَ وَرَجَعَ إِلَى اللَّهِ وَتَابَ، وَلَيْسَ هَذَا إِلَيْكَ وَلَا يَبِيدُكَ، إِنَّمَا ذَلِكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَيَبِيدُهُ الْخَيْرُ، فَاسْأَلْهُ الْعِصْمَةَ وَالْإِقَالََةَ.

قَالَ أَحْمَدُ بْنُ الْحُسَيْنِ^(٣) النَّيْسَابُورِيُّ^(٤): قَالَ أَحْمَدُ بْنُ نَبَهَانَ^(٥)، عَنْ مَنْصُورِ بْنِ عَمَّارٍ^(٦)، قَالَ: كَانَتْ جَارِيَةً بِالْبَصْرَةِ يُقَالُ لَهَا: أَسْمَاءُ، وَكَانَتْ ذَاتَ حُسْنٍ وَجَمَالٍ، وَشَكْلٍ وَدَّلَالٍ، وَقَدْ وَاعْتَدَالٍ، حُلُوةَ اللِّسَانِ، عَذْبَةَ الْكَلَامِ، وَكَانَ لَهَا مَوْلَى عَطَّارٌ، ذُو سَعَةٍ وَيَسَارٍ، وَكَانَ لَهُ قَدْرٌ فِي زَمَانِهِ، وَبِهَجَّةٍ بَيْنَ إِخْوَانِهِ.

وَكَانَ مَفْتُونًا بِالْجَارِيَةِ، مَشْغُوفًا بِحُبِّهَا، فَخَرَجَتْ ذَاتَ يَوْمٍ تَسْتَنِي فِي خُطُوبِهَا، وَتَتَبَرَّجُ الْخِيَلَاءَ فِي مَشْيِهَا، وَتَنْظُرُ إِلَى انْعِطَافِهَا، وَتَتَعَجَّبُ مِنْ نَفْسِهَا.

(١) فِي (ع): «وَتَغْيِيرِ».

(٢) لَعَلَّهُ مِنْ ضَرَبَ فِي الْأَرْضِ يَضْرِبُ ضَرْبًا وَضَرْبَانًا وَمَضْرَبًا بِالْفَتْحِ: خَرَجَ فِيهَا تَاجِرًا أَوْ غَازِيًا. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: ضَرَبَ (١: ٥٤٣).

(٣) فِي (ي): «الْحُسَيْنِ». (٤) لَمْ أَتَّبِعْ مِنْ هُوَ.

(٥) لَمْ أَتَّبِعْ مِنْ هُوَ.

(٦) تَقَدَّمَ تَرْجُمَتُهُ، وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذِكْرِ قَوْلِهِ فِيمَا بَحَثْتُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

فَمَرَّتْ بِمَجْلِسِ صَالِحِ الْمُزَيَّي^(١) الواعظ، حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ النِّسَاءِ وَهُوَ يَعِظُ
النَّاسَ وَيُخَوِّفُهُمْ بِذِكْرِ النَّارِ، وَمَا أَعَدَّ اللَّهُ فِيهَا مِنَ الْأَهْوَالِ لِلْفُسَّاقِ وَالْفُجَّارِ.

وَنَظَرَتْ إِلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ يَتَصَارَخُونَ بِالنَّحِيبِ، وَيَضْجُونَ بِالبَّكَاءِ
وَالْعَوِيلِ، وَكَانَ بِمُوَافَقَةِ الْمَقْدُورِ عِنْدَمَا^(٢) نَظَرَتْ إِلَيْهِمْ جَالَتْ الرَّحْمَةُ فِي
قَلْبِهَا، وَسَكَنَتِ الْمَوْعِظَةُ فِي فُؤَادِهَا، فَسَالَتِ الْعَبْرَةُ عَلَى خَدَّهَا.

فَقَالَ صَالِحٌ: مَنْ هَذِهِ الَّتِي إِثَارَتُهَا لِلْأَحْزَانِ غَزِيرَةٌ، وَتَعْظِيمُ حُرْقَتِهَا لِلشُّجُونِ
مُثِيرَةٌ؟ فَقِيلَ لَهُ: هَذِهِ أَسْمَاءُ الْعَازِفَةِ.

فَأَقْبَلَ نَحْوَهَا بِوَجْهِهِ، وَقَصَدَهَا مِنْ بَيْنِ النِّسَاءِ بِلَفْظِهِ، وَرَمَاهَا بِرَشْقٍ مِنْ^(٣) سِيْهَامٍ
وَعِظِهِ، ثُمَّ نَادَى: أَيُّهَا الصَّارِخَةُ بِتَرْخِيمِ صَوْتِهَا، وَالْمُعْوِلَةُ^(٤) بَيْنَ النِّسَاءِ بِأَشْجَانِ
حُرْقَتِهَا، لَعَلَّهُ رَاعَكَ خَوْفُ يَوْمِ الْآزِفَةِ^(٥)، فَاكِفِي فَإِنَّكَ بِعَظَمِ^(٦) جُرْمِكَ عَارِفَةٌ.

وَكُونِي بِذِكْرِ النَّارِ^(٧) أَبَدًا صَارِخَةً، وَلِتَرْكَ مَا قِيلَ عَنْكَ بِمَا تُسْمِعِينَ ضَرْبَ
الْمَعْرِفَةِ، وَتَرْخِيمِكَ لِلْغِنَاءِ بِقَوَافِي مُؤَلَّفَةٍ.

فَقَدْ أَتَعَبَتِ الْمَلَكَائِينَ الْحَافِظِينَ سِنِينَ، وَسَهَرَتِ عَلَى الْمَعَاصِي حِينَ بَعْدَ
حِينَ، كَمْ مِنْ فَتًى بِتَرْخِيمِ صَوْتِكَ قَدْ فَضَحَتْهُ، وَبِعَمَلِكَ الْقَبِيحِ أَشْهَرَتْهُ^(٨)، وَعَنْ
الصَّلَاةِ أَقْعَدَتْهُ، وَعَنْ طَاعَةِ اللَّهِ أَشْغَلَتْهُ.

(١) فِي (ع): «الْمَرْبِي». وَهُوَ مَشْهُورٌ بِالْوَعْظِ وَالْقَصَصِ.

(٢) فِي (و): «وَعِنْدَمَا». (٣) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٤) أَعْوَلَ الرَّجُلُ وَالْمَرْأَةُ وَعَوَلَا: رَفَعَا صَوْتَهُمَا بِالبَّكَاءِ وَالصَّيْحَانِ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: عَوَلَ.

(١١: ٤٨١).

(٥) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالصَّوَابُ: فَاكِفِي. (٦) فِي (ع): «بِعَظِيمِ».

(٧) فِي (ع): «الْمَوْتِ». (٨) فِي (ع): «أَشْهَرَتْهُ».

فَحَفَاطُكَ بِسُوءِ فِعْلِكَ يَشْهَدُونَ، وَمِنْ قَبِيحِ آثَامِكَ يَضِجُونَ.
فَبَادِرْ^(١) بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ النَّدَمِ، وَاحْذَرْ^(٢) أَنْ تُرَاجِعَ الْآثَامَ فَيَلْحَقَكَ النَّدَمُ، فَلَقَدْ
كَانَتْ السُّبْحَةُ وَالْمَحْرَابُ بِكَ أُولَى.
فَوَافِقَ الْكَلَامِ مَوْقِعَ التَّوْبَةِ، وَتَلَقَّتْهَا يَدُ الْعِصْمَةِ، وَأَمْطَرَتْ عَلَى قَلْبِهَا سَحَابَةُ
الْفِكْرَةِ.

فَنَادَتْ بِرَفِيعِ صَوْتِهَا: يَا صَالِحُ، قَتَلْتَنِي وَرَبُّ الْكَعْبَةِ، يَا صَالِحُ، مَا ظَنَنْتُ
أَنْ الْأَمْرَ كَانَ هَكَذَا، وَإِنْ مَوْلَايَ كَانَ يُحِبُّ إِلَيَّ الْغِنَاءَ، وَيَتَخَبُّ لِي الْأَلْحَانَ،
وَيُعْطِي عَلَيْهَا الرِّشَى.

فَأَنَا أَشْهَدُ اللَّهَ تَعَالَى أَنِّي غَيْرُ نَاطِقَةٍ مِنْهَا بِحَرْفٍ أَبَدًا، تَائِبَةٌ لِلَّهِ مُبِحَانَهُ.
فَقَالَ: يَا أَسْمَاءُ، مَنْ رَفَعَ عَقِيرَتَهُ بِالْغِنَاءِ، وَأَصْرَرَ عَلَى مَعْصِيَةِ الْمَوْلَى، فَإِنْ لَهُ
نَارًا سَوْدَاءَ تُسَمَّى لَظَى، نَزَاعَةً لِلشَّوَى، تُسَوِّدُ الْوُجُوهَ وَاللِّحَى، وَتَسْلُخُ الْجُلُودَ
وَالْأَحْشَاءَ، وَتُحْرِقُ ذَوَائِبَ^(٣) النَّسَاءِ.

فَاحْذَرِي أَنْ تَصِيرِي إِلَيْهَا يَا أَسْمَاءُ، فَنَادَتْ: يَا صَالِحُ، قَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ،
وَزَهَقَ الْبَاطِلُ وَالْجَفَاءُ، وَجَاءَ الْحَقُّ وَالْوَفَاءُ.

ثُمَّ انْطَلَقَتْ هَارِبَةً إِلَى مَنْزِلِهَا، فَإِذَا هِيَ بِسَائِسٍ كَانَ لِمَوْلَاهَا، فَقَالَتْ لَهُ:
يَا غُلَامُ، قَدْ تَعَلَّمْتُ أَنِّي كُنْتُ عَلَيْكَ مُشْفِقَةً، فَارْكَمُ عَلَيَّ أَمْرِي، وَخُذْ ثِيَابِي هَذِهِ،
وَأَعْطِنِي جُبَّتَكَ الَّتِي تَخْدُمُ بِهَا السِّيَاسَةَ، وَائْتِنِي بِمِقْصَصٍ. فَقَعَلَ الْغُلَامُ، فَأَخَذَتْ
الْمِقْصَصَ وَجَزَّتْ بِهِ نَاصِيَتَهَا.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ. (٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

(٣) جَمْعُ ذَوَابِةٍ وَهِيَ: الشَّعْرُ الْمُضْفُورُ مِنْ شَعْرِ الرَّأْسِ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: ذَابَ (١: ٣٧٧).

وَدَخَلَتْ مَنَزِلًا خَفِيًّا مِنْ مَنَازِلِ مَوْلَاهَا، فَصَامَتْ نَهَارَهَا وَقَامَتْ لَيْلَهَا، وَمَكَّثَتْ صَائِمَةً سَبْعَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، قَدْ ضَرَبَ ذُو الْجَلَالِ بِالصَّبْرِ عَلَى قَلْبِهَا، وَوَافَاهَا التَّوْفِيقُ، وَمُنِعَ إِبْلِيسُ مِنْ غَوَايَتِهَا، وَمَوْلَاهَا قَدْ أَمَعَنَ فِي طَلِبِهَا، وَلَا يَدْرِي مَا حَلَّ بِهَا وَلَا مَا حَدَثَ فِي أَمْرِهَا.

فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ سَبْعَةِ أَيَّامٍ وَقَدْ خَالَطَهَا الْأَصْفَرَاؤُ وَالْهَزْلُ بَاخَتِ بِالْكِتْمَانِ، وَامْتَعَانَتْ عَلَى أَمْرِهَا بِالْمَلِكِ الدَّيَّانِ.

أَقْبَلَتْ فَدَخَلَتْ عَلَى مَوْلَاهَا، فَسَلَّمَتْ عَلَيْهِ فَرَدَّ عَلَيْهَا السَّلَامَ، وَهُوَ لَا يَعْرِفُهَا بِمَا تَغَيَّرَ مِنْ حَالِهَا.

فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةٌ؟ فَقَالَتْ: أَنَا فَقِيدَةُ قَلْبِكَ، وَسُرُورُ نَفْسِكَ، وَالْمَغْنِيَّةُ عَلَى لَذَّةِ عَيْشِكَ، أَنَا أَسْمَاءُ.

فَقَالَ: مَا الَّذِي حَمَلَكَ عَلَى هَذَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ هَذَا الْمَبْلَغَ؟

فَقَالَتْ: يَا مَوْلَايَ، سُؤْمُ الْمَعْصِيَةِ.

فَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَرْجِعِي عَنْ فِعْلِكَ هَذَا، وَتَلْبِسِي ثِيَابَكَ هَذِهِ - وَأَشَارَ إِلَيْهَا بِثِيَابٍ جَيِّدَةٍ - وَلَتُعَوِّدِي^(١) إِلَى حَالِكَ، وَتَدَّعِي التَّشْدِيدَ بِنَفْسِكَ لِأَوْجَعْنِكَ ضَرْبًا.

فَقَالَتْ: يَا مَوْلَايَ، إِنَّ ضَرْبَكَ هَذَا يُنْسَى وَيَفْنَى، وَعَذَابُ الْآخِرَةِ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَفْنَى أَبَدًا، وَاللَّهِ لَا ضَرْبَتْ بِمَعْرِفَةِ أَبَدًا، وَلَا غَنِيَتْ عَلَيْهَا أَبَدًا، حَتَّى أَلْقَى اللَّهَ، وَلَا أَشْتَرِي الضَّلَالََةَ بِالْهُدَى أَبَدًا.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

فَلَمَّا سَمِعَ مَقَالَتَهَا أَمَرَ أَرْبَعَةً مِنْ أَعْوَانِهِ فَشَدُّوْهَا كِتَافًا^(١)، ثُمَّ أَخَذَ سَوْطًا بِيَدِهِ وَقَامَ قَائِمًا عَلَى نَفْسِهِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُهَا بِالسَّوْطِ.

فَقَالَتْ: صَبِّرْنِي يَا مَوْلَى كُلِّ مَوْلَى، ثُمَّ ضَرَبَهَا ثَانِيَةً فَأَدْمَى السَّوْطُ ذِرَاعَهَا، فَعِنْدَ ذَلِكَ شَهِقَتْ وَقَالَتْ: لَا تُسَلِّمْنِي إِلَيْهِ يَا إِلَهَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ، فَلَمَّا رَفَعَ السَّوْطَ لِيَضْرِبَهَا ثَالِثَةً فَإِذَا بِالسَّوْطِ قَدْ جَبَذَ بِيَدِهِ مِنْ خَلْفِهِ، فَالْتَفَتَ لِيَنْظُرَ مَنْ جَبَذَهُ فَلَمْ يَرِ أَحَدًا.

فَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ - يُسَمِعُ صَوْتَهُ وَلَا يُرَى شَخْصُهُ -: يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَتْرُكُ وَلِيَّةَ اللَّهِ، فَخَرَّ مَغْشِيًا عَلَيْهِ، فَدَمِيَ جَبِينُهُ.

فَلَمَّا أَفَاقَ مِنْ ذَلِكَ قَالَ لَهَا: يَا أَعْظَمَ النِّسَاءِ بَرَكَةً، إِنِّي لَمْ أَظُنَّ أَنَّكَ فِي هَذِهِ الْمَنْزِلَةِ، فَوَالَّذِي هَذَا لَا أَشْتَغِلُ بِلَذِيذِ الْعَيْشِ أَبَدًا، وَهِيَ تَمَسَحُ الدَّمَ عَنِ جَبِينِهِ وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: يَا مَوْلَايَ عَلَيْكَ بَطَاعَةُ اللَّهِ تَعَالَى.

قَالَ مَنْصُورُ بْنُ عِمَارٍ: فَخَرَجَ مَوْلَاهَا عَنْ جَمِيعِ مَالِهِ، وَفَرَّ مَعَهَا إِلَى الْجَبَلِ، فَتَعَبَّدَا فِيهِ حَتَّى لَحِقَا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

يَا أَخِي، إِنَّمَا كَانَتْ تَوْبَةُ هَذِهِ الْجَارِيَةِ مِنْ ضَرْبِ الْمَعْرِفَةِ وَمِنْ الْغِنَاءِ عَلَيْهَا، وَتَوْبَتُهُ هُوَ إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ اسْتِمَاعِ الْغِنَاءِ وَالتَّلَذُّذِ بِغِنَاهَا، وَكَانَتْ جَارِيَتَهُ شِرَاءَ مَالِهِ، وَقَدْ صَارَ حَالُهُمَا إِلَى مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الرَّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالتَّوْبَةِ الصَّادِقَةِ.

فَانْظُرْ حَالَكَ يَا مَسْكِينُ مِثْلِي، وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعْصِيَةِ وَالْإِصْرَارِ عَلَى شَهَادَةِ الْمَلَاحِي وَالْبَاطِلِ وَالْإِنْتِهَاكِ لِلْمَحَارِمِ.

(١) كَتَفَ الرَّجُلُ يَكْتِفُهُ كَتْفًا وَكَتَفَهُ: شَدَّ يَدَيْهِ مِنْ خَلْفِهِ بِالْكِتَافِ، وَالْكِتَافُ: مَا شُدَّ بِهِ. «اللسان العرب»، مادة: كَتَفَ (٩: ٢٩٤).

فُتِبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَارْجِعْ عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّ الْيَوْمَ لَكَ وَغَدًا
لِغَيْرِكَ، وَسَمَوْتُ وَتَنَدَّمُ حِينَ لَا يَنْفَعُكَ النَّدَمُ عِنْدَ مَعَايِنَةِ الْمَلِكِ، وَقَدْ زَلَّتْ
بِكَ الْقَلَمُ.



فَصْلٌ

[في الجناية على النفس باتباع هواها]

رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «بَعَثَنِي اللَّهُ تَعَالَى هُدًى وَرَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَبَعَثَنِي لَأَمْحُوَ الْمَعَازِفَ وَالْمَزَامِرَ وَأَمَرَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْأَوْثَانَ، وَحَلَفَ رَبِّي: لَا يَشْرَبُ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدِهِ الْخَمْرَ فِي الدُّنْيَا إِلَّا حَرَّمْتُهَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يَتْرُكُهَا عَبْدٌ مِنْ عِبَادِهِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَقَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا فِي حَظِيرَةِ الْقُدُسِ»^(١).

قَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ بْنُ حَبِيبٍ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «تُعَذَّبُ أُمَّتِي بِسَبْعَةِ أَلْوَانٍ مِنَ الْعَذَابِ، يُخَسَفُ بِقَوْمٍ مِنْهُمْ، وَيُسَلَّطُ السِّيفُ عَلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ، وَيُسَلَّطُ عَلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ عَقَارِبُ وَحَيَّاتُ لَهَا أَجْنِحَةٌ فَتَأْكُلُهُمْ، وَتُرْسَلُ الرِّيَّاحُ عَلَى قَوْمٍ مِنْهُمْ، وَيَبِيتُ قَوْمٌ مِنْهُمْ عَلَى لَهْوٍ وَلَعِبٍ فَيُصْبِحُونَ قَدْ مُسِّخُوا قَرْدَةً وَخَنَازِيرَ»، قِيلَ: وَمَتَى ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «إِذَا شَرِبُوا الْخُمُورَ، وَلَبَسُوا الْحَرِيرَ، وَغَتَّتْهُمْ الْقِيَانُ، وَعَطَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ وَحُدُودَهُ، وَاکْتَفَى الرِّجَالُ بِالرِّجَالِ، وَالنِّسَاءُ بِالنِّسَاءِ»^(٢).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا تَفَاحَشُوا فِي الزُّنَى، وَشَرِبُوا الْخَمْرَ، وَضَرَبُوا الْمَعَازِفَ، نَادَى فِي سَمَائِهِ فَقَالَ لِلْأَرْضِ:

(١) رواه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه: أبو داود الطيالسي في «المسند»، رقم: ١١٣٤ (٢: ٤٥٤).

(٢) لم أجد هذا الحديث هكذا بهذا السياق، وكثير منه ورد متفرقاً في أحاديث، وقد سبق التنبيه على ذلك.

زَلَزِلْ^(١) بِهِمْ، فَإِنْ تَابُوا وَفَزِعُوا وَإِلَّا دَمِدِمَهَا^(٢) عَلَيْهِمْ^(٣).

(فانظر يا)^(٤) هذا أَجْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ، وَقَوَّسْتَ عَلَيْهَا مَخَالِبَ^(٥) مَذَانِبِ^(٦) عُقُوفِ^(٧) مَصَايِدِ الشُّبَاكِ، وَجَرَرْتَ أَذْيَالَ إِمَهَالِ أَحْوَالِ الْأَمَلِ حَتَّى تَرَدَّيْتَ فِي بَحْرِ الْهَلَاكِ، وَأَرَمَيْتَهَا^(٨) فِي مَزَالِقِ مَحَارِقِ^(٩) مَغَارِقِ هَوَاكَ، مُوَلِّعًا بِشُهُودِ مَوَارِدِ عَوَائِدِ الْمَعَاصِي وَالْإِنْتِهَاكِ.

وَجَرَرْتَ بِكَ سَفِينَةَ قُلُوعٍ وَلُوعٍ رِضَاكَ، تَجُولُ بِحَائِلِ أَحْوَالِ سَاحِلِ أَمَلٍ بُعَيْتِكَ وَمُنَاكَ، فِي لُحْجِ^(١٠) الزَّخَارِ^(١١) إِلَى مَجَالِسِ وَسَاوِسِ كَنَائِسِ الْهَتَكِ وَالْإِرْتِيَاكِ. فَعَصَفَتْهَا رِيحُ شَمَالِ مِحَالِ^(١٢) ضَلَالٍ، أَرَمَتْهَا^(١٣) فِي دَهَالِيسِ^(١٤) حَنَادِيسِ

(١) فِي (ع): «تزلزل». (٢) فِي (ع): «هدها».

(٣) عزاه ابن القيم فِي «إِغَاثَةِ اللَّهْفَانِ» (١: ٢٦٤) إِلَى تَخْرِيجِ ابْنِ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مَرْفُوعًا. وَلَمْ يَذْكُرْ ابْنُ الْقِيَمِ رَحِمَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ الَّذِي رَوَى فِيهِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا هَذَا الْحَدِيثَ، وَغَالِبُ الظَّنِّ أَنَّهُ «ذَمُّ الْمَلَاهِي»؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَهُ فِي مَوَاضِعٍ أُخْرَى مِنْ كِتَابِهِ، وَالْحَدِيثُ لَهُ عِلَاقَةٌ بِالْمَلَاهِي، غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَجِدْهُ ضَمَّنَ الْمَطْبُوعِ مِنَ الْكِتَابِ، فَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَرَقَةِ الضَّائِعَةِ مِنَ الْكِتَابِ الَّتِي كَانَ الْبَحْثُ عَنْهَا سَبَبًا لِفَهْرَسَةِ الْأَلْبَانِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، كَتَبَ الْحَدِيثَ فِي الْمَكْتَبَةِ الظَّاهِرِيَّةِ.

(٤) فِي (ع): «فيا». (٥) فِي (ع): «مجالب».

(٦) الْمِذْنَبُ وَالْمِذْنَبُ: الْمِعْرِفَةُ؛ لِأَنَّ لَهَا ذَنْبًا أَوْ شِبْهَ الذَّنْبِ، وَالْجَمْعُ: مَذَانِبٌ. كَذَا فِي «لِسَانِ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: ذَنْبٌ (١: ٣٨٩).

(٧) سَبَقَ تَوْجِيهِهِ.

(٨) أَرَمَيْتُ الْحَجَرَ مِنْ يَدِي؛ أَيِ: أَلْقَيْتُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: رَمَى (١٤: ٣٣٥).

(٩) فِي (ي): «مخارق».

(١٠) كَذَا فِي الْأَصُولِ بِالْحَاءِ، وَاللُّحْجُ: الشَّيْءُ يَكُونُ فِي أَسْفَلِ الْوَادِي وَفِي أَسْفَلِ الْبَيْتِ وَالْجَبَلِ كَأَنَّهُ نَقَبٌ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: لَحَجَّ (٢: ٣٥٦).

(١١) فِي (ع): «الزهار». (١٢) فِي (ع): «مجال».

(١٣) فِي (ع): «أزمتها». (١٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالْمَشْهُورُ: دَهَالِيزُ.

الظُّلْمَةِ وَالْحَلَكِ، فَمَرَّتْ بِكَ إِلَى مَرَسَى أَرْجَاسٍ أَنْجَاسٍ مِيَاهِ دُونَ الْبِرَكِ.
فَحِينَ غُبِطَتْ عَطِطَتْ بِمَضَائِقِ مَخَانِقِ شِدَّةِ الشَّرِكِ، فَمَا عَايَنْتَ شِدَائِدَ
شَوَاهِدِ أَعْمَالِ أَحْوَالِ قَبِيحِ رَدَاكِ، وَقَدْ أَقْبَلَ إِلَيْكَ زُكَاةُ الْحِمَامِ فِي كَبْكَبَةٍ مِنْ
الْأَمْلاكِ، قَبِضَتْ سِوَاكِ، وَقَدْ كُشِفَ عَنْكَ غِطَاءُ بَصَرِكِ، وَعَايَنْتَ مَا لَا يَقُومُ
بِوَفْقِكَ وَلَا رِضَاكِ، وَعَنْ يَمِينِكَ وَشِمَالِكَ زَوْجُكَ وَوَلَدُكَ وَأُمُّكَ وَأَبَاكَ^(١).

لَا تَسْتَطِيعُ لَهُمْ خِطَابًا، وَلَا تَرُدُّ عَلَيْهِمْ جَوَابًا، وَقَدْ اجْتَمَعَ إِلَيْكَ جَمِيعُ
الْأَحْبَاءِ، وَجَاوُوكَ بِالْأَطْبَاءِ، يُعَالِجُونَ الدَّاءَ، لِذَوَائِكَ طَامِعِينَ رَاجِينَ بُرْءَكَ
وَشِفَاكَ، فَلَا يَزِيدُكَ ذَلِكَ إِلَّا مِحْنَةً وَبَلَاءً لِبَلَائِكَ.

وَلِسَانُ الْحَالِ يُنَادِيكَ: خَابَ الْأَمَلُ، وَخَضَرَ الْأَجَلَ، فَمَا لَكَ مِمَّا نَزَلَ بِكَ
رَاحَةً وَلَا فِكَاكٌ وَلَا فِدْيَةٌ تُؤْخَذُ مِنْكَ، فَقَدْ تَلَفَ الْفِدَاءُ وَأَسِرَ الْفِكَاكُ.

يَا أَخِي، وَأَنَا وَأَنْتَ الْمُخَاطَبُ، احْذَرِ مَصَارِعَ الشُّوءِ، فَمَا أَسْرَعَ نُزُولُهَا مِنْ
الْحَقِّ! فَارْجِعْ عَنِ الْمَحَنِ وَالْفِتَنِ، وَلَا تَجُرْ أَذْيَالَكَ فِي سَبِيلِ الْعِصْيَانِ، وَإِنْفَاقِ
مَالِكَ فِي الْبَاطِلِ وَالْبُهْتَانِ، وَشُهُودِكَ عَلَى الْقِيَانِ، وَنَعَمَاتِ الْمَغَانِي بِسُعْدَى
وَأَسْمَاءَ وَأُمِّ هَانِي.

فَلَا تُبْذِرْ مَالَكَ، وَلَا تُطْعِمِ طَعَامَكَ إِلَّا بِالْحَقِّ، يَعْنِي: الْإِخْوَانَ فِي اللَّهِ.
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلِ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ»^(٢).
وَاعْلَمْ أَنَّ إِطْعَامَ الطَّعَامِ يَنْقَسِمُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ: مَخْلُوفٌ، وَمَسْلُوفٌ، وَمَتْلُوفٌ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالْجَادَةُ: «أَبُوكَ»، وَالْمَثْبُتُ يَخْرُجُ عَلَى لُقَّةٍ مِنْ يَلْزِمُ الْمَثْنَى الْأَلْفَ.

(٢) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبُو دَاوُدَ فِي «السَّنَنِ»، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ
مَنْ يُؤْمَرُ أَنْ يَجَالِسَ، رَقْمٌ: ٤٨٣٢ (٤: ٢٥٩).

فالمخلوف: ما أطعم لوجه الله، لا يُريدُ به جزاء من مخلوق، ولا محمداً ولا سمعة ولا رياء، مثل: الذي يُثاب عليه فاعله بالخلف في الدنيا، والآخرة الجنة. والمسلوف: هو الذي تُضيفه مرة، ويُضيفك أخرى، وفيه الأجر، إلا أن الأول أفضل وأعظم أجراً.

والمتلوف: حسرة وندامة يوم القيامة على صاحبه، وهو ما أطعم لغير وجه الله تعالى، مثل: الإطعام على شرب الخمر والمزمر، والاجتماعات على العصيان والباطل، بالظلمة (وأبناء الدنيا من الفساق^(١)).

وهم الذين يأتون يوم القيامة^(٢) إلى الصراط، وكلُّ إنسانٍ منهم يُلوم صاحبه - يقول: لعنك الله - الذي ساعدتني على الإنفاق في غير طاعة الله، ففي أول قدم يضع على الصراط تزل^(٣) وتهوي في النار.

يا أخي، فتحت فاك بالقهقهة والضحك على المعاصي^(٤)، غافلاً ساهياً، بقلب قاسٍ، فلا ناهي تسمع منه، ولا واعظ أنت به راضياً^(٥).

تقطع ليلك باللهم والضحك والملاهي، قد أكثر من سبك وسب أهلك، ولا في وجهك حياء، ولا تقى معك، ولا ورع يقيك، وما ضحكك إلا على^(٦) سمع الفجور والفواحش والمناكير القبيحة.

واعلم أن الضحك بالقهقهة فيه الإثم، وعليه الوعيد.

قال الله تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢] الآية.

(١) في (ع): «والفساق».

(٢) سقط من (ي).

(٣) في (ع): «تزل».

(٤) في (ي): «الملاهي».

(٥) كنا في الأصول.

(٦) سقط من (ع).

فَيَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَلَّا يَضْحَكَ بِالْقَهْقَهَةِ؛ فَإِنَّهُ مَنْ ضَحِكَ فِي الدُّنْيَا قَلِيلًا يَبْكِي فِي الْآخِرَةِ كَثِيرًا؛ لِأَنَّ الدُّنْيَا كَثِيرُهَا قَلِيلٌ، وَعَزِيزُهَا ذَلِيلٌ^(١)، وَخَيْرُهَا تَخِيلٌ، لَا سِيَّامَا مَنْ يَضْحَكُ بِبَسَاطَةِ رَحْبَةِ الْمَلَاهِي، سَاهِي عَنْ طَرِيقِ الْآخِرَةِ لَا هِيَ.

قَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ^(٢): ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]، فِي نَارِ جَهَنَّمَ الْآيَةَ^(٣).

وَقَالَ الْحَسَنُ: وَاعْجَبًا مِنْ ضَاحِكٍ وَرَاءَهُ النَّارَ، وَمِنْ مَسْرُورٍ وَرَاءَهُ الْمَوْتَ^(٤).

قَالَ: وَمَرَّ الْحَسَنُ بِشَابٍّ وَهُوَ^(٥) يَضْحَكُ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، هَلْ مَرَرْتَ عَلَى الصُّرَاطِ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَهَلْ تَبَيَّنَ لَكَ إِلَى الْجَنَّةِ تَصِيرُ أَمْ إِلَى النَّارِ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: فَفِيمَ الضَّحِكِ؟ فَمَا رُئِيَ الْفَتَى بَعْدَهَا ضَاحِكًا^(٦).

وَرُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَذْنَبَ وَهُوَ يَضْحَكُ، دَخَلَ النَّارَ وَهُوَ يَبْكِي^(٧).

(١) إِلَى هُنَا انْتَهَى مَا وَجَدَ مِنْ (ي).

(٢) الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ بْنُ عَائِذٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الثَّوْرِيُّ أَبُو يَزِيدَ الْكُوفِيُّ، مَاتَ سَنَةَ إِحْدَى وَمِائَتَيْنِ، وَقِيلَ غَيْرَ ذَلِكَ. «تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ» (١: ٢٠٦).

(٣) رَوَاهُ قَرِيبًا مِنْهُ: وَكَيْعٌ فِي «الزَّهْدِ»، رَقْمٌ: ١٨ (ص ٢٢٤).

(٤) لَمْ أَجِدْهُ مَرْوًى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ، وَرَوَاهُ قَرِيبًا مِنْهُ مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ»، رَقْمٌ: ٣٢٣ (ص ٩٣).

(٥) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٦) رَوَاهُ قَرِيبًا مِنْهُ: ابْنُ الْمُبَارَكِ فِي «الزَّهْدِ»، رَقْمٌ: ٣١١ (ص ١٠٥).

(٧) لَمْ أَجِدْهُ مُسْنَدًا مِنْ قَوْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا مَوْقُوفًا عَلَيْهِ، وَإِنَّمَا رَوَاهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا أَبُو نَعِيمٍ فِي «حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ» (٤: ٩٦)، وَرَوَاهُ أَيْضًا فِي مَوْضِعٍ آخَرَ (٢: ٢٢٩) وَ(٦: ١٨٥) مِنْ قَوْلِ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمَزْنِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقال يحيى بن معاذ الرززي^(١): أربع خصال لم تبق للمؤمن ضحكاً ولا قرحاً: هم الآخرة، وشغل المعاش، وهم الذنوب، وإتمام المصائب^(٢).

فتبني للمؤمن أن يكون مشغولاً بهذه الأشياء الأربعة لئلا تمتعه عن الضحك؛ فإن الضحك ليس من خصال المؤمنين، وقد عثر الله أقواماً بالضحك فقال: ﴿قَيْنَ هَذَا أَحَبُّهُ تَعْبُيُونَ * وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ * وَأَنْتُمْ سَائِلُونَ﴾^(٣) - ٥٩ - ٦٠ يعني: مأهون.

ومدح الله تعالى أقواماً بالبكاء، فقال: ﴿وَيَجْرُونَ فَلَا تَقْنِ تَضْحَكُونَ﴾^(٤) - ٦١ - الآية.

وكان رسول الله ﷺ لا يضحك إلا بشئ، وهذا دليل على أن التمسح مباح، والضحك بالقبهه غير مباح.

وروي عن الأوزاعي في قوله تعالى: ﴿لَا يُغَايِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا أَحْسَنَهَا﴾^(٥) - ٦٢ - الآية: الصغيرة: التمسح، والكبرة: ضحك القبهه^(٦). يعني: أن ضحك القبهه من الكبائر.

وعن حليقة^(٧) أنه قال: ضحك مرة وأنا من النعمين، وذلك أني نظرت

(١) يحيى بن معاذ أبو زكريا الرززي الواعظ مات سنة ثمان وخمسين ومئتين. اصبحت تصوفه للسلمي (ص ٩٨).

(٢) لم أقتر به.

(٣) روي ذلك عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما من تفسيره الآية، وقد رول عنه الأوزاعي رحمه الله، وليس أن الأوزاعي هو الذي قلده، كذلك رول في قصة طوبى السبي في الجمع لشعب الإيمان، رقم: ٧٠٢٤ (٩: ٥٠٤).

(٤) كذا في الأصول، ولعل الصواب عن أبي حنيفة كما في تيه الغفيلين لأبي ثعلب (ص ١١١)، ولم أقتر به مستنداً.

المأهول من الملائكة

عمر بن عبد... فلما أحسست بالظفر ضحككت، فقال: تتكلم بالعلم وتضحك؟
فلا اكفك أذا. فأنا من النادمين^(١).

وقال ثابت البناني^(٢): كان يقول^(٣): ضحك المؤمن غفلة.

فاعلم يا أخي أما كان ضحك القوم بينهم على الأشياء المباحة الخفيفة
التي لا بأس بها في الأهل ومع الأولاد والإخوان، ولم يكن بموضع^(٤) منكرو
ولا لهو ولا لعب، ونهاهم عن ذلك، فمن قهقهة في ضحك عابوه، وزجروه^(٥)
عنه. وذموا^(٦) به كما تقدم.

فكيف بنا يا أخي نمزح ونضحك ونلهو ونفرح^(٧) برحاب الملهي، ولا
يزجر بعضنا بعضاً، ولا ينهى أخ أخاه كما فعلوا، وقد وافق بعضنا بعضاً على
ذلك كله.

وقد طابت عندنا ظرائف المضحكات، والركون إلى الشهوات، قد
استغرقت فيها قلوبنا، وطابت بها نفوسنا، بالإنفاق للأموال في مرضاة أبي
الأهوال، وإطعام الطعام للفساق من الرجال؟

وقد جاء في الأخبار أنه سُئل إبليس لعنه الله، ف قيل: ما صديقك وخليلك
وقرة عينك وصفيك؟ قال: الهزازون، ف قيل: وما الهزازون؟ قال: الذين ينفقون

(١) هو عمرو بن عبيد المعتزلي المشهور. (٢) لم أظفر به.

(٣) ثابت بن أسلم البناني، أبو محمد البصري، مات سنة بضع وعشرين ومئة. «تقريب التهذيب»
(١: ١٣٢).

(٤) كذا في الأصلين، والمقصود: الحسن البصري كما رواه ابن أبي شيبة في «المصنف»، رقم:
٢٦٦٧٤ (٥: ٣٣٨).

(٥) في (ع): «في موضع». (٦) في (و): «وزجر».

(٧) في (و): «وذم». (٨) في الأصلين: نمزحوا ونضحكوا ونلهوا ونفرحوا.

أموالهم للثناء والمدح والفخر واتخاذ الجاه عند الظلمة وأبناء الدنيا^(١).
فَمَنْ كَانَ هَذَا صَنِيعَهُ فَقَدْ وافقَ الشَّيْطَانَ فِي أَعْمَالِهِ، وَمَشَى فِي أَغْرَاضِهِ،
وَيَادِرَ إِلَى طَاعَتِهِ، لَا سِيَّما الْإِنْفَاقَ بِسَبَبِ اللّهُوِّ وَالْغِنَاءِ وَالْمَزْمَرِ.
فَمِنْ أَجْلِهِ تُضَيِّعُ الصَّلَوَاتِ، وَيَسْتَخِفُّ بِهَا (أَتْبَاعُ أَبِي)^(٢) الْأَهْوَالِ، وَتُخْرِجُ
عَنْ أَوْقَاتِهَا.

وَمِنْ أَجْلِهِ تُكْشَفُ النِّسَاءُ وَالْبَنَاتُ الْمُخَدَّرَاتِ، وَيَجْتَمِعْنَ بِالرِّجَالِ فِي
مَوْطِنٍ^(٣) وَاحِدٍ، وَبِرَحْبَةٍ وَاحِدَةٍ.

وَمِنْ أَجْلِهِ تُرْتَكَبُ الْمَنَاهِي^(٤) بِسَمْعِ الْأَقْوَالِ الْفَاحِشَةِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ.
(وَمِنْ أَجْلِهِ)^(٥) تَقَعُ الْفُرْقَةُ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، إِمَّا أَنْ يَمْنَعَهَا مِنَ الْخُرُوجِ
إِلَيْهِ، فَتَخْرُجَ إِلَيْهِ^(٦) بِغَيْرِ إِذْنِهِ فَيُطْلَقُهَا، وَإِمَّا أَنْ تَخْرُجَ بِإِذْنِهِ فَتُرْتَكَبُ الْأَمْرُ
الْعَظِيمُ بِمَعَايِنَةٍ مَنْ لَا يَحِلُّ لَهَا مِنَ الرِّجَالِ أَهْلِ التَّخْلِيضِ وَأَهْلِ الدَّعَارَةِ، بِشُرْبِ
الْخُمُورِ عَلَى الْقِيَانِ، وَضَرْبِ الْمَعَازِفِ، فَتَفْتِنَ الْمَرْأَةُ وَتَقَعُ فِي الْمَعْصِيَةِ.
فَالْمَزْمَرُ الْكَبِيرُ رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ وَفِتْنَةٍ وَبَلِيَّةٍ، وَفَسَادُ النِّسَاءِ مِنْ أَجْلِهِ وَيُسَبِّبُهُ.
وَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَأْذَنَ لِمَرْأَتِهِ فِي رُؤْيَيْهِ، وَلَا فِي شَيْءٍ
مِنَ الْمَلَاهِي.

هَذَا عَمْرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَاشْتَرَطَتْ
عَلَيْهِ أَلَّا يَمْنَعَهَا مِنَ الصَّلَاةِ فِي مَسْجِدِ الْجَمَاعَةِ، فَطَاعَ لَهَا بِذَلِكَ أَنْ تُصَلِّيَ

(١) لم أجده. (٢) في (ع): «اتباعاً لأبي».

(٣) في (ع): «موضع». (٤) في (ع): «الملاهي».

(٥) في (ع): «وبه». (٦) زيادة من (ع).

بِصَلَاةِ الْإِمَامِ فِي الْمَسْجِدِ، فَتَوْضَأُ لَصَلَاةِ الصُّبْحِ، وَتَرْكُهَا تَتَوَضَأُ لِتَأْتِي الْمَسْجِدَ بَعْدَهُ، فَوَقَفَ لَهَا خَلْفَ بَابِ الْمَسْجِدِ مِنْ دَاخِلِ الْبَابِ يَنْتَظِرُهَا، وَكَانَ الْغُلَسُ، فَعِنْدَمَا رَأَاهَا دَاخِلَةً عَرَفَهَا فَعَمَزَهَا فِي فِخْذِهَا، حَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ شِدَّةُ الْغَيْرَةِ، أَرَادَ بِذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَهَا مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ، فَرَجَعَتْ مِنْ سَاعَتِهَا إِلَى بَيْتِهَا، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ أَتَى مَنَزِلَهُ فَوَجَدَهَا تُصَلِّي، فَقَالَ لَهَا: مَا مَنَعَكَ مِنَ الصَّلَاةِ فِي الْمَسْجِدِ؟ فَقَالَتْ لَهُ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، كَانَ النَّاسُ وَرَقًا دُونَ شَوْكٍ، وَالنَّاسُ الْآنَ شَوْكٌ دُونَ وَرَقٍ^(١).

هذا في ذلك الوقت، فكيف^(٢) هذا الوقتُ بِفَسَادِهِ^(٣) وفسادِ أهله؟

وقولُ الله تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠]؛ أي: يَكْفُوا عَنْ نَظَرِ مَا^(٤) لَا يَحِلُّ لَهُمُ النَّظَرُ إِلَيْهِ.

﴿وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]؛ أي: أَنْ يَرَاهَا مَنْ لَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَرَاهَا.

هذا خطابٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يُبَلِّغَ أُمَّتَهُ مِنَ الرِّجَالِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١]، يَعْنِي: التَّسْتُرُ.

(١) لم أجد الخبر بهذا السياق، والذي صح: أن امرأة عمر بن الخطاب رضي الله عنه كانت تصلي في المسجد، فقال لها: إنك لتعلمين ما أحب، فقالت: والله لا أنتهي حتى تنهاني، قال: فطعن عمر وإنها لفي المسجد. أخرجه أحمد في «المسند»، رقم: ٤٥٢٢. وإنما روي ذلك عن الزبير بن العوام رضي الله عنه الذي تزوجها - واسمها: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل - بعد وفاة عمر بن الخطاب رضي الله عنه. كذلك رواه ابن عبد البر في «المهيد» (٢٣: ٤٠٤) فما بعدها.

(٢) في (ع): «الفساده».

(٢) في (و): «كيف».

(٤) في (ع): «من».

قال ابن عباس: يَغُضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَنْ شَهَوَاتِهِمْ^(١).

قال ابن زيد^(٢): يَغُضُّ مَنْ بَصَرِهِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ، إِذَا رَأَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ غَضَّ بَصَرَهُ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَغُضَّ بَصَرَهُ كُلَّهُ^(٣).

إنما قال: ﴿يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، يُرِيدُ: أَنَّ النَّظْرَةَ الْأُولَى لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَمْلِكَهَا، وَالنَّهْيُ إِنَّمَا وَقَعَ عَنِ النَّظْرَةِ الثَّانِيَةِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿مِنْ أَبْصَارِهِمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ: أَبْصَارَهُمْ، وَالنَّظْرَةُ الْأُولَى لَا^(٤) يَقْدِرُ أَحَدٌ عَلَى الْكَفِّ عَنْهَا؛ لِأَنَّهَا فَجَاءَةٌ.

قال بعض العلماء: حَرَّمَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ نَصًّا أَنْ يَدْخُلُوا الْحِمَامَ بِغَيْرِ مِثْرَةٍ، وَأَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ السُّرَّةَ عَوْرَةً مِنَ الرَّجُلِ^(٥)، وَأَنَّ الْمَرْأَةَ كُلُّهَا عَوْرَةٌ إِلَّا وَجْهَهَا وَيَدَيْهَا، وَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ عَلَى أَنَّ مِنْ سُرَّةِ الرَّجُلِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ عَوْرَةٌ، لَا يَجُوزُ أَنْ تُرَى.

وروي عن أم سلمة زوج النبي ﷺ؛ أَنَّ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ الْأَعْمَى اسْتَأْذَنَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «احْتَجِبَا»، فَقُلْنَا: أَوَلَيْسَ هُوَ أَعْمَى لَا يُبْصِرُنَا؟ قَالَ: «أَفَعَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا؟»^(٦).

فهذا دليلٌ بَيِّنٌ وَبَيَانٌ وَاضِحٌ عَلَى أَلَّا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ^(٧) أَنْ تَنْظُرَ رَجُلًا غَيْرَ ذِي مَحْرَمٍ مِنْهَا، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَفَعَمِيَاوَانِ أَنْتُمَا؟»، يَعْنِي: إِنْ كَانَ هُوَ أَعْمَى لَا

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، رقم: ١٤٣٧٣ (٨: ٢٥٧٠).

(٢) هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مات سنة اثنتين وثمانين ومئة. «تقريب التهذيب» (١: ٣٤٠).

(٣) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره»، رقم: ١٤٣٧٨ (٨: ٢٥٧١).

(٤) في (ع): «لم».

(٥) في هذا الإجماع نظر كبير، والخلاف واقع. انظر: «الجامع لأحكام القرآن» (٧: ١٨٢).

(٦) رواه أحمد في «المسند»، رقم: ٢٦٥٣٧ (٤٤: ١٥٩).

(٧) في (ع): «للمرأة».

يُبَصِّرُكُمْ، فَأَنْتُمَا تَنْظُرَانِهِ، وَهُوَ لَا يَحِلُّ لَكُمْ النَّظَرُ إِلَيْهِ.
فَلَا يَحِلُّ لَامْرَأَةٍ وَلَا لِرَجُلٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا لَا يَحِلُّ لَهُ؛ لِأَنَّ النَّظَرَ سَهْمٌ
صَائِبٌ مِنْ سَهَامِ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ الْهَوَى سُلْطَانٌ حَاكِمٌ غَالِبٌ عَلَى قَلْبِ
الْإِنْسَانِ، وَقَدْ نَهَانَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَنِ النَّظَرِ إِلَى غَيْرِ ذِي مَحَرَمٍ.
فَإِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي يَأْذُنُ لِرَوْجِهِ بِالْخُرُوجِ إِلَى مُجْتَمَعِ الرِّجَالِ الْفُسَّاقِ،
بِرَحْبَةِ الْخِلَاطِ وَالنِّفَاقِ، فَهُوَ خَارِجٌ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ إِذْ لَمْ يَقْتَدِ بِهِمَا، وَاللَّهُوُ
وَالْمَنْكَرُ عِنْدَهُ مَبَاحٌ لَا بَأْسَ بِهِ.

وهذا الْمُعْتَقَدُ لِهَذَا يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ، وَإِلَّا اجْتَهَدَ فِيهِ حَقُّ
الْاجْتِهَادِ؛ لِأَنَّهُ يُحَلِّلُ مَا حَرَّمَ الْكِتَابُ وَالسُّنَّةُ.

قَالَ أَحَدُ الْحُكَمَاءِ: مِنْ كَرَمِ الْكَرِيمِ، الدِّفَاعُ عَنِ الْحَرِيمِ، وَأَنْتَ أَيُّهَا
الْمَحْرُومُ الَّذِي لَا دِينَ لَهُ، وَقَلْبُهُ مَهْمُومٌ مَكْلُومٌ، إِنْ لَمْ تَصُنْ لِحِمَاكَ - أَعْنِي:
حَرِيمَكَ - أَكَلَتْهُ الْكَلَابُ؛ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

إِنْ لَمْ تَصُنْ تِلْكَ اللَّحُومَ أَسْوَدُهَا قَسِمَتْ بِلا عَرَضٍ وَلَا أَمَانٍ
وَمَنْ لَمْ تُدْرِكْهُ الْغَيْرَةُ عَلَى أَهْلِهِ، فَلَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا فِي حَرِيمِهِ.

زُوي عن عطاء بن يسار أن رجلاً سأل كعب الأحمري: أحرمت الخمر
والمزامر في التوراة؟ فقال: هذه الآية ﴿إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ﴾ [النساء: ٩٠]
إلى آخرها مكتوبة في التوراة: «إِنَّا أَنْزَلْنَا الْحَقَّ لِيَذْهَبَ بِالْبَاطِلِ، وَيَبْطُلَ بِهِ
اللَّعِبُ وَالزَّفَنُ وَالْمَزَامِيرُ»^(١).

(١) رواه من طريق عطاء بن يسار عن عمرو بن عبد الله رضي الله عنهما موقوفاً عليه: ابن أبي حاتم
في «تفسيره»، رقم: ٦٧٤٤ (٤: ١١٩٦). ومن المعلوم أن عمرو بن عبد الله ممن عُرِفَ أخذه
عن كعب الأحمري.

واعلم أَنَّ الشَّيْطَانَ لعنه الله عارفٌ بالطَّرِيقِ الضَّارَّةِ لَوْلَدِ آدَمَ، وَقَدْ سُلِّطَ عَلَيْنَا بِمَكَايِدِهِ، وَاكْتَفَى عَنْ ضُرِّنَا بِمَصَايِدِهِ، وَلَا يَدْخُلُ عَلَيْكَ هَمُّهُ وَيَلَاؤُهُ وَفِتْنَتُهُ إِلَّا بِسَبَبِ نَفْسِكَ المَائِلَةِ إِلَى الهَوَى والأفعالِ المذمومة.

وَالشَّيْطَانُ لَعَنَهُ اللهُ يَجْرِي مِنْ ابْنِ آدَمَ مَجْرَى الدَّمِ، وَلَا يُفَارِقُكَ طَرْفَةَ عَيْنٍ. يُرَوَّى عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ مَوْضِعَ الشَّيْطَانِ مِنْ ابْنِ آدَمَ، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ، فَإِذَا هُوَ كَالْحَيَّةِ قَدْ دَارَ بِثَمَرَةِ الْقَلْبِ رَافِعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ اللهُ خَنْسَ، وَإِذَا غَفَلَ وَسُوسَ^(١).

فَلَا يَصِلُ الشَّيْطَانُ لعنه الله إِلَى وَسوسةِ الْعَبْدِ وَغَوَايَتِهِ إِلَّا بِسَبَبِ النَّفْسِ؛ لِأَنَّ النَّفْسَ خِزَانَتُهُ، وَالْعَصْمَةُ مِنَ اللهِ تَعَالَى.

وإِنَّ مِنْ أَكْبَرِ شِبَاكِهِ وَمَصَايِدِهِ، وَأَقْبَحِ طُرُقِهِ: الْمَزْمَرُ الْكَبِيرُ، فَإِنَّ لَهُ بِهِ حِيَلًا^(٢)، وَبِهِ يَسْتَعِينُ، وَلَا يَتِمَّ كُنُ مِنْ ابْنِ آدَمَ إِلَّا بِذَلِكَ الْمُجْتَمَعِ الْخَيْثُ، بِسَبَبِ اجْتِمَاعِ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، فَلَا يَتِمُّ فَرْحُهُ وَلَا حِيلُهُ وَلَا تَتَمُنَّى عُقُوفَ^(٣) فُخُوحِ^(٤) شِبَاكِهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِسَبَبِ النِّسَاءِ.

وَاعْلَمْ أَيُّهَا الرَّجُلُ أَنَّ^(٥) الَّذِي يُسَيِّبُ لِرِزْوَجَتِهِ عِنَانَهَا، وَيَمْشِي فِي غَرْضِهَا وَامْتِنَانِهَا، إِنَّمَا يَقْوُودُهَا (إِلَى سَمْعِ)^(٦) الْفَوَاحِشِ، وَتَخْرُجُ مِنْ بَيْتِهَا وَهِيَ قَدْ بَاشَرَتْ مَوَاقِعَ الزَّنا، وَتَعُودُ إِلَى بَيْتِهَا زَانِيَةً.

(١) لم أظفر به مرويًا عن رسول الله ﷺ، وإنما روي عن عيسى بن مريم عليه السلام، كذلك أخرجه سعيد بن منصور وابن أبي الدنيا وابن المنذر كما في «الدر المشور» (٨: ٦٦٤)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦: ١٢٣).

(٢) سبق شرحه.

(٣) في الأصول: «حيل».

(٤) سقط من (ع).

(٥) في (ع): «فخرج».

(٦) في (ع): «السمع».

فإن عَظُمَ عَلَيْكَ هذا الكلامُ ونكرته، فاعلم أن رسول الله ﷺ قال: «زنا العينِ النظر، العينانِ تزنيان، والقدمانِ تزنيان، يُصدَّقُ ذلكُ أو يُكذَّبُ بهِ الفرجُ»^(١). واعلم أن الحريةَ الكاملةَ إنما هي^(٢) حُرَّةٌ من عَيْنَيْهَا وَيَدَيْهَا وَسَمْعِهَا وَرِجْلَيْهَا وَلِسَانِهَا، القاعدةُ في بَيْتِهَا، وأما الأخرى وهي التي تَقْعُدُ في مَقْعَدِ الْخِذْلَانِ، وَتَبْرُكُ بَيْنَ يَدَيِ^(٣).

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: كَانَ مِمَّا أَوْصَى بِهِ دَاوُدُ ابْنَهُ سَلِيمَانَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ: يَا بُنَيَّ، ابْنِ بَابَ الْمَرْأَةِ، (فَإِنَّ أَوَّلَ كَلَامِهَا أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَلَيْنُ مِنَ الزُّبْدِ، وَإِنْ آخِرَ كَلَامِهَا أَمْرٌ مِنَ الصَّبْرِ، وَأَحَدٌ مِنَ مَسَامِيرِ الْحَدِيدِ، وَبَابُ بَيْتِهَا)^(٤) مِثْلُ بَابِ جَهَنَّمَ^(٥).

وقيلَ لِلْحَجَّاجِ^(٦): أَيُّ النِّسَاءِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قال: الْبَيْضَاءُ الْعُطْبُولُ^(٧)، التي لَمْ يَشْبِهَا^(٨) قِصْرٌ وَلَا طَوْلٌ، الْكَثِيرَةُ الْأَخْذُ مِنَ الْأَرْضِ إِذَا جَلَسَتْ، الْعَالِيَةُ قَامَتُهَا إِذَا نَهَضَتْ، التي تَحْفَظُكَ إِذَا غَبَتْ عَنْهَا، وَتُطِيعُكَ إِذَا أَمَرْتَهَا، وَتَسْرُكَ إِذَا نَظَرْتَهَا، الصَّغِيرَةُ فِي نَفْسِهَا، الْعَزِيزَةُ فِي قَوْمِهَا، التي فِي بَطْنِهَا غَلَامٌ، وَفِي حَجْرِهَا غَلَامٌ.

(١) ذكر المؤلف هذا الحديث بالمعنى، وقد رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قريباً من هذا اللفظ: البزار في «المسند»، رقم: ٩٣٤١ (١٦: ٢٠٤).

(٢) سقط من (ع). (٣) بياض في (و) و(ع) بمقدار كلمتين.

(٤) سقط من (ع). (٥) لم أظفر به فيما بحث.

(٦) الصواب: أن الحججاج الثقفي هو الذي سأل فأجيب كما في «مروج الذهب» (٣: ١٧٠، ١٧٢).

(٧) في (ع): «العطبول». وجارية عطبول: جَمِيلَةٌ فَتِيَّةٌ مُمْتَلِئَةٌ طَوِيلَةُ الْعُنُقِ. «لسان العرب»، مادة: عطبل (١١: ٤٥٦).

(٨) كذا في الأصول، ولعل الصواب: لم يَشْبِهَا، أو: لم يشنها كما في «مروج الذهب» (٣: ١٧٢).

قِيلَ لَهُ: فَأَيُّ النَّسَاءِ أَبْغَضُ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الَّتِي فِي وَجْهِهَا قَهْرٌ، وَكَأَنَّ ظَهْرَهَا شِبْرٌ^(١)، الْحَدِيدَةُ الرُّكْبَةُ، السَّرِيعَةُ بِالْجَوَابِ، الْبَاكِئَةُ وَهِيَ ظَالِمَةٌ، النَّاطِقَةُ وَهِيَ الْجَاهِلَةُ، إِنْ تَكَلَّمْتَ أَسْمَعْتَ، وَإِنْ مَشَتْ أَسْرَعَتْ، الْعَزِيزَةُ فِي نَفْسِهَا، الذَّلِيلَةُ فِي قَوْمِهَا، الَّتِي فِي بَطْنِهَا جَارِيَةٌ، وَفِي حَجَرِهَا جَارِيَةٌ.

إِنْ اثْتَمَنْتَ خَانَتْ، وَإِنْ وُعِظْتَ غَضِبْتَ، وَإِنْ صُمِيتَ عَنْهَا سَفِهْتَ، وَإِنْ أَكْرِمْتَ نَفَخْتَ^(٢)، وَإِنْ أَهْيَنْتَ بَكَتْ، وَإِنْ أَعْطَيْتَ أَفْسَدَتْ، وَإِنْ حُرِمْتَ شَكَتْ، وَإِنْ أَسَرَّ إِلَيْهَا أَفْشَتْ، وَإِنْ نَصَحَ إِلَيْهَا^(٣) غَشَّتْ، وَإِنْ تُرِكَتْ غَوِيَتْ، وَإِنْ عَلِّمْتَ نَسِيَتْ، وَإِنْ لَمْ تُعَلِّمْ عَمِيَتْ.

وَإِنْ لُيِّنَ^(٤) لَهَا الْقَوْلُ تَعَزَّزَتْ، وَإِنْ اشْتَدَّ عَلَيْهَا جَهَلَتْ، وَإِنْ قَالَتْ أَخْطَأْتُ، وَإِنْ أَحَبَّتْ قَتَلَتْ، وَإِنْ أَبْغَضَتْ أَفْقَرَتْ، وَإِنْ أُغْنِيَتْ طَغَتْ، وَإِنْ افْتَقَرَتْ تَشَطَّتْ، وَإِنْ طُمِعَ فِيمَا عِنْدَهَا بَخِلَتْ، وَإِنْ كَانَ لَهَا مَالٌ مَنَّتْ، وَإِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْهَا جَحَدَتْ^(٥)، وَإِنْ قَوِّمَتْ اعْوَجَّتْ.

وَإِنْ فَرِحَتْ مَرِحَتْ، وَإِنْ كَلَفَتْ ثَقُلَتْ، وَإِنْ كُلِفَتْ امْتَنَعَتْ، وَإِنْ خُضِعَ إِلَيْهَا أَشْرَتْ، وَإِنْ أَقِيمَ عَلَيْهَا قَضِمَتْ، وَإِنْ أُمِرَتْ بِالْحَقِّ أَبْطَأَتْ، وَإِنْ أُمِرَتْ بِالْبَاطِلِ أَسْرَعَتْ، وَإِنْ أُمِرَتْ بِالسَّتْرِ تَبَرَّجَتْ، وَإِنْ أُمِرَتْ أَنْ تُعْطِيَ حَرَمَتْ، وَإِنْ مُنِعَتْ أَعْطَتْ، وَإِنْ دَخَلَ زَوْجُهَا خَرَجَتْ، وَإِنْ خَرَجَ زَوْجُهَا دَخَلَتْ، وَإِنْ قَالَ لَهَا^(٦) زَوْجُهَا: اسْتَتِرِي، بَرَزَتْ.

(١) فِي (ع): «شبه».

(٢) النَّفْخُ: الْكِبَرُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّة: نَفَخَ (٣: ٦٢).

(٤) فِي (ع): «بين».

(٣) فِي غَيْرِ (ع): «لها».

(٦) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٥) فِي (ع): «حجرت».

زَوْجُهَا مَعَهَا كَرَاجِبِ الْأَسَدِ إِنْ ثَبَّتَ عَلَيْهِ أَهْوَلُهُ^(١)، وَإِنْ نَزَلَ عَنْهُ أَكَلَهُ،
كَاشِرَةً بِأَنْيَابِهَا، (نَوَاحِي عَلَى بَابِهَا)^(٢)، قَدْ دَلَّقَ لِسَانُهَا، وَطَاوَعَتْهَا دَمْعَةُ الْفَجُورِ،
وَفَضَّحَتْ زَوْجَهَا بِكَثْرَةِ الشُّرُورِ، فَهُوَ طُولُ^(٣) الدَّهْرِ مَعَهَا فِي بِلَاءٍ وَعَنَاءٍ.

رُوِيَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٤) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَيْتُ
لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي امْرَأَةٌ فِي النَّارِ مُعَلَّقَةٌ بِشَعْرِهَا، يَغْلِي دِمَاعُ رَأْسِهَا، وَرَأَيْتُ امْرَأَةً قَدْ
أَخْرَجَ لِسَانُهَا مِنْ قَفَاها وَالْحَمِيمُ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رَأْسِهَا، وَالنَّارُ تَدْخُلُ مِنْ أَسْفَلِهَا
وَتَخْرُجُ مِنْ فِيهَا، وَرَأَيْتُ امْرَأَةً فِي تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ مُعَلَّقَةٌ بِثَدْيَيْهَا مُقَيَّدَةٌ بِرِجْلَيْهَا،
وَرَأَيْتُ امْرَأَةً فِي النَّارِ خَرَسَاءَ عَمِيَاءَ، مِنَ النَّارِ يَأْكُلْنَ، وَمِنَ النَّارِ يَشْرَبْنَ»، فَسَأَلْتُهُ
ابْنَتُهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَأَيِّ شَيْءٍ وُضِعَ عَلَيْهِنَ هَذَا
الْعَذَابُ؟ قَالَ: «يَا فَاطِمَةُ، أَمَّا الْمُعَلَّقَةُ بِشَعْرِهَا فَكَانَتْ لَا تُغْطِي شَعَرَ رَأْسِهَا أُمَامَ
الرِّجَالِ، وَالْمُعَلَّقَةُ بِثَدْيَيْهَا كَانَتْ تَفْرِشُ فِرَاشَ زَوْجِهَا لِغَيْرِهِ، وَأَمَّا الَّتِي أَخْرَجَ
لِسَانُهَا مِنْ قَفَاها فَكَانَتْ تَسْرِقُ مَالَ زَوْجِهَا، وَأَمَّا الَّتِي كَانَتْ خَرَسَاءَ عَمِيَاءَ
فَكَانَتْ تُغَازِلُ بَعِينَيْهَا^(٥) غَيْرَ زَوْجِهَا، فَتِلْكَ الَّتِي تَلْعَنُهَا الْمَلَائِكَةُ إِلَّا أَنْ تَتُوبَ^(٦)».

وَرُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ: أَيُّمَا امْرَأَةٍ دَعَاها زَوْجُهَا إِلَى فِرَاشِهِ،
فَقَالَتْ: سَوْفَ آتِيكَ^(٧) - وَقِيلَ: فَأَبَتْ - فَهِيَ فِي سَخَطِ اللَّهِ حَتَّى تَتُوبَ وَتَرْجِعَ،

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالصَّوَابُ: هَوَلُهُ. (٢) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ (ع).

(٤) كَذَا، وَالْحَدِيثُ مَذْكُورٌ بِرَوَايَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) فِي (و): «بَعِينِهَا».

(٦) لَا أَصْلَ لِهَذَا الْحَدِيثِ، وَعَلَائِمُ الْوَضْعِ عَلَيْهِ ظَاهِرَةٌ.

(٧) فِي (ع): «آتِيَهُ».

وأيما امرأة قالت لزوجها: ما رأيت منك خيراً قط ولا رأيته منذ رأيته، إلا حبط^(١) الله عملها سبعين سنة ولو كانت تصوم النهار وتقوم الليل إلا أن تتوب، وأيما امرأة خاصمت زوجها وهي ظالمة له^(٢) إلا حشرت مع هامان وقارون في النار إلا أن تتوب وترجع، وأيما امرأة خرجت من بيتها بغير إذن زوجها إلا لعنها كل رطب ويابس إلا أن تتوب، وأيما امرأة منّت على زوجها بمال أعطته لم يقبل الله منها صرفاً ولا عدلاً إلا أن تتوب، وأيما امرأة كحلت عينها^(٣)، وسوكت فمها لغير زوجها إلا لعنها الله من فوق سبع سموات، ولو أن امرأة مصّت من أنف زوجها دماً وقيحاً لم تبلغ بذلك حق زوجها، ولو أن امرأة قدّمت بين يدي زوجها ثديها وأشوتهما^(٤) أو طبختهما ما أدّت حق زوجها^(٥).



(١) كذا في الأصول.

(٢) سقط من (ع).

(٣) في (ع): «عينها».

(٤) كذا في الأصول.

(٥) لم أجده بهذا السياق، وبعضه مروي في حديث طويل أورده السيوطي في «اللائي المصنوعة»

(٢: ٣٠٧).

فَضْلٌ

[في القيام على الزوجة بما فيه صلاحها]

أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُقَنَّعُ بِالْمَشِيبِ، اللابسُ حُلَّةَ الْمُرِيبِ، إِيَّاكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ فِي^(١) زَوْجِكَ وَحَرِيمِكَ، فَإِنَّكَ الْمَسْئُولُ عَنْهَا، وَلَا تَكُنْ قَائِدَهَا وَدَلِيلَهَا إِلَى جَمِيعِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَلَاهِي الْمَذْمُومَاتِ.

فَازْجُرْهَا عَنْ ذَلِكَ، وَامْنَعَهَا كُلَّ الْمَنْعِ لِئَلَّا تَرْتَكِبَ الْعِظَائِمَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْجَرَائِمِ، وَيُكْتَبَ ذَلِكَ كُلُّهُ عَلَيْكَ؛ لِأَنَّ عِصْمَتَهَا بِيَدِكَ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حِجَابًا دُونَهَا وَسِتْرًا لَهَا، كَمَا هِيَ حِجَابًا لَكَ وَسِتْرًا بَيْنَكَ وَبَيْنَ النَّارِ.

فَمَا رَأَيْتُ رَجُلًا أَحْمَقَ وَلَا أَخْرَقَ وَلَا أَسْخَفَ وَلَا أَكْشَفَ وَلَا أَنْجَسَ وَلَا أَتَيْسَ، وَلَا أَخْسَ هِمَّةً، وَلَا أَنْكَرَ نِعْمَةً، وَلَا أَقَلَّ غَيْرَةً، وَلَا أَقَلَّ دِينًا^(٢)، وَلَا أَضْعَفَ يَقِينًا^(٣) مِنْ رَجُلٍ سَوَاءٌ يَعْلَمُ بِذَلِكَ الْمَوْطِنِ الذَّمِيمِ، وَالْمَجْتَمَعِ اللَّئِيمِ، وَيَسْمَحُ لِزَوْجِهِ وَحَرِيمِهِ وَسِتْرِ دَارِهِ وَقَاعِدَةِ بَيْتِهِ وَقُرَّةِ عَيْنِهِ وَخَلِيلَةِ صَدْرِهِ وَمَقْضِي شَهْوَتِهِ وَأَنْسِهِ فِي الْخُرُوجِ لِلتُّزْهِةِ فِي أَبِي الْأَهْوَالِ الْمَرْمِرِ الْكَبِيرِ، تَتَبَرَّجُ فِي رَحْبَةِ الشَّيْطَانِ لِلْقِيلِ وَالْقَالَ، وَاسْتِمَاعِ الْمَحَالِ.

وَأَعْجَبُ مِنْ ذَلِكَ أَنْ تَرَى الرَّجُلَ الْقَارِحَ^(٤) وَالشَّيْخَ الْكَبِيرَ وَالْكَهْلَ وَالشَّابَّ

(١) سقط من (ع). (٢) في (و): «دين».

(٣) في الأصول: «يقين».

(٤) يعني: سقطت أسنانه. «السان العرب»، مادة: قرح (٢: ٥٥٧).

والمرأة والعجوز والشابة كُلُّهُم قَدْ اشْتَغَلَتْ بِهِ قُلُوبُهُمْ لِلتُّزْهِةِ وَالْإِحْتِشَادِ عَلَيْهِ،
وَلَا فِي الْكُلِّ مَنْ يَجْتَنِبُهُ وَلَا مَنْ يَتَوَرَّعُ وَلَا مَنْ يَنْهَى عَنْهُ، وَلَا فِيهِمْ مَنْ يَرَى
أَنَّهُ مُنْكَرٌ، قَدْ (غَلَبَ عَلَى عُقُولِهِمْ) ^(١)، وَأَخَذَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ، أُولَئِكَ هُمُ
الْغَافِلُونَ، قَدْ ^(٢)، «أَسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ» [المجادلة: ١٩].

يَا أَخِي، إِلَى ^(٣) مَتَى هَذَا الْقِيَامُ عَلَى مَا يَضُرُّكَ وَلَا يَنْفَعُكَ، وَالْآجَالُ مَعْدُودَةٌ
مَحْصِيَّةٌ مَحْدُودَةٌ، وَالْأَيَّامُ مَعْلُومَةٌ وَالْأَرْزَاقُ مَقْسُومَةٌ، فَلَا تَنْسَ ^(٤) يَوْمَ تُنْشَرُ
الصُّحُفُ الْمَخْتُومَةُ، وَتُظْهِرُ لَكَ فَضَائِحَ ^(٥) كَانَتْ مَكْتُومَةً ^(٦)، يَا لَهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ
الْمَوَاعِظِ كَالْأَيَّامِ الْمَعْلُومَةِ!

يَا أَخِي، أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَا بِاسْتِمَاعِ الْأَغَانِي إِلَى أَنْ بَهَرَجْتَ لِلْحَرَكَاتِ
وَالْمَغَانِي، كَمْ ذَا الْعَانِي (مَا تُعَانِي) ^(٧)، كَمْ ذَا التَّسْوِيفِ وَالتَّوَانِي، فَلَا تُدْنِسْ
نَفْسَكَ النَّفِيسَةَ، فَلَهَا قَدْرٌ عَالِيٌّ وَثَمَنٌ غَالِيٌّ.

يَا أَخِي، تُحِبُّ طَرِيقَ الْآخِرَةِ وَلَا تَمْشِي عَلَيْهِ، وَتَحْنُ إِلَى أَفْعَالِ الْوَلِيِّ وَلَا
تَتَوَبُّ لِرَبِّهِ.

فَإِلَى مَتَى تُكَابِدُ بِنَفْسِكَ النِّعَاسَ وَكَثْرَةَ السَّهَرِ عَلَى الْمَلَاهِي وَالْمَزْمَرِ،
وَتَقْطَعُ لَيْلَكَ وَنَهَارَكَ عَلَى نَقْرِ الدِّيفَانِ وَالطَّنَابِيرِ وَهَزِّ الْأُوتَارِ، وَنَعْمَةِ الْعُودِ
بِالْأَصْوَاتِ وَالْأَشْعَارِ.

شَتَانَ مَا بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ، اسْمَعْ بِضِدِّهِ يَا مَغْرُورٌ، يَا مَنْ عَمِيَّتْ بِصِيرَتِهِ وَقَلْبُهُ
مَسْحُورٌ: الثُّجَارِ الرَّابِحِينَ الْأَوْلِيَاءِ الْمُقَرَّبِينَ، اللَّهُ دَرُّهُمْ، عَلِمُوا قُرْبَ الرَّحِيلِ،

(١) فِي (ع): «غَلَبَ الشَّيْطَانُ عَلَى قُلُوبِهِمْ». (٢) زِيَادَةٌ مِنْ (ع).
(٣) سَقَطَ مِنْ (ع). (٤) فِي (و): «تَنْسَى». (٥) فِي (و) وَ(ع): «فَضَائِحًا». (٦) فِي (ع): «مَكْتُومَةً». (٧) فِي (ع): «فَالْعَانِي».

فَهَيُّوا آلَاتِ السَّفَرِ، وَأَهَانُوا الدُّنْيَا فَقْنِعُوا بِمَا حَضَرَ، وَاسْتَوْثِقُوا بِفَضْلِ التَّقْوَى
مِنَ التُّطْقِ وَالنَّظَرِ.

مَا لَكَ خَبَرٍ بِحَالِهِمْ وَلَا عِنْدَكَ مِنْهُمْ أَثَرٌ، نَهَضُوا بِالْجِدِّ وَقَعَدَتْ، وَسَهَرُوا فِي
الدُّجَى وَرَقَدَتْ، طَالَمَا نَصَبُوا فِي (خِدْمَةِ الْمَالِكِ) ^(١)، وَنَاقَشُوا أَنْفُسَهُمْ مُنَاقَشَةً
الْمَمَالِكِ، وَآثَرُوا بِالزَّادِ عَلَى الْبَرَامِكِ، وَاخْتَبَرُوا بِالْبَلَاءِ وَالتَّبَرُّ بِالسَّنَابِكِ، هَذِهِ
طَرِيقُهُمْ فَأَيْنَ السَّالِكُ؟ أَتَرْضَى بِالتَّأَخُّرِ عَنْهُمْ؟ يَا قِلَّةَ رَأْيِكَ، كَأَنَّكَ بِهِمْ وَقَدْ
دَخَلْتَ عَلَى الْمَلَائِكِ.

كُلُّ يَا مَنْ لَمْ يَأْكُلْ، وَاشْرَبَ يَا مَنْ لَمْ يَشْرَبْ، هَذَا بِذَلِكَ كَمَا أُرِيدُ وَأَقِيدُوا،
لَمَّا شَكَرُوا الْمُنْعِمَ زِيدُوا، وَلَوْ فَتَرُوا عَنِ الْخِدْمَةِ ذِيدُوا ^(٢).

وَقَدْ ^(٣) نَامَ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ ^(٤) لَيْلَةً عَنْ وَرْدِهِ، فَجُبِذَ فِي نَوْمِهِ بِنَاصِيَتِهِ، وَقِيلَ
لَهُ: قُمْ إِلَى صَلَاتِكَ، فَمَا زَالَتْ تِلْكَ الشَّعْرَاتُ قَائِمَةً فِي حَيَاتِهِ ^(٥)، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا
تَذْكِرَةً﴾ [الواقعة: ٧٣].

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ ^(٦): غَلَبَتْنِي عَيْنِي، فَإِذَا الْحَوْرَاءُ تَرَكُضْنِي بِرِجْلَيْهَا،
وَتَقُولُ: أَتَنَامُ عَيْنَاكَ وَالْمَلِكُ يَقْظَانُ؟ قَالَ: ثُمَّ نِمْتُ لَيْلَةً فَإِذَا بِهَا تُوقِظُنِي وَتَقُولُ:
أَتَنَامُ وَأَنَا أُرِيوُكَ فِي الْخُدُورِ مِنْذُ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ؟ ^(٧)

(١) فِي (ع): «حُضْرَةُ الْمَلِكِ». (٢) فِي (ع): «دِيرُوا».

(٣) زِيَادَةُ مِنْ (ع).

(٤) هُوَ أَبُو نَصْرٍ الْعَلَاءُ بْنُ زِيَادٍ الْعَدَوِيُّ الْبَصْرِيُّ أَحَدُ الْعِبَادِ (ت ٩٤ هـ). «تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ»
(ص ٤٣٥).

(٥) رَوَاهُ أَحْمَدُ فِي «الزَّهْدِ»، رَقْمٌ: ١٤٢٧.

(٦) هُوَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَطِيَّةِ الْعَنْسِيُّ (ت ٢١٢ هـ). «تَقْرِيبُ التَّهْذِيبِ» (ص ٣٤٢).

(٧) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٣٤: ١٤٧).

اسْمَعْ يَا حَيْرَانَ، يَا مَنْ هُوَ بِالْغَفْلَةِ سَكْرَانٌ، وَهَمَّتُهُ فِي الْمَزْمَرِ وَالزَّفَانِ،
وَالرَّاقِصِ الْفَتَانِ، أَنْتُمْ أَنْتَ أَمْ يَقْظَانِ؟ انْتَبِهْ مِنَ الرَّقْدَةِ فِي الْبَاطِلِ وَالْبُهْتَانِ، كَمْ
ذَا التَّمَادِي عَلَى فَتْحِ أَسْبَابِ أَبْوَابِ النَّيرَانِ؟

هَذِهِ قُلُوبُ الْقَوْمِ فِي الدُّجَى قَلِقَةٌ، وَأَفْنِدتُهُمْ مِنَ الْخَوْفِ مُحْتَرَقَةٌ، وَالنَفْسُ
مِنْ هَجَرِ الْحَبِيبِ فَرِيقَةٌ^(١)، وَجُفُونُهُمْ^(٢) مِنَ الْبُكَاءِ غَرِيقَةٌ، وَغُرُوقُ الْمَحَبَّةِ فِي
سُورِ^(٣) بَدَائِهِمْ عَلِيقَةٌ، وَشِفَاهُهُمْ بِشْرَابِ الْمَبَاحَاتِ مُصْطَبِحَةٌ مُعْتَبِقَةٌ^(٤)، وَالْأَمَالُ
إِلَيْهِمْ مُنْطَلَقَةٌ، وَمَا أَعَادَتْ قَطُّ إِلَّا وَهْيَ بِالرَّجَاءِ عَبَقَةٌ.

وَأَنْتَ يَا غَافِلَ طَوْلٍ^(٥) عُمَرُكَ نَائِمًا فِي أَضْغَاثِ الْأَحْلَامِ، مُرْتَكِبًا لِلْآثَامِ
وَالْإِجْرَامِ، فَعَاتِبَ نَفْسَكَ لَعَلَّهَا تَرَعَوِي، وَازْجُرْهَا عَنْ غَيْبِهَا، وَلَا تَأْخُذْ بِهَا
طَرِيقَ اللَّعِبِ، وَلَا تَلْوِي، وَأَوْقِفْهَا لِلْمَحَاسِبَةِ، وَحَاسِبِهَا، وَانْدُبْهَا^(٦) إِلَى طَرِيقِ
الْخَيْرِ، فَإِنَّ أَبْتَ فَاضْرِبْهَا بِسَوْطِ الْمِنْجَرِ^(٧)، وَخَوْفِهَا بِخُسَامِ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ.

قال الشاعر:

يَا وَيْحَ نَفْسٍ رَضِيَتْ بِالسَّقَمِ وَفَرَطَتْ فِي عَمَلٍ مُنْصَرِمٍ^(٨)
تَسْهُو بِاللَّهْوِ^(٩) وَتَنْسَى حَتْفَهَا وَتُؤَثِّرُ الْبُعْدَ عَلَى التَّقَدُّمِ

(١) في (ع): «مفترقة».

(٢) في (ع): «وجفانهم».

(٣) في (ع): «سوء».

(٤) في (ع): «معتيقة»، كذا ولعل الصواب: «مصطبحة ومعتيقة» من الصبوح والغبوق وهو

الشراب صبحًا وعشيًا.

(٥) في (ع): «ما طول».

(٦) في (ع): «واتربها».

(٧) رجل منجر أي: شديد الشوق للإبل. «لسان العرب»، مادة: نجر (٥: ١٩٣).

(٨) في (و): «منصرم».

(٩) كذا في الأصول، وفيه كسر.

وَكُلَّمَا أَصْبَحْتُ أَذْكُرُ^(١) فِعْلَهَا
تَفَرَّحُ بِالْفَائِي فَمَا^(٢) تَطْلُبُ مَا
أَقُولُ: يَا نَفْسُ اتَّقِ^(٣) مَنْ لَمْ يَزَلْ
كَمٍ مِنْ ذُنُوبٍ لَكَ قَدْ سَتَرَهَا^(٤)
وَكَمْ لَهُ مِنْ نِعْمَةٍ جَادَ بِهَا
كَمٍ وَاعْظِ فِي كُلِّ يَوْمٍ زَاجِرٍ
وَكَمْ يُنَادِيكَ لِسَانُ عِبْرَةٍ
مَضَى الْجَمِيعُ هَلْ تَرَى مِنْ أَثَرٍ^(٥)
تَبَدَّلُوا بِالثَّرِبِ ثُرْبًا كُلُّهُمْ
تَفَصَّلَتْ عِظَامُهُمْ وَخُصِّلَتْ
وَبَاشَرُوا التَّرَابَ بَعْدَ تَرْفٍ
وَلَذَّةٍ فِي شَهْوَةٍ لَذِيذَةٍ
وَلَعِبٍ وَطَرِبٍ بِمِزْمَرٍ
لَوْ قِيلَ قُولُوا مَا قَبْلَكُمْ^(٦) طَلَبُوا
وَيَحْكُ يَا نَفْسِي^(٧) أَلَا تَيْقِظِي

صَجَّتْ لِي عِنَادًا فِي تَبَسُّمٍ
يَبْقَى لَهَا فَمَنْ يَكُونُ حَكْمِي؟
مَعْرُوفُهُ يَزِيدُ وَكَفَ الدَّيَمِ
وَعَادَ بِالْفَضْلِ وَبِالتَّكْرُمِ
وَكَمْ وَكَمْ أَوْلَاكَ طِيبَ أَنْعَمِ^(٨)
وَكَمْ نَذِيرِ زَائِرٍ^(٩) مُسَلِّمٍ
وَأَنْتِ عَنْ قَوْلِ الْهُدَى فِي صَمَمٍ
لَهُمْ وَصَارُوا فِي بَيْتٍ^(١٠) مُظْلِمٍ
فِي قَعَرٍ^(١١) لَحْدٍ ضَيِّقٍ مُنْهَدِمٍ
أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا كَالْعَدَمِ
وَشَرَفٍ وَحُجْبٍ وَعُزْمٍ^(١٢)
وَعِزَّةٍ فِي عِزْمَةٍ مِنْ هَمَمٍ
وَرَاقِصٍ وَشُرْبٍ رَاحِ الْكَرَمِ
حَيَاةَ يَوْمٍ لِيَتَوَبَّوْا فَاعْلَمْ
يَنْفَعُ قَبْلَ أَنْ تَزِلَّ قَدَمِي

- (١) فِي (و): «أَذْكُرِي» وَالْبَيْتُ مَكْسُورٌ. (٢) فِي (ع): «وَلَمْ». (٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالْوِزْنَ مَكْسُورٌ. (٤) فِي (ع): «سَتَرَهَا». (٥) فِي (ع): «النَّعْم». (٦) فِي (و): «أَفَر». (٧) فِي (و): «قَعْد». (٨) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالْوِزْنَ مَكْسُورٌ. (٩) فِي (و): «قَعْد». (١٠) عُزْمَةُ الرَّجُلُ: أَسْرَتُهُ وَقَبِيلَتُهُ، وَجَمَاعَتُهَا: الْعُزْمُ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: عِزْمٌ (١٢: ٣٩٩). (١١) كَذَا فِي الْأَصُولِ. (١٢) فِي (ع): «نَفْس».

مَضَى الزَّمانُ في تَوانٍ وهَوَى
 انتَظِرِي الموتَ سَيأتي بَغْتَةً
 وَحَزَنٍ وَفَرَقٍ^(٣) وَحَسْرَةٍ
 وَتَرْحَلِينَ عَن دِيَارِ الفَناءِ^(٤)
 مَن لِي إِذا نَزَلْتُ لِحَدًّا مُظْلَمًا
 مَن لِي إِذا قَرَأْتُ ما أَمْلَيْتُهُ
 مَن لِي إِذا أَزَعَجَ قَلْبِي حَسْرَةً؟
 كَيْفَ الخِلاصُ وَالكِتابُ قَدْ حَوَى
 يانَفْسِي^(٥) فَازِ الصَّالِحِينَ بِالهُدَى
 يا حُسَنَهُم وَاللَّيْلُ قَدْ جَنَّهُمُ
 تَرَنَّمُوا بِالذِّكْرِ في لَيْلِهِمُ
 قُلُوبُهُم لِلذِّكْرِ قَدْ تَفَرَّغَتْ
 أَسْحارُهُم بِهِم لَهُم قَدْ أَشْرَقَتْ
 صَارُوا وَعُجْتُ عَن طَرِيقٍ واضِحٍ
 فدَعِنِي أَبْكِ ما حَيَّيْتُ أَبَدًا
 يا عاذِلِي دَعِنِي فِراخَتِي البُكا
 فَاسْتَرِدِّي^(١) ما قَدْ بَلَّيَ واغْتَنِمِ^(٢)
 وَأَنْتِ بَيْنَ أَسْفٍ وَنَدَمٍ
 وَفَيْضِ دَمْعِ العَيْنِ في تَسْجُمٍ
 فانتَبِهي مَن رَقَدَاتِ النُّيُمِ
 فِيهِ وَكَم مَن نازَلَ لَمْ يَسْلَمْ؟
 أَفَتُحْ مَسْطُورًا جَرى بِالْقَلَمِ؟
 وَهَلْ يُرى يُشْفَى بِفُوزِي أَلَمْ^(٥)؟
 كُلُّ فِعْعالِي وَجَمِيعِ كَلِمِ^(٦)؟
 فَأَبْصُرُوا الحَقَّ وَقَلْبِي قَدْ عَمِيَ
 وَنُورُهُم يُفُوقُ نُورَ الأَنْجُمِ
 فَعِيشُهُم قَدْ طابَ بِالتَّرْنُمِ
 دُمُوعُهُم كَلُولٌ مُتَّظِمِ
 وَخِلْعُ العُفْرائِ (خَيْرُ القِسَمِ)^(٨)
 دَلَّ عَلى الرِّشْدِ دَلِيلَ العَلَمِ
 فَحُقَّ لِي أَبْكِ فِلا لا تُكَلِّمِ
 عَلى ذُنُوبِي التي في الرُّقْمِ

- (١) كذا في الأصول. (٢) كذا في الأصول.
 (٣) في (ع): «فرقة». (٤) في (و): «ألفت».
 (٥) كذا في الأصول. (٦) كذا في الأصول.
 (٧) كذا في الأصول، والصواب: «يا نفس» لثلاثين ينكسر الوزن.
 (٨) في (ع): «حين السطم».

يا مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْأَغَانِي، بِضَرْبِ الْأَمْثَالِ وَلُطْفِ طَرَائِفِ الْمَغَانِي،
مَا لَ بَكَ الْهُوَى، وَالتَّوَى عَلَيْكَ النَّعِيمُ^(١) الْفَانِي، هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، مَا أَبْعَدَ مَا
فَاتَ، وَمَا أَقْرَبَ مَا هُوَ آتٍ، سَيَفْنِي وَاللَّهِ هَذَا الْمَسَاءُ وَالصَّبَاحُ، أَفِي هَذَا شَكُّ أَمْ
الْأَمْرُ مِزَاحٌ؟ فَكَّرْ فِيمَا مَضَى.

أَيْنَ شَارِبُ الرِّاحِ، عَلَى الْمِزْمَرِ الْفَرَّاحِ؟ زَالَ وَاللَّهِ عَنْهُمْ وَرَاحَ، إِلَى
قَبْرِ تُسْفَى^(٢) عَلَيْهِ الرِّيحُ، تُرِكَ لِلْبَلَاءِ وَلِلدُّودِ مُبَاحٌ، عَلَيْهِ نِطَاقٌ مِنَ التُّرَابِ
وَوِشَاحٌ^(٣)، إِنَّهُ لَا يَزُولُ مَفْهُومُهُ لَا بَرَّاحَ.

إِخْوَانِي، هَذَا الرِّحِيلُ قَدْ اسْتَعْجَلَكَمُ، الْبِدَارَ الْبِدَارَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الدُّنْيَا
دَارٌ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ مُسْتَقَرٌّ إِلَّا الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ، فَخَلُّوا كَسَلَكُمْ، وَدَعُّوا التَّوَانِي،
فَالْتَوَانِي قَتْلَكُمْ.

وَأَسْفِي! سَبَقَ الصَّالِحُونَ، فَمَاذَا أَشْغَلَكُمْ؟ فَسْتَذْكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ،
يَا أَخِي أَفْعَالُكَ مَكْتُوبَةٌ، وَأَقْوَالُكَ مَحْسُوبَةٌ، لَيْتَ مَا كَانَ مَا كَانَ، (تَرْجِعْ مِنْ
دَفْنِ)^(٤) الْمَيِّتِ وَلَا وَاِعْظَ كَالْعِيَانِ، ثُمَّ تَسْوُدُ غَافِلًا.

مَا أَقْرَبَ هَذَا النُّسِيَانِ! وَيَحَاكَ (أَمَا تَدْرِي)^(٥) أَنْ اتَّبَاعَ الْهُوَى هَوَانٌ؟ فإِلَى
مَتَى مِزْمَرٌ وَزَقَانٌ؟ الْحَذَرُ الْحَذَرُ؛ لِئَلَّا يَكُونَ الْحَيْنُ قَدْ حَانَ، وَتُوزَنَ الْأَعْمَالُ
فَيَرْجَحَ بِهَا الْمِيزَانُ: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠]،
فَكَمْ ذَا تَعْصِي وَكَمْ تَتَمَرَّدُ؟ وَأَقْبَحُ قَبَائِحِكَ أَنْ تَتَعَمَّدَ.

(١) فِي (و): «النَّعِيم».

(٢) فِي (ع): «تَسْمَى».

(٣) فِي (ع): «وِشَاح».

(٤) فِي (ع): «تَرْفَعُ مِنْ دَفْع».

(٥) فِي (ع): «مَا تَرَى».

يا نَقِيَّ الثوبِ والقلبِ أسود، ما هذا التواني؟ وَلَسْتَ مُخَلِّدًا^(١)، يا لاهيًّا
بالملاهي، يا مَسْتَوْرًا على القبيح، أُمَقِّرُ أَنْتَ أم تَجْحَدُ؟ أما عَلِمْتَ أَنَّ الطريقَ
طَوِيلَةٌ، فَمَاذَا تَتَزَوَّدُ؟ تَخْلُصُ مِنْ أَسْرِ الهوى، فَإِلَى كَمْ أَنْتَ مُقَيَّدٌ؟ أَتَرْضَى
بِلَذَّةِ سَاعَةٍ بِعَذَابِ سَرْمَدٍ^(٢)؟

الدُّنْيَا بَحْرٌ وَالسَّاحِلُ الْمَقْبَرَةُ، احْذَرِ نَوَائِبَهَا؛ فَإِنَّ مَشَارِعَهَا كَدِيرَةٌ، عَلَى أَنَّهَا
مَزْرَعَةٌ يَحْصُدُ كُلُّ مَا بَذَرَهُ، فَلَا تَحْقِرْ مَعْصِيَةً، فَرُبَّمَا أَحْرَقَتْ شَرَرَةً^(٣)، أَمَا عَرَفْتَ
سِرَّ: ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ﴾ [البقرة: ٣٥]، لَوْ اقْتَنَعَ اكْتَفَى وَلَكِنَّ الْمَحَنَةَ الشُّفْرَةَ.
وَلَوْلَا مَخَافَةُ التَّطْوِيلِ لَشَرَحْتُ مِنْ أَمْرِ أَبِي الْأَهْوَالِ الْمَزْمَرِ الْكَبِيرِ وَشُرُورِهِ
وَوَهْلَتِهِ وَكَدَرِهِ وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْوَعِيدِ، وَالنَّهْيِ الشَّدِيدِ، مَا يُسَيِّمُ الْمَرَادَ وَيُنْفِذُ
الْكِتَابَ، وَيُكَلِّلُ السَّاعِدَ بِرَقَمِ الضَّرْسِ^(٤) وَالسَّوَادِ، وَلَكِنْ ذَكَرْتُ مَا فِيهِ الْكِفَايَةُ.
وَعِنْدَمَا فَرَعْتُ مِنْ أَبِي الْأَهْوَالِ، شَرَعْتُ فِي النَّهْيِ عَنِ أَعْيَادِ النَّصَارَى.



(١) فِي الْأَصُولِ: «وَلَيْتَ مُخَلِّدًا»، وَالْمَثْبُتُ مِنْ (و).

(٢) فِي (ع): «مَسْرَمَد».

(٣) فِي (ع): «شُرَارَةٌ».

(٤) الضَّرْسُ: كَفَتْ عَيْنَ الْبُرْقُعِ. «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: ضَرْس (٦: ١١٦).

فصل

في النهي عن الاستعداد لينير والميلاد والعنصرة^(١) والكف عنه

قال الفقيه أبو محمد عبد الله بن فرج العسال رحمه الله:

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه للتصديق، وروح قلوبهم بصحة اليقين والتحقيق، وأثقب ألبابهم بنور هدايته، وتولاها بحسن كفايته، حتى سلكوا (مسيل السُنن الواضحة، وأتبعوا أعلام الآثار الثابتة اللاتحة، فلم يوهنهم عناد الزائغين المبتدعين السالكين)^(٢) سُبُل الشيطان المضلة، الساعين في هدم أركان الملة.

وصلّى الله على سيّدنا محمد عبده ورسوله، وحبيبه ودليله، بعثه لإيضاح حقه، وفضله على جميع خلقه، وأبطل به زيف كل زائغ مُعاند، وبطل كل مُشرك وجاحد.

صلّى الله عليه وعلى من أتبعه وعزّره ووقّره ونصره، صلاة زاكية نامية تامة، يُدخلنا في بركاتها^(٣) عامة.

اللهم اجعلنا من الذين سبقت لهم منك الحسنى، بمحبته وأتباعه، واحشُرنا مع صحابته وأنصاره، واجعلنا ممن أحبه وتولاه، ولا تجعلنا ممن يُذاد عن

(١) يوم العنصرة: يوم مشهور ببلاد الأندلس، وهو موسم للنصارى، كالميلاد وغيره، وهو اليوم الرابع والعشرون من حزيران، فيه وُلد يحيى بن زكريا عليهما السلام. «وفيات الأعيان» (٢٢٧:٧).

(٢) سقط من (ع). (٣) في (ع): «بركات».

حَوْضِهِ إِذَا أَتَاهُ، فَيَقُولُ صَاحِبُ الْحَوْضِ: «فُسْحَقًا، فُسْحَقًا»^(١)، لِمَنْ^(٢) أَحَدَثَ بَعْدَهُ مِنَ التَّغْيِيرِ.

فَالشَّارِبُونَ مِنْ حَوْضِهِ هُمُ الْمُقْتَدُونَ بِهِ، الْمُتَّبِعُونَ لِسُنَّتِهِ، وَالْمَذُودُونَ عَنْهُ هُمُ فُسَاقُ أُمَّتِهِ، الْمُغَيَّرُونَ لِمِلَّتِهِ، التَّارِكُونَ لِمِلَّةِ^(٣) اللَّهِ وَشِرْعَتِهِ، فَالْوَيْلُ لِمَنْ يَذُودُهُ صَاحِبُ الْحَوْضِ عَنْ حَوْضِهِ بِلَفْظِ الشُّحْقِ وَالْإِبْعَادِ، كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ عَنِ الْمَاءِ إِذَا اجْتَمَعَ الْوُرَادُ.

وَقَدْ قَالَ ﷺ: «حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَأَنْبِيئُهُ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ»^(٤).

وَقَالَ: «لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي؛ إِنَّهُمْ مِنِّي، فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحَدَثُوا بَعْدَكَ، فَأَقُولُ: فُسْحَقًا لِمَنْ غَيَّرَ بَعْدِي»^(٥).

وَتَغْيِيرُ شَيْءٍ مِنَ السَّنَةِ، يَعْدِلُ بِصَاحِبِهِ عَنْ طَرِيقِ الْجَنَّةِ.

وَقَدْ قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ^(٦) رَحِمَهُ اللَّهُ: مَثَلُ السَّنَةِ فِي الدُّنْيَا

(١) فِي (ع): «حِينَ السُّطَمِ». (٢) فِي (و): «لَمَّا».

(٣) فِي (ع): «السَّنَةِ».

(٤) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْبُخَارِيُّ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ فِي الْحَوْضِ، رَقْمٌ: ٦٥٧٩.

(٥) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَأَبِي سَعِيدٍ الْخَدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْبُخَارِيُّ فِي «الْجَامِعِ الصَّحِيحِ»، كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ فِي الْحَوْضِ، رَقْمٌ: ٦٥٨٣.

(٦) أَبُو مُحَمَّدٍ سَهْلُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيُّ الزَّاهِدُ الْمَعْرُوفُ (ت ٢٨٣هـ)، «سِيرُ أَعْلَامِ النَّبَلَاءِ» (١٣: ٣٣٠-٣٣٣).

كَمَثَلٍ^(١) الْجَنَّةِ فِي الْآخِرَةِ، مَنْ دَخَلَ الْجَنَّةَ فِي الْآخِرَةِ آمِنًا، وَمَنْ اتَّبَعَ الشُّنَّةَ فِي الدُّنْيَا سَلِمَ^(٢).

وَالْمُغَيِّرُونَ لِلسُّنَّةِ (فِي الدُّنْيَا)^(٣) هُمُ الْمُحَوِّلُونَ فِي قُبُورِهِمْ عَنِ الْقِبْلَةِ، وَلَا يُحَوِّلُ عَنِ الْقِبْلَةِ إِلَّا مَنْ لَمْ يَتَّبِعِ الْمَلَّةَ، فَمَنْ لَمْ يَتَّبِعِ الشُّنَّةَ وَسَبِيلَ الْمُؤْمِنِينَ دَخَلَ عَلَى النَّصَارَى فِي بَعْضِ مِلَّتِهِمْ؛ لِأَنَّهُ قَدْ فَرَّقَ دِينَهُ، وَابْتَدَعَ مَا ابْتَدَعَ دُونَهُ. وَقَدْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ لِنَبِيِّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَأَكْثُ مِنْهُمْ فِي شِقْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

فَأَخْبَرَ عَزَّ وَجَلَّ أَنَّ الْمُبْتَدِعِينَ لَيْسُوا مَعَ نَبِيِّهِمْ فِي شَيْءٍ مِنَ الدِّينِ.

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي! كَيْفَ يَكُونُ حَالُ مَنْ كَانَ مُتَهَاوِنًا بِالسُّنَّةِ عَلَى عَمْدٍ، مُخَالَفًا لَهَا عَلَى قَصْدٍ، يَدْخُلُ عَلَى النَّصَارَى فِي أَعْيَادِهِمْ وَنِيَرُوزِهِمْ وَمِيلَادِهِمْ، وَيَسْتَعْبِدُونَ لِذَلِكَ أَكْثَرَ مِنْ اسْتِعْدَادِهِمْ، يُعَظِّمُ مَا عَظَّمُوهُ، وَيُشْرَفُ مَا شَرَّفُوهُ، وَيَتَرَدَّدُ فِي اتِّبَاعِ هَوَاهُ وَغَيْهِ، ثُمَّ يُرِيدُ أَنْ يَشْرَبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ؟ مَا أَبْعَدَهُ مِنْ أَمْنِيَّتِهِ، مَا دَامَ مُصِرًّا عَلَى بِلَاسَتِهِ، وَكَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ وَقَدْ أَخْبَرَ الصَّادِقُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّ الْمَغْيِرَ لِسُنَّتِهِ عَنْ حَوْضِهِ مَطْرُودٌ، وَعَنْ شُرْبِ مَائِهِ مَذْذُودٌ؟

لَأَنَّ فِي قَوْلِهِ: «فَسُحْقًا فَسُحْقًا»، وَهُوَ أَرْحَمُ النَّاسِ بِأَمْتِهِ مَا يَدُلُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ^(٤) أَبْعَدَهُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ، وَأَنَّ هَذَا الْمَحَقُّ الَّذِي حَلَّ بِأَهْلِ التَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ هُوَ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١١]؛ أَي: فَبُعْدًا.

وَمَنْ كَانَ عَنْ حَوْضِ نَبِيِّهِ مَوْقُوفًا، فَإِنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ يَكُونَ إِلَى جَهَنَّمَ مَصْرُوفًا.

(١) فِي (و): «مَثَل».

(٢) «تَفْسِيرُ التَّسْتَرِي» (ص ٩٨).

(٣) زِيَادَةٌ مِنْ (ع).

(٤) سَقَطَ مِنْ (ع).

وَقَدْ تَعَبَّدْنَا اللَّهَ تَعَالَى فِي أُمِّ الْقُرْآنِ الَّتِي هِيَ قُطْبُهُ وَأَصْلُهُ، وَبِهَا وَسَائِرُ^(١) مَا فِيهَا بَانَ شَرْفُهُ وَفَضْلُهُ، أَنْ نَقُولَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، يُرِيدُ: أَنَّهُ يَسْتَقِيمُ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى جَنَاتِ النِّعَمِ.

ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّهُ صِرَاطُ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصُّدُيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ، لَا طَرِيقُ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ، فَقَالَ: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]، وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمْ: الْيَهُودُ، وَلَا الضَّالِّينَ: النَّصَارَى.

فَكُلُّ مَنْ قَرَأَهَا فِي صَلَاتِهِ، كَيْفَ يَكُونُ صَادِقًا إِذَا كَانَ لِلضَّالِّينَ^(٢) فِي بَعْضِ شَرَعِهِمْ مُوَافَقًا؟ بَلْ هُوَ كَاذِبٌ فِي أَقْوَالِهِ؛ لِأَنَّهُ يُشَارِكُ الضَّالِّينَ فِي بَعْضِ أَعْمَالِهِمْ^(٣).

وَهَذِهِ هِيَ السُّورَةُ الَّتِي لَا صَلَاةَ لِلْعَبْدِ دُونَ قِرَاءَتِهَا، وَلَا تُقْبَلُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ تِلَاوَتِهَا، وَكَيْفَ يَتَّبِعُ تِلَاوَتَهُ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَهُوَ مُتَّبِعٌ لَشَيْءٍ مِنْ أَعْمَالِ الضَّالِّينَ، مُشَارِكٌ لَهُمْ فِي مَا شَرَعُوا، تَارِكٌ لِسُنَنِ خَيْرِ الْمُرْسَلِينَ؟ مَا أَجْدَرَهُ أَنْ يَكُونَ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْكَاذِبِينَ!

وَمَنْ كَانَ كَاذِبًا فِي هَذِهِ السُّورَةِ الَّتِي يَتْلُوهَا، فَقَدْ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ الَّتِي يَرْجُوهَا، وَمَنْ بَطَلَتْ صَلَاتُهُ فَقَدْ بَطَلَتْ عِبَادَتُهُ.

وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّصَارَى وَالْيَهُودَ فِي كِتَابِهِ، وَأَعْلَمْنَا أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُمْ مِنْهُمَا فَهُوَ مِنْهُمْ، فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ مُحَذِّرًا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ اتِّبَاعِهِمْ، وَالدَّخُولِ عَلَيْهِمْ فِي شَيْءٍ مِنْ ابْتِدَاعِهِمْ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ

(٢) فِي (و) وَ(ع): «الضَّالِّينَ».

(١) فِي (ع): «وَسَائِرُ».

(٣) فِي (و): «أَعْمَالِهِ».

بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴿[المائدة: ٥١]﴾، ثم قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

فأخبر أنه لا يهديهم لا تبعاعهم وتوليهم.

وقال عز وجل: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذَا مَثَلْتُمْ إِنَّ اللَّهَ...﴾ [النساء: ١٤٠] الآية.

ولا شك أن النصارى من المستهزئين بآيات الله، فإذا كان الجالس معهم مثلهم في الحكم، فلا شك أن العامل بعملهم أعظم في الجرم، ولذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠] ليدلنا على أن المشارك منا للمشركين في حكم المنافق^(١)، وأنه في إسلامه^(٢) غير متحقق ولا صادق.

وقال تعالى: ﴿تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَقُولُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِبَشَرٍ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ وَمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨٠، ٨١].

وقد أوعد الله نبيه ﷺ أعظم الوعيد، وهذذه أشد التهديد؛ مُحذِّراً له أن يركن إلى شيء من أحوال أهل الشرك، وأن يلين لهم فيما أوحى إليه بعض اللين، وذكر امتنانه عليه في التشيت فيما أوحى إليه، فقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَنَّكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤].

وذلك أن وفد ثقيف قَدِمُوا على النبي ﷺ بعدما أسلموا فقالوا: يا محمد،

(١) في (ع): «المنافقين».

(٢) في (ع): «السلامة».

لَنَا عَلَيْكَ حَقٌّ وَنَحْنُ إِخْوَانُكَ وَأَصْهَارُكَ وَجِيرَانُكَ، فَتُحِبُّ الْيَوْمَ أَنْ تَفْعَلَ إِلَيْنَا مَا لَمْ تَفْعَلْهُ إِلَى غَيْرِنَا.

فَقَالَ لَهُمْ: «مَا تَسْأَلُونَ؟».

فَقَالُوا لَهُ^(١): «نَسْأَلُكَ أَلَّا نُحْشَرَ وَلَا نُعْشَرَ وَلَا نُضَلِّيَ.

فَقَالَ لَهُمْ^(٢): «مَا لَكُمْ لَا تُحْشَرُوا وَلَا تُعْشَرُوا؟^(٣) وَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ رُكُوعٌ وَلَا سَجُودٌ».

فَقَالُوا لَهُ^(٤): «مَتَّعْنَا بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى سَنَةً دُونَ أَنْ نَعْبُدُوهَا^(٥)، وَلَكِنْ لِيَتَحَدَّثَ النَّاسُ - يَعْنُونَ: الْعَرَبُ - أَنَّكَ قَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ غَيْرَنَا.

فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ عَادُوا، فَسَأَلُوا ذَلِكَ، وَقَالُوا: إِنَّ أَهْلَ نَجْدٍ لَكَ سِلْمًا^(٦)، وَأَضْرَهُمْ عَلَيْكَ^(٧) حَرْبًا، إِنْ سَأَلْتَنَا فَسَالِمٌ مِّنْ بَعْدِنَا.

فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوُضُوءٍ فَتَوَضَّأَ، فَعَرَفَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَارَهُ لِمَا يَقُولُونَ، فَقَالَ لَهُمْ: «أَخَوْفُكُمْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ؟ أَخَوْفَ^(٨) اللَّهُ أَكْبَارُكُمْ^(٩)».

فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، إِنْ كَانَ بِكَ مَخَافَةٌ لِأُتَمَّةِ الْعَرَبِ الَّذِينَ كَسَرَتْ أَوْثَانَهُمْ.

فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَلَّا أَقِرَّهَا بِأَرْضِهِمْ شَيْئًا».

فَقَالَ لَهُمْ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَا يُقِرُّ الْأَوْثَانَ فِي أَرْضٍ

(١) زيادة من (ع).

(٢) زيادة من (ع).

(٣) كذا في الأصول، والصواب: «ما لكم أن لا تحشروا ولا تعشروا» كما في سنن أبي داود،

حديث رقم: ٣٠٢٦.

(٥) كذا في الأصول.

(٤) زيادة من (ع).

(٦) كذا في الأصول، ولعل الصواب: إنا أهل نجد خير لك سلماً.

(٨) كذا في الأصول.

(٧) سقط من (ع).

(٩) كذا في الأصول.

الإسلام، فإِذَا أَنْ تُسَلِّمُوا كَمَا أَسْلَمَ النَّاسُ، وَإِذَا أَنْ تَلَحُّقُوا بِأَرْضِكُمْ.
فَعَرَفُوا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ غَيْرُ فَاعِلٍ لَهُمْ مَا شَرُّوا عَلَيْهِ.
فَقَالُوا: يَا مُحَمَّد، لَا نَكْسِرُوكُمْ^(١) الْأَوْثَانَ بِأَيْدِينَا.
فَقَالَ: «لَكُمْ ذَلِكَ»، فَكَانَ شَرُّهُمْ^(٢): أَلَا يَكْسِرُوا أَوْثَانَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ.
فَخَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَعْضِ تَوَلَّيْهِمْ، فَلَمْ يُبَحِّ لَهُمْ ذَلِكَ
حَتَّى كَسَرُوهَا بِأَيْدِيهِمْ^(٣).

وَفِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] دَلِيلٌ
عَلَى أَنَّ الرُّكُونَ لِلْمُشْرِكِينَ فِي الشَّيْءِ مِنَ الدِّينِ مُوجِبٌ لِعَذَابِ اللَّهِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿إِذَا لَادَقْتَنكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥]، يُرِيدُ: ضِعْفَ عَذَابِ
الْحَيَاةِ، وَضِعْفَ عَذَابِ الْمَمَاتِ.

وَقَدْ عَاتَبَ اللَّهُ نَبِيَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا هُوَ أَقْلٌ مِنْ هَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ
وَتَوَلَّى * أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى * وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكَّى * أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الْذِّكْرَى * أَمَّا
مَنْ أَسْتَعْتَى * فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى * وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكَّى * وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى * وَهُوَ
يَخْشَى * فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ [عبس: ١-١٠].

نَزَلَتْ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَعِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ
الْمُشْرِكِينَ كَانَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ طَامِعًا فِي إِسْلَامِهِ، فَأَقْبَلَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ وَمَعَهُ
قَائِدُهُ، فَأَشَارَ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى قَائِدِهِ أَنْ كُفَّ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ هَذِهِ الْآيَةَ، فَكَانَ
ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَتَى النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَسَطَ لَهُ رِدَاءَهُ، وَقَالَ: «مَرْحَبًا
بِمَنْ عَاتَبَنِي فِيهِ رَبِّي»^(٤).

(١) كَذَا فِي الْأَصُول. (٢) فِي (و): «شَرُّوهُمْ».

(٣) لَمْ أَجِدْ هَذَا الْحَدِيثَ بِهَذَا السِّيَاقِ، وَهُوَ ظَاهِرُ الْغَرَابَةِ، وَجُزْءٌ مِنْهُ مَعْرُوفٌ فِي كُتُبِ الْحَدِيثِ.

(٤) انْظُرْ: «تَخْرِيجُ الْأَحَادِيثِ وَالْآثَارِ الْوَاقِعَةِ فِي تَفْسِيرِ الْكُشَافِ لِلزَّمْخَشَرِيِّ» لِلزَّيْلَعِيِّ (٤: ١٥٥-١٥٧).

وَكُلُّ مَا أَمَرَ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَسَبِيلُنَا سَبِيلُهُ إِلَّا مَا قَامَ دَلِيلُهُ أَنَّهُ خَاصٌّ لَهُ، وَكَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَنْ كَانَ مُشَارِكًا لِلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَالضَّالِّينَ فِي شَيْءٍ مِمَّا ابْتَدَعُوا مِنَ الدِّينِ؟!

وَقَدْ قَالَ رَبُّ الْعَالَمِينَ: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

فَالْوَاجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَجْتَنِبَ كُلَّ مَا ابْتَدَعُوا، وَلَا يَدْخُلَ فِي شَيْءٍ مِمَّا شَرَعُوا، وَمَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ هَذَا الْبَيَانِ الْجَلِيِّ فَقَدْ وَرَدَ مِثْلُهُ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْوِيِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ يَوْمًا لِأَصْحَابِهِ: «إِنَّكُمْ سَتَنْزِلُونَ بَيْنَ ظَهْرَانِي عَجَمٍ، فَمَنْ تَشَبَّهَ بِهِمْ فِي نِيْرُوزِهِمْ وَمَهْرَجَانِهِمْ، حَشَرَهُ اللَّهُ مَعَهُمْ»^(١).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَمَنْ رَضِيَ عَمَلَ قَوْمٍ^(٢) كَانَ شَرِيكًا لِمَنْ عَمِلَهُ»^(٣).

وَهَذَا إِذَا رَضِيَ وَلَمْ يَعْمَلْ، فَكَيْفَ إِذَا عَمِلَ بِهِ وَاتَّخَذَهُ سُنَّةً؟

وَقَدْ نَهَى النَّبِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ابْتِدَائِهِمْ بِالسَّلَامِ عِنْدَ لِقَائِهِمْ^(٤)، فَكَيْفَ بِالدَّخُولِ عَلَيْهِمْ فِي شُرَكَائِهِمْ وَافْتِرَائِهِمْ؟

(١) لم أجده مرفوعاً مسنداً، وإنما رواه موقوفاً على عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: الدولابي في «الكنى والأسماء»، رقم: ١٨٤٣ (٣: ١٠٤٨). وانظر «المعيار المعرب» (١١: ١٥١).
(٢) في (و): «قوما».

(٣) رواه من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أبو يعلى الموصلي في «المسند» كما في «المطالب العالية» لابن حجر، رقم: ١٦٦٠ (٨: ٣١٩).

(٤) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مسلم في صحيحه، كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم، رقم: ٢١٦٧.

فَصْلُكَ [في أصل النيروز]

وأصلُ النيروز: ما حَدَّثَ بِهِ وَثِيمة، قال: إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَصَابَ خَاتَمَهُ وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهِ مُلْكَهُ، وَانصَرَفَ إِلَى قَوْمِهِ، عَايَنُوهُ عَلَى سَرِيرِهِ وَالنُّورُ قَدْ عَلَاهُ، فَاسْتَقَلَّتْهُ الْمُلُوكُ مِنَ الْجَنِّ وَقَالُوا لَهُ: نُورٌ وَرَأْسُكَ نَيْرُوزٌ، يَعْنُونَ بِذَلِكَ نُورٌ وَزَيْنٌ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ: يَوْمَ النِّيرُوزِ مِنْ قَوْلِهِمْ^(١).

وَقَالَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: الْيَوْمُ الَّذِي جَمَعَ اللَّهُ لِسُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُلْكَهُ سُمِّيَ ذَلِكَ الْيَوْمُ: النِّيرُوزُ، وَكَانَتْ الْمُلُوكُ تُسَمِّي ذَلِكَ الْيَوْمَ: يَوْمَ النِّيرُوزِ^(٢).
وَقَالَ يَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيُّ: لَا تَجُوزُ الْهَدَايَا فِي الْمِيلَادِ مِنْ نَصْرَانِيٍّ وَلَا مِنْ مُسْلِمٍ^(٣).

يُرِيدُ: إِذَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَجْلِ الْمِيلَادِ، وَكَذَلِكَ سَائِرُ مَا يُعَظَّمُونَ مِنَ الْأَعْيَادِ، وَكَذَلِكَ إِبْجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَيَّامُ كَسَائِرِ الْأَيَّامِ.

وَقَوْلُ يَحْيَى بْنِ يَحْيَى: هَذَا هُوَ قَوْلُ أَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُوَ مِنَ الْبِدْعَةِ فِي

(١) لَمْ أَجِدْهُ هَكَذَا، لَكِنْ رَوَاهُ قَرِيبًا مِنْهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَوْقُوفًا عَلَيْهِ: ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٢٢: ٢٦١).

(٢) رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكَرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٢٢: ٢٦٢).

(٣) ذَكَرَهُ الْوَنَشْرِيْسِي فِي «الْمَعْيَارِ الْمَعْرَبِ» (١١: ١٥١).

الدين، وكذلك لا يجوزُ إجراء الخيل في العنصرة، ولا الاستحمام^(١) فيه، ولا إيقاد النار^(٢) تحت الثمار وغيرها كفعل شرار هذه الأمة وجهالها، وكل ذلك حرام لا يحل فعله.

ولا يجوز الاستعداد لئتيير ولا للميلاد.

وكذلك ما يفعله النساء من رمس البيوت عند العنصرة، وإخراج ثيابهن إلى النداء بالليل؛ لأنه من فعل الجاهلية.

قال يحيى بن يحيى اللثي: فمن فعل ذلك فكأنما أشرك في دم يحيى بن زكرياء عليهما السلام^(٣).

أراد: أنه مشارك للذين قتلوه في أمثاله، فيجب^(٤) مخالفتهم لبعض ما فعلوه من تعظيم يوم العنصرة الذي قتلوا فيه يحيى بن زكرياء عليهما السلام، فهم يعظمونه لذلك.

وقال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال عز وجل: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

والذين هم متبعون لسنته^(٥) هم المبشرون بالجنة، الواردون حوض نبيهم المورود، في يوم القيامة الموعود.

(٢) في (ع): «النيران».

(٤) سقط من (و).

(١) في (ع): «الاستحمام».

(٣) «المعيار المعرب» (١١: ١٥١).

(٥) في (ع): «السنة».

نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الْخَوْرِ بَعْدَ الْكُورِ، مَعْنَاهُ: مِنَ التُّقْصَانِ بَعْدَ الزِّيَادَةِ، وَمِنْ اسْتِدْالِ الْعَدْلِ بِالْجَوْرِ، آمِينَ (يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ) ^(١).

وإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ عَلَى مَصَائِبِ الذُّنُوبِ، فَقَدْ بَرِحَ الْخَفَاءُ، وَانْكَشَفَ الْغِطَاءُ، وَظَهَرَ بَعْضُ مَا نَسْتَوْجِبُهُ لِكَثْرَةِ الذُّنُوبِ، فَلَا أَحَدٌ مِنَّا يَرْجِعُ وَلَا يُؤُوبُ، وَلَا يَتَّعِظُ ^(٢) وَلَا يَتُوبُ.

وَنَحْنُ عَمَّا حَلَّ بِنَا لَاهُونَ، وَبِشَهَوَاتِنَا عَنْ التَّوْبَةِ مَشْغُولُونَ، وَعَلَى الْمَعَاصِي عَاكِفُونَ، وَفِي الْبَطَالَةِ غَافِلُونَ، حَتَّى كَأَنَّا بِكِتَابِ اللَّهِ مُكَذِّبُونَ، فَلَا نَسْتَفِيعُ بِالذِّكْرِ، وَلَا نَعْمَلُ فِي هَذِهِ الدَّارِ لِلْآخِرَى.

لَمْ يَكْفِنَا مَا نَعْتَكِفُ عَلَيْهِ فِي الدُّورِ، مِنَ اللَّهْوِ وَالْأَغَانِي، وَشُرْبِ الْخَمُورِ، وَالْفُجُورِ، حَتَّى أَفْرَدْنَا مِنَ الْعَامِ فِي كُلِّ بُقْعَةٍ وَمَدِينَةٍ أَيَّامًا مَخْصُوصَةً لِلَّهْوِ وَالزَّيْنَةِ، خَرَجْنَا فِيهَا مِنَ الدُّورِ وَالْأَكْنَانِ، وَنَقَلْنَا مَا كَانَ مَسْتَوْرًا إِلَى الْإِعْلَانِ، وَأَظْهَرْنَا عَلَى الْأُودِيَةِ، مَا كَانَ مِنَ الْمَعَاصِي سِرًّا فِي الْمَجَالِسِ وَالْأَنْدِيَةِ.

حَتَّى خَلَّتْ مِنْ أَهْلِهَا الْأَسْوَاقُ، وَتَمَكَّنَ فِيهَا الْقَوَاسِقُ وَالْفُسَاقُ، مِنْ أَجْلِ أَنَّهُمْ إِنَّمَا أَتَوْا أَمْرًا لَا يُنْكَرُ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يَشْعُرُوا بِعَقُوبَةٍ مِنْ ^(٣) ظَهَرَتْ فِيهِمْ الْفَوَاحِشُ ^(٤) وَالْمُنْكَرُ.

فَكُلُّ مَنْ خَرَجَ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الَّتِي لِلْبَطَالَةِ مَوْسُومَةٌ، وَلِإِظْهَارِ الْمَعَاصِي مَعْلُومَةٌ، وَيَنْظُرُ إِلَى مَا لَمْ يَكُنْ قَبْلَهَا نَاطِرًا إِلَيْهِ، فَقَدْ ثَبَّتَ الْحِجَّةَ لِلَّهِ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَثُرَ سَوَادُ قَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ، وَهُوَ شَرِيكٌ لَهُمْ فِيمَا صَدَرَ عَنْهُمْ.

(١) سقط من (ع).

(٢) في (ع): «يتيقظ».

(٣) في (ع): «ما».

(٤) في (ع): «من الفواحش».

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي، أَبْهَذَا تُعْبَدُنَا، أَمْ لِلَّهِوِ الْبَطَالَةِ خُلِقْنَا؟

وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه الناطق، على لسانِ رسوله محمدٍ الصادقِ ﷺ، كَيْفَ جَعَلَ إِهْلَاكَ الْعَامِينَ لِمَنْ بَعْدَهُمْ نَكَالًا، وَصَيَّرَهُمْ لَنَا عِبْرَةً وَمِثَالًا.

فَكُلُّ مَوْضِعٍ كَثُرَتْ فِيهِ الْمَعَاصِي وَالْأَفْرَاحُ، فَلَا بَدَّ أَنْ يَكْثُرَ فِيهِ الْبُكَاءُ وَالنَّيَاحُ، وَهَذَا أَمْرٌ مُشَاهِدٌ بِالْعَيَانِ، مَوْجُودٌ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَقَدْ حَذَّرَ اللَّهُ مِنْ بَأْسِهِ الَّذِينَ هُمْ عَنْ إِنْذَارِهِ غَافِلُونَ، وَعَلَى مَعَاصِيهِ مُصِرُّونَ، (فِي قَوْلِهِ) ^(١) تَعَالَى: ﴿أَفَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيِّنًا وَهُمْ نَائِمُونَ * وَأَمِنْ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الاعراف: ٩٧-٩٩].

فَطُوبَى لِمَنْ أَرْجَرَ ^(٢) بِإِنْذَارِ اللَّهِ، وَنَدِمَ وَقَلَعَ وَتَابَ قَبْلَ غَضَبِهِ، فَإِنْ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

رُويَ فِي بَعْضِ الْأَخْبَارِ، عَنْ السَّلَفِ الْأَخْيَارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى نَبِيِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَنَّ قَوْمًا كَانُوا مِنْ قَبْلِكَ قَدْ أَظْهَرُوا ^(٣) الْمَعَاصِيَ فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، وَتَحْتَ ظِلَالِ الْأَشْجَارِ، وَفِي بُطُونِ الْأَوْدِيَةِ، فَلَا أَخْيَارَ لَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَلَا أَشْرَارَ لَهُمْ يَتُوبُونَ، إِلَى أَنْ عَجَّتْ ^(٤) السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ مِنْهُمْ، فَتَأْنَبَتْ بِهِمْ وَصَفَّحَتْ، وَأَمْلَيْتُ لَهُمْ ^(٥) وَأَعَذَّرْتُ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ أُرْسِلُ إِلَيْهِمُ الْأَمْطَارُ فِي حِينِهَا، وَأَنْبَتُ ^(٦) لَهُمُ الْأَرْضَ بِنَعِيمِهَا، وَالْبُسْهَمَ الْعَافِيَةَ، فَلَا يَزِدَادُونَ إِلَّا طُغْيَانًا وَبُعْدًا عَنِ طَاعَتِي، فَقُلْتُ لِسَمَائِي: كُونِي طَبَقًا مِنْ نُحَاسٍ، وَلَاَرْضِي: كُونِي طَبَقًا

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِينَ.

(١) فِي (ع): «بِقَوْلِهِ».

(٤) فِي (ع): «أَزْعَجْتُ».

(٣) فِي (ع): «بَاتُوا أَظْهَرُوا».

(٦) فِي (ع): «وَأَنْبَتْتُ».

(٥) سَقَطَ مِنْ (ع).

مِنْ حَدِيدٍ، فَلَا سَمَائِي تُمَطَّرُ، وَلَا أَرْضِي تُنْبِتُ شَيْئًا فِيهِ نَفْعٌ، أَمْطِرْ فِي وَقْتِ
الْحَصَادِ، وَلَا أَمْطِرْ فِي وَقْتِ الزَّرْعِ رَحْمَةً لِلْبَهَائِمِ، فَإِنْ أَنْبَتَتْ أَرْضِي لَهُمْ شَيْئًا
مَسَلْتُ عَلَيْهِ آفَةً، فَإِنْ خَلَصَ إِلَى بُيُوتِهِمْ مِنْهُ شَيْءٌ نَزَعْتُ الْبَرَكَةَ مِنْهُ، فَإِنْ دَعَوْنِي
لَمْ أَجِبْهُمْ، وَإِنْ سَأَلُونِي لَمْ أُعْطِهِمْ، وَإِنْ بَكَوْا إِلَيَّ لَمْ أَرْحَمْهُمْ؛ لِأَنِّي لَا أَكْرِمُ إِلَّا
مَنْ أَكْرَمَنِي، وَأَهْمِي مَنْ هَانَ عَلَيْهِ أَمْرِي. فَمَنْ عَصَانِي فَلَا يُنْكَرُ^(١) يَقْمِتِي، وَمَنْ
ارْتَكَبَ مَحَارِمِي فَلَا يَأْمَنُ عُقُوبَتِي^(٢)، وَمَنْ اسْتَهَانَ بِطَاعَتِي فَلَا يَأْمَنُ سَطَوَتِي.
فَقَالَ: يَا رَبِّ، أَنْتَ حَكَمٌ عَدْلٌ لَا تَجُورُ، فَكَيْفَ تُعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذُنُوبِ الْخَاصَّةِ؟
فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: إِنِّي لَا أَعَذِّبُ الْعَامَّةَ بِذُنُوبِ الْخَاصَّةِ حَتَّى يَظْهَرَ الْمُنْكَرُ جِهَارًا،
وَلَا يُؤْمَرُ بِمَعْرُوفٍ، وَلَا يُنْهَى عَنِ مُنْكَرٍ، فَأَعَذِّبُ الْخَاصَّةَ^(٣) بِالذُّنُوبِ، وَأَعْجَلُ
بِهِمْ إِلَى^(٤) النَّارِ، وَأَعَاقِبُ (الْعَامَّةَ حِينَ)^(٥) تَرَكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ
الْمُنْكَرِ وَهُمْ يَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَاقَبْتُ الْعَامَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ،
وَجَعَلْتُ مَا عَجَّلْتُ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَةِ فِي الدُّنْيَا رَاحَةً لِأَبْدَانِهِمْ، وَأَمَّا الْأَصَاغُرُ
فَأَقْبَضُهُمْ بِأَجَالِهِمْ قَبْضًا لَطِيفًا إِلَى رَحْمَتِي^(٦).

اللَّهُمَّ لَا تُهْلِكْنَا جَهْرَةً، وَلَا تَسْتَدْرِجْنَا غِرَةً، وَلَا تَدْعَنَا فِي غَمْرَةِ الذُّنُوبِ،
وَاجْعَلْنَا مِنَ التَّائِبِينَ الْمُقْبُولِينَ، وَاصْرِفْ عَنَّا بَلَاءَكَ، وَأَصْلِحْ لَنَا حَالَنَا^(٧)، وَمُنَّ
عَلَيْنَا بِتَوْبَةٍ صَافِيَةٍ، لِلذُّنُوبِ مَاحِيَةً، بِجُودِكَ وَكَرَمِكَ وَفَضْلِكَ وَسِعَةِ حِلْمِكَ.

(١) فِي (ع): «يَذْكُرُ». (٢) فِي (ع): «مَنْ عُقُوبَتِي».

(٣) فِي (ع): «الْعَامَّةُ». (٤) زِيَادَةٌ مِنْ (ع).

(٥) فِي (ع): «الْخَاصَّةُ حَيْثُ».

(٦) رَوَى الْجُزْءُ الْآخِرُ مِنْ هَذَا الْخَبَرِ ابْنُ عَسَاكِرٍ فِي «تَارِيخِ دِمَشْقَ» (٤٠: ٣٣٦) مِنْ قَوْلِ
مُجَاهِدٍ رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٧) بَيَاضٌ فِي (و).

فصل [في هدايا الميلاد والعصرة]

قال^(١) أبو الخيرنا عبثوس بن محمد^(٢)، قال: حلثنا محمد بن عيسى^(٣) قال:
أخبرنا أحمد^(٤) بن خالد بن يزيد^(٥) قال: ابن^(٦) واضح قال: قلت لـ إسحق بن
علي بن عيسى إذا كان العيد التصاري قتلوا بالنسيان: أتجثونوا يضي وهذا
ونضيقكم إلى أهليكم؟

قال: أي شيء هذا؟

قال: قلت: مثل الميلاد والعصرة ويوم النحر يطبقونهم ويخنفون الهدايا
منهم.

قال: هذا ليس للرجال لا يحسن خلقه، ويقتله غيره إن قدر على ذلك.

(١) في (ع): لقيه، أي قال لروى عن عبثوس، والمقصود هو: أي محمد بن أحمد الطعفي
كما تقدم في المطلب الثاني.

(٢) هو أبو الفرج عبثوس بن محمد الطعفي (ت ٣٩٠هـ). تاريخ علماء الأندلس لابن
القاضي (١: ٣٨٣).

(٣) له تلمذ من هو، وله أحد أحاديثي عنه عبثوس بن محمد وروى هو عن أحمد بن محمد
سوى أبي الطوف عبد الرحمن بن عيسى الطعفي، يعرف بين مدرج (ت ٣٣٣هـ)،
وسمي فيقال المؤلف عنه في قلعه تعرفه، وله علم.

(٤) في الأصلين: محمد والحداب ما أثبت.

(٥) هو أبو عبد أحمد بن خالد بن يزيد القزحي، يعرف بين الحداب مع من محمد بن
واضح (ت ٣٣٢هـ). تاريخ علماء الأندلس لابن القاضي (١: ٤٢).

قال أحمد بن خالد: قلت: فما هذا الذي يصنع الناس أول ليلة يئير؟
قال^(١): بدعة وضلالة.

قال^(٢): أفأرُدُّ ما أهدي إليَّ من ذلك؟
فقال: حسنٌ ذلك.

قال: قلتُ له: حسنٌ؟

قال: نعم حسنٌ، لو استشرتني في أن تتصدق بمئة دينار، ثم قال: أو بمئة ألف دينار، أو ترُدُّ ما أهدي إليك، لأشرت عليك بأن^(٣) ترُدُّ ما أهدي إليك، وتُمسك المئة ألف دينار.

قلتُ له: وينفعني ذلك كله؟

قال: نعم^(٤).

وروى محمد بن خالد^(٥) عن ابن^(٦) نافع^(٧) أنه قال: لا تجوز الهدايا في الميلاد من نصراني ولا من مسلم، ولا إجابة الدعوة، ولا الاستعداد له، ويُجعل ذلك كسائر الأيام.
وكذلك قال مالك وأصحابه.

(١) يعني: ابن وضاح.

(٢) في (و): «أن».

(٤) لم أجده فيما بحث.

(٥) هو أبو عبد الله محمد بن خالد بن مرتنيل القرطبي، يُعرف بالأشج، روى عن ابن نافع وابن وهب، مات سنة ٢٢٠هـ أو ٢٢٤هـ. «ترتيب المدارك» (٤: ١١٧، ١١٨).

(٦) سقط من الأصلين.

(٧) هو عند الإطلاق أبو محمد عبد الله بن نافع الصائغ، مات سنة ١٨٦هـ. «التسمية والحكايات» للغمري (ص ٦٩).

قال^(١): وأخبرني ابن وهب^(٢)، قال: سمعت مالكا يقول: ولا يجوز الاستعداد للعنصرة^(٣) ولا في شيء منها، وكل ذلك مكروه ومنهي عنه، وكذلك الاستعداد^(٤) لليلة التي تسمى: ليلة الحجوز^(٥).

قد أخبرنا^(٦) خالد بن سليمان^(٧) عن أبي حازم^(٨)، عن رجال من أهل العلم؛ أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه يوماً: «إنكم ستنزّلون بين ظهرائي عجم، فمن تشبه بهم في نيروزهم ومهرجانيهم، حشره الله معهم»^(٩).

قال^(١٠): وسألت عن ذلك ابن كنانة^(١١)، وأخبرته عن حالنا ببليدة الأندلس؟ فأنكره وأعابه^(١٢)، وقال: الذي ثبت عندنا في ذلك الكراهية، وكذلك سمعت مالكا يقول. قال: من تشبه بقوم فهو^(١٣) منهم^(١٤).

(١) يعني: محمد بن خالد بن مرتيل.

(٢) هو أبو محمد عبد الله بن وهب القرشي المصري، مات سنة ١٩٧ هـ. «التسمية والحكايات» (ص ٧٠).

(٣) في (ع): «في العنصرة للعنصرة». (٤) سقط من (ع).

(٥) في (و): «العجوز». ويقال أيضاً: ليلة الحاجوز. انظر: «المعيار المعرب» (١١: ١٥٤، ٢٩٣).

(٦) الراوي عن خالد بن سليمان محمد بن خالد المتقدم.

(٧) أبو معاذ خالد بن سليمان البلخي، مات سنة ١٩٩ هـ. «تاريخ الإسلام» (١٣: ١٦٧)، وله رواية عن الإمام مالك.

(٨) المشهور بهذه الكنية: سلمة بن دينار الأعرج، روى عنه مالك، غير أن خالد بن سليمان لم يرو عنه.

(٩) سبق تخريجه، وأني لم أجده مرفوعاً. (١٠) يعني: محمد بن خالد.

(١١) هو أبو عمرو عثمان بن عيسى بن كنانة، مات سنة ١٨٥ هـ. «التسمية والحكايات» (ص ٦٨).

(١٢) كذا، وقد سبق مثله. (١٣) في الأصول: «فهم»، والمثبت من (و).

(١٤) «المعيار المعرب» (١١: ١٥١)، وفيه: أن السائل يحيى بن يحيى الليثي.

قَالَ^(١): وَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ يَحْيَى وَعَبْدَ الْمَلِكِ^(٢)؟

فَقَالَا مِثْلَ ذَلِكَ فِي النَّيْرُوزِ وَالْعَنْصَرَةِ وَالْمَهْرَجَانِ فِي الْمِيلَادِ.

وَأَمَّا بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِقَطْعِ^(٣) شَكْلِهِمْ وَسِيرِهِمْ، وَلِمَحْوِ^(٤) الْبَاطِلِ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ [المدثر: ٥].

فَالْهَجْرُ لِجَمِيعِ الْبَاطِلِ وَقَطْعُهُ كُلُّهُ مِنَ الدِّينِ، وَمِنَ الْوَاجِبِ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُضْلِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٠].

فَالْتِمَسْكَ بِالْكِتَابِ يَأْتِي عَلَى جَمِيعِ الطَّاعَاتِ.

فَهَذَا الَّذِي سَمِعْتُ^(٥) مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ.

وَقَدْ قِيلَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عِيسَى^(٦): مَا قَوْلُكَ فِي قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْخَيْرِ يَجْتَنِبُونَ مَا يَفْعَلُ النَّاسُ مِنَ الْإِسْتِعْدَادِ لِلَّيْلَةِ النَّيْرُوزِ، فَإِذَا كَانَ بَعْدَهَا بَلِيلَةً أَوْ لَيْلَتَيْنِ يَجْتَمِعُ مَعَ بَنِيهِ وَأَقَارِبِهِ وَأَصْهَارِهِ بِالْأَطْعَمَةِ وَالْفَوَاكِهِ، يُرِيدُ بِذَلِكَ مُخَالَفَةَ النَّاسِ، وَلَمَّا جَاءَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْكَرَاهَةِ وَالْبِدْعَةِ؟ فَقَالَ: كُلُّ ذَلِكَ مَكْرُوهٌ.

فَكُلُّ مَا ذُكِرَ مِنْ تَهْيِئَةِ النَّاسِ لِلنَّيْرِ وَالْمِيلَادِ وَالْعَنْصَرَةِ وَشَبِّهِ ذَلِكَ، فَهُوَ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ لَعَنَهُ اللَّهُ، يُحَرِّضُ بِمَكْرِهِ وَخَدَائِعِهِ بَنِي^(٧) آدَمَ عَلَى الْبَدْعِ،

(١) يعني: محمد بن وضاح المتقدم.

(٢) المقصود: يحيى بن يحيى الليثي، وعبد الملك بن حبيب القرطبي.

(٣) في (ع): «ليقطع».

(٤) في (ع): «يمحق».

(٥) لعل قائل هذا محمد بن وضاح المتقدم.

(٦) تقدمت ترجمته قريباً.

(٧) في (و): «لبنّي».

وَيَحْمِلُهُمْ بِعِدَاوَتِهِ عَلَى الضَّلَالِ، وَمَا ابْتَدَعَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا ازْدَادَتْ مُضِيًّا، وَمَا تَرَكَتْ إِلَّا ازْدَادَتْ هَدْيًا.

قِيلَ لَهُ: فَلَيْلَةُ الْمِيلَادِ لِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَتْرَاهَا أَيْضًا بِدْعَةٌ؛ لِأَنَّ جَمَاعَةً مِنَ النَّاسِ يَرْغُبُونَ فِيهَا، وَيُعَظِّمُونَهَا، وَتَرَاهُمْ يَسْأَلُونَ عَنْهَا؟

فَقَالَ: هُوَ فِعْلُ الْعَجَمِ، أَوْلَيْسَ أَوَّلَى بِمِيلَادِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَتَعْظِيمِ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ وَمِيلَادُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِيلَادُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَشَدُّ مِنْ يَتِيرَ.

أَخْبَرَنَا مُحَمَّدٌ^(١)، قَالَ: أَخْبَرَنَا أَبُو عَمْرٍو^(٢) عَنْ أَبِيهِ، عَنْ ابْنِ زَيْدٍ^(٣)، عَنْ ابْنِ وَضَّاحٍ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا زَكْرِيَاءَ يَحْيَى بْنَ سُلَيْمَانَ^(٤) عَنْ إِمَامٍ يَقْبَلُ الْهَدَايَا مِنَ الصَّبِيَّانِ فِي أَعْيَادِ النَّصَارَى وَتَعْظِيمِهَا؟

قَالَ: مَا أَرَاهُ مُسْلِمًا.

قُلْتُ لَهُ: أَيُصَلِّي خَلْفَهُ؟

قَالَ: أَنَا أَقُولُ لَكَ: مَا أَرَاهُ مُسْلِمًا، وَأَنْتَ تَقُولُ: أَيُصَلِّي خَلْفَهُ؟! ارْجِعْ.

وَقَالَ بُهْلُولُ بْنُ رَاشِدٍ الْعَدَوِيُّ^(٥): دُعِيَ حَذِيفَةُ الْيَمَانِيُّ^(٦) إِلَى طَعَامٍ، فَلَمَّا

(١) لم أتبين من هو. (٢) لم أتبين من هو ولا من أبوه.

(٣) لعله ثابت بن زيد بن يحيى القرطبي، سمع من ابن وضاح، مات سنة ٣١٨ هـ. «تاريخ علماء الأندلس» (١: ١١٩، ١٢٠).

(٤) كذا كني هنا، وهو كما في «ترتيب المدارك» (٤: ١٨٣) وغيره: أبو سعيد يحيى بن سليمان الجعفي، سمع من ابن وهب وغيره، وروى عنه البخاري وابن وضاح، مات سنة ٢٣٩ هـ.

(٥) في (و): «العدولي»، وهو أبو عمرو البهلُول بن راشد الحجري الرعيني، من أهل القيروان، مات سنة ١٨٣ هـ. «رياض النفوس» (١: ٢٠٠، ٢١٤).

(٦) هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما.

دَخَلَ مِنْ بَابِ الْبَيْتِ رَأَى شَيْئًا مِنْ زِيِّ الْعَجَمِ، فَرَجَعَ وَهُوَ يَقُولُ: يَحْذَرُ الرَّجُلُ أَنْ يَكُونَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ، فَقِيلَ لَهُ: فَكَيْفَ ذَلِكَ؟ قَالَ: مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ^(١).

قَالَ ابْنُ وَضَّاحٍ: وَسَأَلْتُ ابْنَ سَحْنُونَ^(٢) عَنْهُ؟ وَقَالَ^(٣): هُوَ رَجُلٌ سَوَاءٌ لَا يَصْلُحُ لِشَيْءٍ.

وَقَالَ عَوْنُ بْنُ يَوْسُفَ^(٤) كَذَلِكَ: هُوَ رَجُلٌ سَوَاءٌ، وَلَا يُصَلِّيَ خَلْفَهُ. فَعَلَيْكَ يَا أَخِي بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَإِيَّاكَ وَالْبَدْعَ الْمُضِلَّةَ! فَإِنَّهَا تَهْدِمُ الْإِسْلَامَ، عَلَيْكَ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فُسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ مِائَةِ شَهِيدٍ»^(٥). وَعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: كَيْفَ بِكُمْ إِذَا شَمِلَتْكُمْ فِتْنَةٌ يَهْرُمُ فِيهَا الْكَبِيرُ، وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ، يَجْرِي عَلَيْهَا النَّاسُ، يَتَخَذُونَهَا سُنَّةً، فَإِذَا غُيِّرَتْ^(٦) قِيلَ: هَذَا مُنْكَرٌ؟

(١) لم أجده بهذا السياق، وقد عناه ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» إلى رواية الخلال، عن محمد بن سيرين، عن حذيفة، وشق منه عناه في «الدر المثور» (٣: ١٠٠) إلى تخريج عبد بن حميد.

(٢) كذا في الأصلين، والمعروف أن ابن وضاح روى عن سحنون لا عن ابنه؛ إذ يعد من أقرانه، غير أنه لا يمحّل ذلك.

(٣) كذا، ولعله: فقال.

(٤) هو أبو محمد عون بن يوسف الخزاعي، مات سنة ٢٣٩هـ وقيل غير ذلك. «التسمية والحكايات» (ص ٧٥).

(٥) رواه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ابن عدي في «الكامل» (٣: ١٧٤)، وانظر: «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» للألباني، رقم: ٣٢٦.

(٦) سقط من الأصلين.

قال قائلٌ: متى ذلك يا أبا^(١) عبد الرحمن؟

قال: إذا قلتَ أَمَنَّاؤُكُمْ، وكَثُرَت أَمَرَاؤُكُمْ، وَقَلَّتْ فُقَهَاؤُكُمْ، وكَثُرَت قُرَاؤُكُمْ، وَالتَّمَسَّتِ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ، وَتَفَقَّهَ لِغَيْرِ الدِّينِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَكُونُ عَلَيْكُمْ أَمْرَاءُ إِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ أَضَلُّوكُمْ، وَإِنْ عَصَيْتُمُوهُمْ قَتَلُوكُمْ.

قال: فما تأمرنا يا أبا عبد الرحمن؟

قال: كُنْ (جَلَسًا مِنْ أَحْلَاسٍ)^(٢) يَبْتَكَ، أَوْ النَّارُ^(٣).

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، أَكْرِمُوا أَصْحَابِي الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، وَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، وَأَخْبِرُوهُمْ بِأَنْ خَيْرَ النَّاسِ أَصْحَابِي، هُمُ الَّذِينَ بُعِثْتُ فِيهِمْ، وَصَدَّقُونِي، وَأَمَّنُوا بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَاتَّبِعُوهُ وَعَمِلُوا بِهِ، ثُمَّ خَيْرُ النَّاسِ مِنْ^(٤) بَعْدِهِمُ الْقَرْنُ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ يُؤْمِنُونَ بِي، وَيُضَيِّعُونَ الصَّلَوَاتِ، وَيَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ، وَيَدْعُونَ مَا أَمَرْتُهُمْ بِهِ، وَيَأْتُونَ مَا نَهَيْتُهُمْ عَنْهُ، وَيُفْسِدُونَ الدِّينَ بِأَهْوِيَّتِهِمْ، وَيُرَاوُونَ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، يَحْلِفُونَ وَلَا يُسْتَحْلَفُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيُؤْتَمَنُونَ وَيَخُونُونَ، وَيَتَحَدَّثُونَ وَلَا يُصَدَّقُونَ، وَيَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ، يُرْفَعُ مِنْهُمْ الْعِلْمُ وَالْحِلْمُ، وَيُظْهَرُ فِيهِمُ الْجَهْلُ وَالْفَحْشُ، وَيُرْفَعُ مِنْهُمْ الْحَيَاءُ وَالْأَمَانَةُ، وَيَفْشُو فِيهِمُ الْكَذِبُ، وَالْخِيَانَةُ، وَعُقُوقُ الْوَالِدِينَ، وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ، وَطُولُ الْأَمَلِ، وَالْحِرْصُ عَلَى الدُّنْيَا، وَالشُّحُّ، وَالْحَسَدُ، وَالْبَغْيُ، وَسُوءُ الْخُلُقِ، فَإِنْ سَرَّكُمْ

(٢) في (و) و(ع): «جَلَسًا مِنْ أَجْلَاسٍ».

(١) سقط من الأصلين.

(٣) لم أجده بهذا التمام، وروى أوله من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه موقوفاً عليه: عبد الرزاق في «المصنف»، رقم: ٢٠٧٤٢، وباقي الأثر مروي مثله في أحاديث أخرى مرفوعة.

(٤) زيادة من (ع).

بُحْبُوحَةُ الْجَنَّةِ وَنَعِيمُهَا فَالزُّمُوا السَّنَةَ وَالْجَمَاعَةَ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٍ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَجْمَعُ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الضَّلَالَةِ، فَمَنْ خَلَعَ الطَّاعَةَ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَضَيَّعَ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى، وَخَالَفَ حُكْمَهُ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضَبَانٌ»^(١).

وَقَالَ ﷺ: «لِكُلِّ شَيْءٍ آفَةٌ، وَإِنَّ آفَةَ هَذَا الدِّينِ هَذِهِ الْأَهْوَاءُ»^(٢).

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: إِنَّمَا سُمِيتِ الْأَهْوَاءُ: أَهْوَاءً؛ لِأَنَّهَا تَهْوِي بِصَاحِبِهَا فِي النَّارِ^(٣).

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: لَا أُدْرِي أَيُّ النِّعَمَتَيْنِ أَعْظَمُ عَلَيَّ؟ إِذْ هَدَانِي اللَّهُ لِلْإِسْلَامِ، وَإِذْ عَافَانِي مِنْ هَذِهِ الْأَهْوَاءِ^(٤).

وَاعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ رَأْسَ الضَّلَالَةِ وَالْإِمْتِحَانِ فِي هَذِهِ الْأَهْوَاءِ الْمَضِلَّةِ وَالْبَدْعِ الْمَهْلِكَةِ فِي بَنِي آدَمَ قَدِيمًا وَحَدِيثًا^(٥)، إِنَّمَا هُوَ إِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللَّهُ.



(١) لم أجده بهذا التمام، وفقرات منه مروية في أحاديث أخرى.

(٢) رواه من حديث كرز بن وبرة الحارثي مرسلاً أو معضلاً: قوام السنة الأصبهاني في «الحجة في بيان المحجة»، رقم: ٣٢٨ (١: ٣٢٩).

(٣) رواه عنه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤: ٣٢٠).

(٤) رواه عنه الدارمي في «المسند»، رقم: ٣١٧ (١: ٣٤٤).

(٥) في (ع): «حادثاً».

فَصْلٌ

يذكر فيه أهل الأهواء، والأعداء للدين،
وغير ذلك مما لحق بهذا الفصل

اعلم أنَّ ذلك على ^(١) ثلاثة أقسام:

قسم ^(٢) في عالم المحبين ^(٣) ومقام الإسلام، وقسم في عالم الغيب ومقام
الإيمان، وقسم في مقام الإحسان.

فأما القسم الأول: في مقام الإسلام، فإنَّ تبغض كلَّ كافر بالله ^(٤) في مشارق
الأرض ومغاربها، والعصاة والعتاة، وتبغض أفعالهم، وهذا يحتاج إلى تفصيل
يأتي من بعد إن شاء الله تعالى.

وأما القسم الثاني: في مقام الإيمان، فإنَّ تبغض كلَّ كافر في دار البرزخ
من الفراعنة ^(٥) والطغاة، وتبغض إبليس وجنوده الذين هم في عالم الغيب،
وتبغض أفعالهم.

والقسم الثالث: في مقام الإحسان، فإنَّ تنظر إلى بغض الله تعالى لهم في
الأزل، وغضبه عليهم: لعنته إياهم وإبعادهم من قربه ومحلِّ كرامته، فتبغضهم
لذلك موافقة لأجل عصيانهم له، لا لعرض ولا لعرض.

(٢) سقط من (ع).

(٤) سقط من (ع).

(١) في (ع): «في».

(٣) في (ع): «المحبيين».

(٥) في (ع): «الفراعنة».

فإذا فهمت هذا فاعلم أن هذا الفصل يَنْتَظِمُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: مَبْغُوضٌ وَهُوَ العبد، وَبُغْضٌ وَهُوَ حاله، وَأَصْنَافُهُمْ كَثِيرَةٌ، وَأَنْوَاعُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ.

فَأَوَّلُ الْأَصْنَافِ وَأَوَّلَاهُمْ بِالْبُغْضِ وَالْعَدَاوَةِ إِبْلِيسُ وَجُنُودُهُ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَهُوَ الَّذِي عَادَى أَبَانَا آدَمَ، وَعَادَى بَنِيهِ، وَأَخْرَجَهُمْ^(١) مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَبَى لَهُمُ الْإِسْلَامَ وَالْإِيمَانَ وَالطَّاعَاتِ وَالْأَعْمَالَ الصَّالِحَاتِ، وَأَوْقَعَهُمْ فِي الْبَلِيَّاتِ وَالْهَلَكَةِ الْأَبَدِيَّاتِ، وَبَارَزَ اللَّهَ وَخَاصَمَهُ بِعَدَاوَتِنَا، فَقَالَ بَعْدَ مُخَاصَمَتِهِ لِرَبِّهِ: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَأَنبِتَنَّهُمْ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧] الآية.

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْنَا^(٢) عَدَاوَتَهُ، وَأَمَرَنَا بِهَا، فَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦].

وَلَوْ لَا جَهْلُ بَنِي آدَمَ بِعَدَاوَتِهِ مَا أَطَاعَهُ أَحَدٌ وَلَا تَوَبَّعَ، وَبَقِيَ^(٣) الْعَدُوُّ فِي نَارِ الْحَسَدِ يَتَلَطَّى حَتَّى يُنْقَلَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَى نَارٍ تَلْظَى.

فَإِنَّ الْبُغْضَ لِلْعَدُوِّ وَإِبْعَادَهُ وَنَفْيَهُ عَنِ مَحَلِّ الْقُرْبِ مِنْ بُغْضِهِ، وَمَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا لَا يُحِبُّ أَنْ يَرَاهُ وَلَا يَسْمَعَ حَدِيثَهُ، وَلَا يَتَهَنَّأَ عَيْشُهُ حَتَّى يَحْتَجِبَ عَنْهُ.

هَذِهِ صُورَةُ الْبُغْضِ وَالْعَدَاوَةِ الْكُلِّيَّةِ، لَكِنْ تَحَوَّلَ عَلَيْنَا فِي صُورَةِ الْحُبِّ بِحِيلِهِ وَخِدَاعِهِ، فَأَنَسَتْ النُّفُوسُ مُجَالَسَتَهُ، وَانْشَرَحَتْ لِاسْتِمَاعِ وَسَاوِسِهِ؛ لِجَهْلِهَا بِالْعَدُوِّ وَالصَّدِيقِ.

وَكَانَ مَا كَانَ مِمَّا قَضَى اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عَدُوِّ اللَّهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَوْجَدْ مَعْصِيَةً فِي

(٢) زيادة من (ع).

(٤) في (ع): «وبقي».

(١) في (ع): «وأخرجه».

(٣) في (ع): «ابن».

العالم إلا على يد شيطان، يُوسوس ويأمر بها، فإن عَدِمَ الْقَلْبُ بُغْضَ الْمَوْسُوسِ^(١) والنفور عنه والإبعاد عنه ثور^(٢) عنده ناصحاً مُحِبّاً.

وبهذه الحيلة دَخَلَ على أبينا آدم في الجنة، لَكُنْه عليه السلام لَمْ تَكُنْ لَهُ عَوْدَةٌ أَبَداً، ولم يُلْدَغْ مِنْ جُحْرِ مَرَّتَيْنِ؛ لَأَنَّهُ مَيَّزَهُ غَايَةَ التَّمْيِيزِ، فَجَعَلَهُ عَدُوًّا حَقًّا، وَأَبْغَضَهُ بُغْضًا صَادِقًا لِنُفُوزِ بَصَرِهِ فِي الْمُسْكَلاتِ، وَتَمْيِيزِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِالْعَدُوِّ مِنَ الصَّدِيقِ.

ولذلك وَصَفَ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٍ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وهذا يَسْتَدْعِي معرفة الخواطر التي هي سِهَامُ الْعَدُوِّ، وقد تقدم ذِكْرُهَا^(٣).
وأما الصنف الثاني مِنَ الْمَبْغُوضِينَ: فَهُمْ إِخْوَانُ الشَّيَاطِينِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكُفَّارِ، النَّاصِبِينَ بِالْعَدَاوَةِ لِلْأَنْبِيَاءِ فِي جَمِيعِ الْأَعْصَارِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ، وَاللَّهُ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ، وَمِنْهُمْ طُغَاةٌ^(٤) وَفِرَاعِنَةٌ، وَكِبَارٌ وَصِغَارٌ، فَتَخَصُّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ مِنَ الْبُغْضِ بِقَدْرِ فِرَاعَتِهِ وَعَدَاوَتِهِ لِلَّهِ تَعَالَى وَرُسُلِهِ عُمُومًا وَخُصُوصًا.

وَإِنْ كَانَ الْكُلُّ أَعْدَاءً، لَكِنْ لَيْسَ فِرْعَوْنُ وَعَاقِرُ النَّاقَةِ وَنَمْرُودُ وَأَبُو جَهْلٍ وَمَنْ قَارَبَهُمْ كَغَيْرِهِمْ مِنْ مَسَاكِينِ^(٥) الْكُفَّارِ وَمَنْ لَا ذِكْرَ لَهُ.

وَبُغْضُ الْكُلِّ عَلَى الْعُمُومِ يَجْزِي، وَذَلِكَ كُلُّهُ عَمَلٌ صَالِحٌ، يُوجِزُ الْعَبْدَ عَلَيْهِ.

(١) فِي (ع): «الْوَسْوَاس».

(٢) كَذَا فِي (ع)، وَفِي (و) كَلِمَةٌ غَيْرُ وَاضِحَةٍ كَثِيرًا تَشْبَهُ: «تُور». وَلَعَلَّ الصَّوَابَ مَا أَثَبْتُ، يُقَالُ: «تُورُ فُلَانٌ عَلَيْهِمْ شَرًّا: إِذَا هَيَّجَهُ وَأَظْهَرَهُ». «لِسَانُ الْعَرَبِ»، مَادَّةُ: تُور (٤: ١٠٨).

(٤) فِي (ع): «مَنْ».

(٣) فِي (ع): «ذَكَرَ هَذَا».

(٥) فِي (ع): «مَسَاكِين».

وفي تَذَكُّرِ الْعَبْدِ لِلْأَعْدَاءِ الْكَفَّارِ عِلْمٌ غَرِيبٌ، وَمُشَاهَدَتُهُ إِيَّاهُمْ [...] ^(١) لِمَنْ وَفَّقَ لَهُ، بِأَنَّهُمْ يَقُومُونَ مَقَامَ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ فِي الْهَدَايَةِ.

فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ سَمَّاهُمْ: أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ؛ لِأَنَّهُمْ أُمَّةٌ مَنْصُوبُونَ لِلْإِقْتِدَاءِ فِي الشَّرِّ كَالْأَنْبِيَاءِ وَالْمَلَائِكَةِ فِي الطَّرَفِ الثَّانِي مِنَ الْخَيْرِ.

فَالْمُوقَفُ إِذَا سَمِعَ ذِكْرَهُمْ، وَشَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ، وَتَذَكَّرَ أَخْبَارَهُمْ، [...] ^(٢) وما يَدْعُونَ إِلَيْهِ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ ^(٣) مِنْ بُغْضِهِمْ، وَهَرَبَ بِقَلْبِهِ مِنْ طَرِيقَتِهِمْ ^(٤)، فَكَانُوا لَهُ أُمَّةٌ فِي الْخَيْرِ، فِي مُشَاهَدَتِهِمْ ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ؛ لِأَنَّ بِالضَّدِّ تَتَّبَعُ الْأَشْيَاءَ.

وَالْعَارِفُ لَا يُوجِّهُ شَيْءٌ، بَلْ يَرَى سُورَةَ فِي كُلِّ شَيْءٍ، فَصَارَتِ الْعِدَاوَةُ وَالْبُغْضُ عِنْدَهُ سُورًا وَفَرَحًا، فَافْهَمَ.

وَأَمَّا الصَّنْفُ الثَّالِثُ مِنَ الْمُبْغُوضِينَ: فَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ وَالْبَدْعِ الْمَخَالِفِينَ لِأَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْعَقَائِدِ وَالْأَعْمَالِ، وَأَصْنَافُهُمْ أَرْبَعَةٌ، كُلُّ قِسْمٍ يَنْقَسِمُ عَلَى ثَمَانِيَةِ عَشَرَ فِرْقًا، فَكَمُلَ عَدْدُهُمْ فِي اثْنَيْنِ ^(٥) وَسَبْعِينَ فِرْقَةً كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ.

الصَّنْفُ الْوَاحِدُ: الْخَوَارِجُ، وَرَأْسُهُمُ الَّذِي قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: اْعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ؛ فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَيْسَ قِرَاءَتُهُمْ إِلَى قِرَاءَتِهِمْ بِشَيْءٍ» ^(٦) ^(٧).

(١) بياض في (و) بمقدار كلمة.

(٢) بياض بمقدار كلمة في (و)، وفي (ع) نص عليه بكتابة: «بياض».

(٣) سقط من (ع).

(٤) في (ع): «طريقهم».

(٥) في (و): «اثنان».

(٦) في (ع): «شيء».

(٧) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

وقال فيهم: «يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَةِ»^(١).

والمروق: هُوَ الخروج، وَهُمْ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَسُمُّوا بِالْحَرُورِيَّةِ، فَأَصْنَافُهُمْ كَثِيرَةٌ لَا تَنْقَطِعُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الصَّحِيحِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «يَأْتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ حَدَثُهُ^(٢) الْأَسْنَانُ، سَفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ عِنْدِ^(٣) خَيْرِ الْبَرِيَّةِ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيْمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ؛ فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ^(٤) قَتَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٥).

وقال في حديث: «لَئِنْ أَدْرَكْتَهُمْ لَأَقْتُلَنَّاهُمْ قَتْلَ عَادٍ»^(٦).

فَانْظُرْ مَا أَعْظَمَ بُغْضَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ!

وَمَذَاهِبُهُمْ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْهُمْ مَنْ يُكْفِّرُ النَّاسَ بِالذَّنُوبِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَلِّلُ الْمَحْرَمَاتِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُحَرِّمُ الْمُحَلَّلَاتِ.

وَأَشْيَاءُ أُخَرُ^(٧) تَبْلُغُ إِلَى ثَمَانِ عَشَرَ^(٨) فِرْقَةً كَمَا قَدَّمْنَا.

وَالصَّنْفُ الثَّانِي: هُمُ الْمَعْتَزِلَةُ، وَهُمْ أَصْنَافُ الْقَدَرِيَّةِ.

وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِيهِمْ فِي رِوَايَةِ ابْنِ عُمر: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ،

(١) هو من تمام الحديث السابق. (٢) كذا، ولفظ الحديث: «أحداث».

(٣) كذا، ولفظ الحديث: «قول خير البرية». (٤) في الأصل: «من».

(٥) متفق عليه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) هو من تمام حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه السابق.

(٧) في (ع): «أخرى». (٨) كذا في الأصل.

إِنْ مَرَضُوا فَلَا تُعْرَضُوا لَهُمْ، وَإِنْ مَاتُوا فَلَا تُشْهَدُ لَهُمْ»^(١).
 فانظر صورة هذا البغض الذي أمر به ﷺ، ما أعظمها
 ومذاهبهم أيضًا مختلفة تبلغ إلى ثمانية عشر^(٢) فرقة.
 والصنف الثالث: المرجئة الذين يقولون: الإيمان قولٌ بلا عمل.
 وأصنافهم مختلفة أيضًا، تبلغ إلى ثمانية عشر^(٣) فرقة.
 وقال رسول الله ﷺ: «صنفان من أمتي ليس لهما في الإسلام نصيب:
 القدريّة، والمرجئة»^(٤).
 وبغضهم واجب؛ لأنهم يرون بهتك^(٥) شرائع الإسلام وتضييع حدوده
 كلها، فهم شرُّ الفرق.
 والصنف الرابع: وهم المُبغضون لأصحاب رسول الله ﷺ، والطاعنون
 في الخلفاء.
 وأصنافهم متسعة، تبلغ ثمانية عشر^(٦) فرقة، فمنهم من يُبغضُ الشيخين،
 ومنهم من يُبغضُ عليًّا، ومنهم من يُبغضُ عثمان رضي الله تعالى عنهم أجمعين،
 ومنهم من يُبغضُ جبريل عليه السلام، وأهل الشورى، وينسبون إلى أصحابهم
 ما لا يليق بهم.

(١) رواه أبو داود في «السنن»، كتاب السنة، باب في القدر، رقم: ٤٦٩١.

(٢) كذا في الأصل. (٣) كذا في الأصل.

(٤) رواه من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: الترمذي في «الجامع»، كتاب القدر،

باب ما جاء في القدريّة، رقم: ٢١٤٩، وقال: «هذا حديث حسن غريب».

(٥) كذا في الأصل. (٦) كذا في الأصول.

فَبَغْضُهُمْ وَاجِبٌ، مِنْ أَوْجَبٍ^(١) الْوَاجِبَاتِ كَمَا وَرَدَ فِي الْآثَارِ.

وَصِنْفٌ مِنَ الْمَبْغُوضِينَ بِالْجُرْمِ، مِثْلُ: الظُّلْمَةِ الْبَاغِيَةِ عَلَى الْعِبَادِ، وَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ، وَمِثْلُ: الْعَصَاةِ الْمَجَاهِرِينَ، وَقُطَاعِ الطَّرِيقِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَالْمُهْتَكِكِينَ حُرْمَ الْمُؤْمِنِينَ، وَالْمُسْتَخْفِينَ بِطَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَأَوْلِيَائِهِ، وَالْمُتَطَاوِلِينَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَأَهْلِ عِبَادَةِ اللَّهِ.

فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ تَجِبُ مُحَارَبَتُهُمْ عَلَى مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْفَسَادِ.

وَأَمَّا الصِّنْفُ الْمُعْتَرِفُ الْمُتَوَاضِعُ مِنَ الْعُصَاةِ، فَإِنْ كَانَ عِنْدَهُمْ صَلَاحٌ وَفَسَادٌ، أَحَبُّ مِنْهُمْ الصَّلَاحُ، وَأَبْغَضُ مِنْهُمْ الْفَسَادُ، وَيُدْعَى لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ، وَيُظْهَرُ لَهُمُ الْغِلَظَةُ وَالشَّدَّةُ، وَيُبْطِنُ لَهُمُ الرَّحْمَةُ وَالشَّفَقَةُ فِي مَوَاطِنِ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وَأَمَّا نَفْسُ الْإِنْسَانِ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ الْمَخَالِفَةُ، فَيَجِبُ حَرْبُهَا وَالشَّدَّةُ فِي ذَاتِ اللَّهِ عَلَيْهَا حَتَّى تُقَمَعَ^(٢)، وَأَنْ تَنْظَرَهَا بِعَيْنِ الْمَقْتِ لَهَا، وَأَنْ لَيْسَ فِي الْوُجُودِ أَشْرٌ مِنْهَا وَلَا أَعْدَى لِلْعَبْدِ مِنْهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ تَكُونُ نَفْسُ الْإِنْسَانِ عِنْدَهُ شَرًّا^(٣) مِنَ الْكُفْرَةِ وَجَمِيعِ الشَّيَاطِينِ؟

فَاعْلَمْ عِلْمًا حَقًّا، وَتَيَقَّنْ يَقِينًا صِدْقًا: إِنْ (كَانُوا أَعْدَاءً)^(٤) فِي الْوُجُودِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِمْ إِنَّمَا (أَضَرُّوا عَلَى)^(٥) الْحَقِيقَةِ أَنْفُسَهُمْ، فَالشَّيْطَانُ هُوَ أَهْلَكَ نَفْسَهُ، وَكَذَلِكَ كُلُّ كَافِرٍ وَعَاصٍ بِاسْتِحْسَانِ رَأْيِ نَفْسِهِ.

(٢) فِي (ع): «تَقَعُ».

(١) فِي (ع): «وَاجِبٌ».

(٤) فِي (و): «كَانَ عَدُوًّا».

(٣) فِي (و) وَ(ع): «شَرٌّ».

(٥) فِي (ع): «أَضَرُّوا فِي».

فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَأْخُذُ الْإِنْسَانَ قَهْرًا وَغَلْبَةً فَيَرْمِيهِ فِي الْمَخَالَفَةِ، وَإِنَّمَا يُلْقِي وَحْيًا وَكَلَامًا، فَتُقْبَلُ النَّفْسُ عَلَيْهِ، وَتَسْتَحْسِنُهُ، وَتَقْبَلُهُ، وَتَعْمَلُ عَلَيْهِ، أَوْ بِخَاطِرِهَا الْمَذْمُومِ، فَهِيَ أَضَرَّتْ نَفْسَهَا، وَالشَّيْطَانُ أَضَرَّ نَفْسَهُ بِمَا جَنَى وَوَسَّوَسَ.

وكذلك كلُّ كافرٍ و^(١) عاصٍ في الجور، إِنَّمَا يُهْلِكُ نَفْسَهُ بِنَفْسِهِ.

وَإِذَا كَانَ فِرْعَوْنُ فِي الْهَآوَةِ، فَمَا يَضُرُّكَ كَوْنُهُ فِيهَا إِذَا لَمْ تَعْمَلْ عَمَلَهُ الَّذِي يُدْخِلُ الْهَآوَةَ، فَإِذَا عَمِلْتَ مَا يَضُرُّكَ فِي الْآخِرَةِ، أَوْ يُقِيمُ عَلَيْكَ حَدًّا فِي الدُّنْيَا، وَيُورِثُكَ الْحُزْنَ وَالْعَارَ، فَمَا عَلَيْكَ أَضَرُّ مِنْ نَفْسِكَ.

فَنَفْسُ الْإِنْسَانِ شَرٌّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَضَرُّ بِهِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

فافهم هذا؛ فَإِنَّهُ لَا يَبْقَى إِشْكَالٌ، وَمَعْرِفَةُ النَّفْسِ وَرُؤْيُهَا شَرٌّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وَالشَّوَاهِدُ^(٢) عَلَى النَّفْسِ كَثِيرٌ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ إِبْلِيسَ حِينَ ظَهَرَتِ الْجَنَائِيَةُ فِي الْآخِرَةِ، وَيَتَبَيَّنُ لَكَ الْمَعْنَى: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾

[إبراهيم: ٢٢].

أَي: فَمَا عَمِلْتُ لَكُمْ شَيْئًا، وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ الَّتِي عَمِلْتَ الشَّرَّ. فَلَمْ يُكَذِّبْهُ اللَّهُ فِي ذَلِكَ، وَلَا أَكْذَبَهُ أَحَدٌ.

وكذلك وَرَدَ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ فِي صَحِيحٍ مَا أَخْبَرَ عَنْهُ^(٣)، فَقَالَ: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ تُرَدُّ عَلَيْكُمْ، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ».

(١) فِي (و): «أَوْ». (٢) فِي (ع): «وَالشَّرُّ أَهْدَى».

(٣) ظَاهِرٌ هَذَا: أَنَّ مَا بَعْدَهُ مِنْ كَلَامِ إِبْلِيسَ لَعْنَهُ اللَّهُ، وَلَمْ أَجِدْهُ، بَلْ هُوَ حَدِيثٌ قَدْسِي جَلِيلٌ مَشْهُورٌ مِنْ رَوَايَةِ أَبِي ذَرِّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فصل يذكر فيه أهل الأمراء والأعداء للدين وغير ذلك مما لحق بهذا الفصل

٢٠٧

فَرَفَعَ اللَّائِمَةَ عَنْ إِبْلِيسَ وَغَيْرِهِ بِحَرْفِ النَّفْيِ، وَأَوْجَبَهُ بِالِاسْتِثْنَاءِ لِلنَّفْسِ،
وَأَوْقَفَهُ عَلَيْهَا بِتَرْكِ الرِّضَا عَنْ النَّفْسِ وَمَقْتِهَا أَقْلًا مِنْ كُلِّ نَفْسٍ فِي الْوُجُودِ.

وَأَوْجَبَ عَلَى كُلِّ مَنْ عَرَفَ نَفْسَهُ، وَذَلِكَ مُوجِبٌ لَهَا، وَتَشْكُرُهُ هِيَ عَلَى
ذَلِكَ إِذَا ظَهَرَتْ لَهَا حَقَائِقُ الْأَشْيَاءِ إِمَّا عَاجِلًا وَإِمَّا آجِلًا.

أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِمَعْرِفَتِهَا، وَتَابَ عَلَيْنَا، وَنَجَّانَا مِنْ عَوَاقِبِهَا، وَرَجِمَ
نُفُوسَكُمْ^(١) رَحْمَةً لَا شِقَاءَ مَعَهَا أَبَدًا بِمَنْنِهِ وَفَضْلِهِ.



(١) فِي (و): «وَنُفُوسَكُمْ».

يُذَكِّرُ فِيهِ أَهْلَ الدَّعَاوِي الَّذِينَ تَشَبَّهُوا بِالصُّوفِيَّةِ

(۱) فی (ع): «اخلاق».

الشهوات، فَسَلِمُوا مِنْ مُبَاشَرَةِ الْخَلْقِ وَالتَّبَاعَاتِ، وَهَؤُلَاءِ (رَغِبُوا فِي الشَّهْرَةِ) ^(١) لِلزِّيَادَاتِ، وَسَلَبُوا عُقُولَ ^(٢) الْجُهَالِ بِالاجْتِمَاعَاتِ عَلَى أَكْلِ الْمُتَشَابِهَاتِ، لِيُقَالَ: الشَّيْخُ الَّذِي قَدْ جَاءَ هَاتِ ^(٣).

أُولَئِكَ رَفَضُوا الدُّنْيَا بِطَلْبِ الْآخِرَةِ، وَرَغِبُوا فِي النَّعْمِ الْبَاقِيَاتِ الْوَافِرَاتِ ^(٤)، وَهَؤُلَاءِ نَصَبُوا ^(٥) لِلْعَوَامِّ الْجُهَالِ مَصَائِدَ حَاضِرَةً، بِالتَّنَمُّسِ، وَقَعَدُوا لَهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْآخِرَةِ.

كَانَ الْأَشْيَاخُ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ أَصْحَابَ قَدَمٍ، وَالْمَرِيدُونَ أَرْبَابَ أَلَمٍ، فَذَهَبَ الْقَدَمُ وَالْأَلَمُ.

كَانَ الْمَرِيدُ يَسْأَلُ عَنْ غُصَّةٍ، (وَالشَّيْخُ يَعْرِفُ الْقِصَّةَ، وَالْيَوْمَ: لَا قِصَّةَ وَلَا غُصَّةَ) ^(٦).

كَانَ الزَّهْدُ عِنْدَهُمْ فِي بَوَاطِنِ الْقُلُوبِ، وَالْيَوْمَ صَارَ فِي ظَوَاهِرِ ^(٧) الثِّيَابِ. كَانَ الزَّهْدُ حُرْقَةً ^(٨)، وَهُوَ الْيَوْمَ حِرْفَةً.

قَالَ أَبُو عَلِيٍّ الرُّوْذِبَارِيُّ ^(٩) رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ سُئِلَ عَنِ التَّصَوُّفِ، فَقَالَ: قَدْ بَلَّغْنَا فِي هَذَا الْأَمْرِ حَالٌ مِثْلُ حَدِّ السَّيْفِ، فَإِنْ قُلْنَا كَذَا وَكَذَا فَفِي النَّارِ ^(١٠).

(١) فِي (ع): «غفلوا في الشهوات». (٢) فِي (ع): «عن عند».

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ. (٤) فِي (و): «الوافرة».

(٥) فِي (ع): «صنعوا». (٦) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٧) فِي (ع): «ظاهر». (٨) فِي (ع): «حركة».

(٩) هُوَ أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِمِ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، سَكَنَ مِصْرَ، مَاتَ سَنَةَ ٣٢٢ هـ «طبقات

الصوفية» للسلمي (ص ٢٦٩، ٢٧٠).

(١٠) رَوَاهُ عَنْهُ الْقَشِيرِيُّ فِي «الرسالة» (٢: ٥١٧).

وذلك كله في المقام ورقّة^(١) الحال، وإنما بُني هذا الأمر على ثلاثة أشياء:
أولها: اجتناب المحارم.

والثاني: أداء الفرائض.

الثالث: ترك الدنيا على أهلها.

وهؤلاء إنهم^(٢) غلّطوا في الأصول لِقلة (إحكامهم أصول)^(٣) الشرع،
وضَعفِ صدقهم، وقلة إخلاصهم، وأكل الشبهات.

كما قال الجنيد رحمه الله تعالى: إِنَّمَا مُنِعُوا مِنَ الْوُصُولِ؛ لِتَضْيِيعِ الْأَصُولِ^(٤).
وغلّطوا في الفروع من الآداب، وَلَمْ يَتَأَدَّبُوا بِمَنْ يَرْوِضُهُمْ، وَيُسْقِطُ عَنْهُمْ
حُظُوظَ النَّفْسِ، وَيُجَرِّعُهُمُ الْمَرَارَاتِ، وَيَذُلُّهُمْ عَلَى الْمَنَاهَجِ، (وَيُعَرِّفُهُمْ عِيوبَهَا.
فَمَثَلُهُمْ كَمَثَلِ مَنْ يَدْخُلُ بَيْتًا مُظْلَمًا بِالسَّراجِ، يُرِيدُ أَنْ يَطْلُبَ فِيهِ شَيْئًا، فَمَا
يُفْسِدُ أَكْثَرُ)^(٥) مِمَّا يُصْلِحُ.

ومتى يجد ما يطلب أولئك طلبوا حُسن العاقبة^(٦) بأذهان صادقة ثابتة،
وتركوا أهوية النفس والطبيعة، وتمسكوا بأحكام السنة والشرعة.

فوالأسفي، ذهب أهل التحقيق، وبقيت آهات الطريق، خلت البقاع من الأحباب،
وتبدلت العمارة بالخراب، رحل والله أولئك^(٧) السادة، وبقي قرناء الوسادة.

(١) في (ع): «ورؤية». (٢) كذا في الأصول، ولعل الصواب: «إنما».

(٣) في (ع): «إحكام».

(٤) لم أجده من قول الجنيد رحمه الله، وقد رواه عن ابن أبي الورد: الماليني في كتاب «الأربعين
في شيوخ الصوفية»، رقم: ٢٥.

(٥) سقط من (ع). (٦) في (ع): «العاقبة».

(٧) في (و): «تلك».

فَأَنَا أَسْمَعُ صَوْتًا بِلَا أُنَيْنٍ، وَأَرَى خُشُوعًا أَصْلَهُ مِنْ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، رَحَلَ
وَاللَّهُ الْقَوْمَ، وَبَقِيَ أَهْلُ السَّنَةِ وَالنَّوْمِ، يَأْكُلُونَ وَيَتَمَتَّعُونَ، وَبِإِثْرِ ذَلِكَ يَرْقُصُونَ
وَيَرْكُلُونَ، يَهْزُونَ الْأَرْضَ بِالْأَقْدَامِ، وَيُشِيرُونَ بِالرُّؤُوسِ وَالْأَكْمَامِ، يَدُورُونَ
وَيَهِيمُونَ، وَيَقُومُونَ وَيَقْعُدُونَ، بِأَعْيُنٍ بَاكِيةٍ، وَصِيحَاتٍ فَاشيةٍ.

قَالَ الشَّاعِرُ^(١): [البسيط].

لَيْسَ التَّصَوُّفُ لُبْسَ الصُّوفِ تَرْقَعُهُ	وَلَا بُكَاءُكَ إِنْ غَنَى الْمَغْنُونَا
لَا صِيَاحًا وَلَا رَقْصًا وَلَا طَرْبًا	وَلَا تَغَاشٍ كَأَنْ قَدْ صِرْتَ مَجْنُونَا
وَلَا اجْتِمَاعَكَ بِالْجُهَّالِ تَأَلَّفُهُمْ	لِلْهُوِ وَاللَّعِبِ فَالْكُلُّ مَفْتُونَا ^(٢)
وَلَا التَّسْمُنَ بِالْأَوْسَاحِ تَأْكُلُهَا	وَالرَّكَلَ بِالْقَدَمِ لِلشَّطْحِ مَوْزُونَا ^(٣)
وَلَا التَّرَنُّنَ بِالْأَلْحَانِ وَالْخَبَبِ ^(٤)	فَكُلُّ ذَلِكَ بِالشَّيْطَانِ مَقْرُونَا ^(٥)
وَلَا بِأَهْلِ الدَّعَاوِي فَهِيَ كَاذِبَةٌ	لَا تَهْمُ غَلِطُوا وَكُلُّهُمْ دُونَا
بَلِ التَّصَوُّفُ أَنْ تَصْفُو بِلا كَدَرٍ	وَتَبْتَغِيَ الْحَقَّ وَالْقُرْآنَ وَالْدِّينَا
وَأَنْ تُرَى خَاشِعًا لِلَّهِ مُكْتَبِبًا	عَلَى ذَنْبِكَ طُولَ الدَّهْرِ مَحْزُونَا



(١) نُسِبَ بَعْضُ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ الطُّوْبِيِّ الصَّقَلِيِّ الْكَاتِبِ (كَانَ حَيًّا
عَامَ ٤٥٠ هـ)، كَمَا فِي «التَّارِيخِ الْمَجْدِدِ لِمَدِينَةِ السَّلَامِ» لِابْنِ النُّجَارِ (٢: ١٣٢).

(٢) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَالْبَيْتُ مَكْسُورٌ.

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَهُوَ مَكْسُورٌ وَغَيْرُ مَفْهُومٍ الْمَعْنَى.

(٥) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

(٤) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

فَضْلُكَ في صفة الصوفي

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ * وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ﴾ [ص: ٤٦ - ٤٧].

قيل: هم أهل الصُّفَّة، وهم أرباب الصُّفَا، صَفَاهُمْ الله بالمشاهدة في الأزل، فكيف يَتَكَدَّرُونَ وقد صَفَاهُمْ الله تعالى بوصف العناية؟ أو كيف يَخْتَلِطُونَ^(١) وقد أَخْلَصَهُم الله به؟ أو كيف يَمْتَرِجُونَ وقد أَحْصَهُم^(٢) عنده؟ وكيف يَغِيبُونَ عنه؟

وقال بعضهم: المتصوف هو المتخلِّق بأخلاق الربوبية، واستعمال الآداب الشرعية، والتمسك بمحمد ﷺ خير البرية، يُحيون ما أمات الخلق من الأفعال، ويظهرُونَ ما أخفوا من أخلاق أهل الصفوة والوصال، ويصلحون ما أفسد الناس من الأعمال والأحوال، والأقوال والأفعال.

وقال الشُّبلي^(٣): إذا صَلَحَ أهل التصوف فهم خيار الناس، فطوبى لِمَنْ صَحِبَ خِيَارَهُمْ وجالسَهُمْ، والويلُ كُلُّ الويلِ لِمَنْ اغْتَرَّ بِشَرَارِ هؤلاء القوم، وافتتنَ بِهِمْ.

(١) في (ع): «يتخلطون». (٢) في (ع): «أحصهم».

(٣) أبو بكر الشُّبلي، واسمه: دلف، يُقال: ابن جحدر، ويُقال: ابن جَعْفَر، ويُقال: اسمه جَعْفَر بن يُونس، خراساني الأصل، بغدادي المنشأ والمولد، مات سنة ٣٣٤ هـ. «طبقات الصوفية» (ص ٢٥٧).

الصوفي ظاهره خُلُقِيّ، وباطنه خَالِقِيّ، وقلبه وحداني، وعقله عَرَشِيّ،
وهِمَّتُه عُلُوِيّ، وسِرُّه سَرْمَدِيّ.



شرح^(١) هذه النكتة

أَمَّا قَوْلُهُ: ظَاهِرُهُ خُلِقِي، فَيَعْنِي بِذَلِكَ مِلَازِمَةَ ظَاهِرِهِ لِأَحْكَامِ الْعِبُودِيَّةِ، وَرَسَمِ أَحْوَالِهِ بِالْآدَابِ الشَّرْعِيَّةِ، وَنَعَتْ ظَاهِرِهِ بِالْأَوْصَافِ^(٢) الْبَشَرِيَّةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَالرُّسُلِ حِينَ عَيَّرُوهُمْ وَشَتَّمُوهُمْ، وَشَبَّهُوهُمْ بِأَنْفُسِهِمْ: ﴿إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [إِبْرَاهِيم: ١١].

وِبَاطِنُهُ خَالِقِي، يَعْنِي: بِالتَّخْلِيقِ بِأَخْلَاقِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَفَنَائِهِ عَنِ مُلَاحَظَةِ الْقَهْرِيَّةِ.

وَقَلْبُهُ وَحْدَانِي: لَيْسَ فِيهِ مَعَ اللَّهِ غَيْرُ اللَّهِ.

وَعَقْلُهُ عَرَشِي: لَانْفِصَالِهِ عَنِ الْخَلْقِ وَالْدُّنْيَا.

وهِمَّتُهُ عَلَوِيٌّ: لَا يَقْنَعُ بِغَيْرِ الْمَوْلَى.

وَسِرُّهُ سَرْمَدِيٌّ: فَإِنْ عَلَى الدَّوَامِ لِمُشَاهَدَةِ الْأَعْلَى.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الصُّوفِي ظَاهِرُهُ مَسِيحِيٌّ، وَبَاطِنُهُ خَلِيقِيٌّ، وَهِمَّتُهُ كَلْبِيٌّ، وَسِرُّهُ حَبِيبِي.

شرح معنى هذا الكلام

ظَاهِرُهُ مَسِيحِيٌّ؛ يَعْنِي: أَنَّهُ تَخَلَّقَ بِأَخْلَاقِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَأْتِي الْمَفَاوِزَ وَالْقِفَارَ، مُسْتَوْحِشٌ مِنَ الصَّاحِبَةِ وَالْجَارِ، هَارِبٌ مِنَ الْعُمَرَاءِ وَالْذُّيَّارِ،

(١) فِي (ع): «فشرح».

(٢) فِي (و): «بأوصاف».

خالٍ مِنَ الْمَتَاعِ وَالْعَقَارِ، سَيَّاحٌ فِي الْجِبَالِ وَالْبَرَارِيِّ.

وَبَاطِنُهُ خَلِيلِيٌّ؛ يَعْنِي: مُمْتَلِئٌ^(١) بِاللَّهِ، خَائِفًا مِنْ مَكْرِ اللَّهِ، مُسْتَأْنَسًا بِقُرْبِ اللَّهِ، لَا يَسْكُنُ إِلَى غَيْرِ اللَّهِ.

وَهَمَّتْهُ كَلِمَتِي: لَا يَقْنَعُ مِنَ اللَّهِ بِشَيْءٍ سِوَى اللَّهِ، وَلَا يُرِيدُ مِنَ اللَّهِ غَيْرَ اللَّهِ^(٢).

وَسِرُّهُ حَبِيبِيٌّ: قَدْ أَغْنَاهُ اللَّهُ، فَقَرَّهَ إِلَى اللَّهِ، ثُمَّ قَطَعَتْهُ هَيْبَتُهُ عَنِ الطَّمَعِ فِي اللَّهِ بَعْدَ مَا حَصَلَ فِي اللَّهِ فِي مَقَامِ الْإِتِّصَالِ، فَكَأَنَّهُ يَقُولُ فِي مُشَاهَدَتِهِ بِمَقَامِهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ.

فَهَذِهِ غَايَةُ الْإِنْبِسَاطِ مَعَ اللَّهِ، مَعَ غَايَةِ الْخَوْفِ مِنَ اللَّهِ، مَعَ تَمَامِ الْمَعْرِفَةِ بِاللَّهِ.

الصُّوفِي كَلَامُهُ اللَّهُ؛ لِأَنَّ قَلْبَهُ مُتَعَلِّقٌ بِاللَّهِ، وَسِرُّهُ وَالْهُ مَعَ اللَّهِ.

وَهَمُّهُ مُجَرَّدٌ مِنْ غَيْرِ اللَّهِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ لَا يَنْطَلِقُ^(٣) لِسَانُهُ إِلَّا بِاللَّهِ.

وَعِلْمُهُ مُجَرَّدٌ بِهِ؛ لِأَنَّهُ قَدْ شَغَلَهُ رُؤْيَا الْمِنَّةِ عَنْ طَلَبِ الثَّوَابِ، وَقَطَعَتْهُ رُؤْيَا اللَّهِ عَنِ التَّزَيُّنِ بِعَمَلِهِ لَغَيْرِ اللَّهِ.

وَنَظَرُهُ إِلَى اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْحَقَّ صَارَ وَجْهَ قَلْبِهِ وَمِرَاةَ سِرِّهِ، ﴿فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٥].

وَسَمَاعُهُ مِنَ اللَّهِ؛ لِأَنَّ حَالَ الْخَلْقِ عِنْدَهُ كَحَالِ عَدَمِهِمْ، وَيَرَى اللَّهُ الْقَائِمَ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ، وَالْمَحِيطَ بِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْمُحَرِّكَ لِكُلِّ شَيْءٍ.

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ الصُّوَابَ: مَمْتَلَأًا.

(٢) بَيَاضٌ فِي (ع) بِمَقْدَارِ كَلِمَةٍ.

(٣) فِي (ع): «يَنْطَلِقُ».

وأنسه بالله؛ لأنه ليس شيء أقرب إليه من الله تعالى، ولا شيء أحسن في بصيرته من الله، فمن ذلك استأنس بالله، وذلك بعدما فني من حُطوط نفسه لِقُوَّة وجوده بالله.

ورفعه منزله عند الله؛ لأن الحبيب لا ينزل إلا عند الحبيب؛ لأن توكله على الله، وذلك لما أشغله بالله عليه، تولى الله سياسته، وهو يتولى الصالحين. وسئل أحمد بن عطاء^(١) عن التصوف؟

فقال: الصوفي هو الذي صفا عن كدر نفسه، وخلص من آفات حواسه، وبأن من طبع بشريته، فهو آدمي برسمه، روحاني بوصفه، قد صار في الدنيا عند أهل زمانه غريباً وحيداً، إن نطق نطق عن الله، وإن سكت سكت مع الله.



(١) هو أبو عبد الله أحمد بن عطاء بن أحمد الروذباري، ابن أخت أبي علي الروذباري، مات سنة ٣٦٩هـ. «طبقات الصوفية» (ص ٣٧٠).

شرح هذه النكتة

قوله: صفا من كدر نفسه، يعني: من كدر النفس. وزوال كدر النفس يكون بدوام حالتين: خوف مزعج، وشوق مُقْلِق، مع إحكام الربانِيَّة ومُلازمة الأدب، حينئذ لا تجد النفس مساعداً، فيفسد على العبد صفاء حاله بوصف كدر النفس. والتخلُّص من آفات الحواس يكون بمطالعة رؤية الرقيب بين الأنفاس واللحظات، كأن ليس في الأرض غيره، ولا في السماء غير معبوده، والمباينة لطبع البشرية تكون^(١) بمُشاهدة عين التوحيد.

وسئل بعض العارفين: من الصوفي؟

فقال: الصوفي من عملَه تسبيك وتصفية، وحاله احتراق وتصلية، وباطنه تسليم وتبرية، وظاهره تجريد^(٢) وتغزية، وأنسه في بطون الأودية، فزار المدينة من كل فتنة وبليّة، خوفاً تعظيماً وهيبة، ورجاؤه دلالاً ومُباسطة، وحيأؤه إجلالاً ومراقبة، وحزنه احتراقاً وكمداً، وعمله وجد وإشارة، وفقره زهداً، وزهده ورعاً، وفكرته مُشاهدة، وصبره رضا، ووصفه فناء، وراحته بلاء، فقره غميق^(٣) لا يدرك، وعذاره مخلوع لا يملك، ونعته عجيب لا يعرف، وثمره بعيد لا يُقطف، وسره خفي لا يُوصف، وإشارته رقيقة ليس عليها يُوقف^(٤).

(١) سقط من (ع). (٢) في (و): «تجديد».

(٣) كذا في النسختين، فإن لم يكن ثمة تصحيف فالمراد: أنه كثير الماء، يقال: بلد غميق: كثير المياه. «لسان العرب»، مادة: غمق (١٠: ٢٩٤).

(٤) في (ع): «موقف».

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الصُّوفِي الَّذِي امْتَحَنَ طَبَعَ الْبَشَرِيَّةِ مِنْ نَفْسِهِ، بِمُشَاهَدَةِ
وَصْفِ الْأَزَلِيَّةِ مِنْ رَبِّهِ، فَصَارَ رُوحَانِيًّا فِي الْحَالِ، رَبَّانِيًّا فِي الْمَقَالِ، لَا يُشْبَهُ
فِي الْعَطَاءِ إِلَّا بِدَ اللَّهِ، وَلَا فِي الْمَنْعِ إِلَّا حُكْمَهُ، وَلَا يَرَى فِي النِّفْعِ وَالضَّرِّ إِلَّا
حِكْمَتَهُ، وَلَا يُعَايِنُ فِي الْقَبْضِ وَالْبَسْطِ إِلَّا قُدْرَتَهُ، وَلَا يُلَاحِظُ فِي الْعِبَادَةِ إِلَّا
مَعْبُودَهُ، وَلَا فِي الْمَنْعِ إِلَّا مَانِعَهُ.

قَدْ فَنِي عَنْ نَفْسِهِ بِرَبِّهِ، وَبَقِيَ مَعَ رَبِّهِ لِرَبِّهِ، فَهَذَا هُوَ الصُّوفِي حَقًّا.

وَسُئِلَ السُّبُلِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَنْ الصُّوفِي؟

فَقَالَ: مَنْ لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ، وَلَا يَأْخُذُ وَلَا يُعْطِي، وَلَا يَضْحَكُ وَلَا
يَبْكِي، وَلَا يَقْبَلُ وَلَا يَرْذُ.

قِيلَ: وَكَيْفَ ذَلِكَ؟

قَالَ: مَعْنَى لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ: أَنَّهُ قَدْ شَرِبَ مِنْ خَالِصِ حُبِّ اللَّهِ شَرْبَةً
أَشْغَلَتْهُ عَمَّا سِوَاهُ، وَالْهَاهُ ذِكْرُ اللَّهِ عَنْ ذِكْرِ غَيْرِ اللَّهِ.

أَمَّا سَمِعْتَ قَوْلَ النَّبِيِّ ﷺ: «حُبُّكَ لِلشَّيْءِ يُعِمِّي وَيُصِمُّ»^(١).

وَمَعْنَى لَا يَأْخُذُ وَلَا يُعْطِي: لِأَنَّهُ يَشْهَدُ أَنَّ الْخَلْقَ مُفْلِسُونَ^(٢)، وَفِي قَبْضَةِ
رَبِّهِمْ مُحْصِلُونَ^(٣)، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ فِي الْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ؛
لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى هُوَ الْمُعْطِي عَلَى الْحَقِيقَةِ.

(١) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَرْفُوعًا: أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»، كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ
فِي الْهَوَى، رَقْمٌ: ٥١٣٠.

(٢) فِي النُّسخَتَيْنِ: «مُفْلِسِينَ».

(٣) فِي النُّسخَتَيْنِ: «مُحْصِلِينَ».

وَمَعْنَى لَا يَضْحَكُ وَلَا يَبْكِي: لِأَنَّ الضَّحِكَ عِلَّةٌ، وَالْبَكَاءَ عِلَّةٌ، وَمَنْ كَانَ قَائِمًا بِالْحَقِّ لِلْحَقِّ لَا يَكُونُ مَحَلًّا لِلْعِلَلِ، إِنْ ضَحِكَ فَمِنْ جَهْلِهِ، وَإِنْ بَكَى فَلِجَهْلِهِ، وَعِنْدَ تَجَلِّي الْحَقِيقَةِ لَا يَبْكِي مِنَ الْعِلَلِ بِفِيهِ.

وَمَعْنَى: لَا يَرُدُّ وَلَا يَقْبَلُ: لِأَنَّ الرَّدَّ وَالْقَبُولَ تَقَدَّمَ فِي الْأَصْلِ، فَيَرَى إِحْدَاثَ رَدِّهِ وَقَبُولِهِ شُرَكَاءَ فِي التَّوْحِيدِ وَالْحُكْمِ وَمَنَازِعَةً لِلْحَاكِمِ الْوَاحِدِ، وَقَدْ صَفَا اللَّهُ بِاللَّهِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّهِ.

وَمُسْتَلُّ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنِ التَّصَوُّفِ.

فَقَالَ: هُوَ اسْمٌ وَقَعَ مَعْنَاهُ عَلَى التَّصْفِيَةِ وَالصَّفَا، فَالتَّصْفِيَةُ لِلْأَعْمَالِ الظَّاهِرَةِ، وَالصَّفَا لِلْأَعْمَالِ الْبَاطِنَةِ.

شرح

فَأَمَّا صَفَاءُ الْبَاطِنِ فَيَتَعَلَّقُ مِنْ أَرْبَعَةِ^(١) أَشْيَاءَ:

صَفَاءُ سِرٍّ مِنَ الْإِلْتِفَاتِ إِلَى الْأَغْيَارِ، وَالْإِغْتِرَارِ بِلَطَائِفِ الْأَسْرَارِ، وَالسَّكُونِ إِلَى غَيْرِ الْمَلِكِ الْجَبَّارِ، وَالْقِيَامِ بِالْأَسْحَارِ، وَالِدَعَاءِ إِلَى الْمَلِكِ الْغَفَّارِ.
وَالثَّانِي: صَفَاءُ الْقَلْبِ مِنَ الْخَوَاطِرِ الدُّنْيَا، وَالْهَمَمِ الرَّدِيَّةِ، وَاللِّمَّةِ النَّفْسَانِيَّةِ، وَالْوَسَاوِسِ الدُّنْيَاوِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: صَفَاءُ الرُّوحِ مِنْ كَدَرِ الْحُزَنِ عَلَى عَرَضٍ مَفْقُودٍ، وَالْفَرَحِ بِحَاضِرٍ مُوجُودٍ.

وَالرَّابِعُ: صَفَاءُ الْعَقْلِ^(٢) مِنَ التَّدْبِيرِ وَالْإِخْتِيَارِ، وَالْتَسَخُّطِ وَالْكَرَاهَةِ لِمَا جَاءَ مِنْ أَحْكَامِ الْجَبَّارِ سُبْحَانَهُ.

(٢) فِي (ع): «الْقَلْب».

(١) كَذَا فِي الْأَصُولِ.

وأما صفاء الظاهرِ فأربعةٌ أخرى:

تصفيةُ الأعمالِ مِنَ الرياءِ والعُجبِ والسُّمعةِ والتَّزَيُّنِ^(١)، والمباهاةِ والتَّصنعِ.

والثانية: تصفيةُ الأخلاقِ مِنْ سوءِ المعاشرةِ، والغشِّ، والخداعِ، والمكرِ، والبُخلِ، والخلافِ، والشُّحِّ، والبَطْشِ، وسرعةِ الغضبِ.

والثالث: تصفيةُ البطنِ مِنَ الشُّبهةِ والحرامِ.

والرابع: تصفيةُ اللسانِ مِنَ الكذبِ، والغيبةِ، والنَّميمةِ، والزُّورِ، والبهتانِ، والدعاوي الكاذبةِ، والإشارةِ الخاليةِ، وذكْرِ الدنيا والخَلْقِ، والقول: لِمَ كَانَ؟ وَلِمَ لَا يَكُونُ؟

وتصفيةُ العينِ مِنَ النظرِ إِلَى الدُّنْيَا والخَلْقِ شهوة^(٢).

وتصفيةُ الأذنِ مِنَ الاستماعِ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ.

فإذا حَصَلَ مِنْ هَذَا الوَصْفِ مِنَ تَصْفِيَةِ الظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فَقَدْ اسْتَحَقَّ اسْمَ التَّصَوُّفِ، وَإِلَّا فَهُوَ مُتَعَرِّضٌ لِمَقْتِ اللَّهِ، سَاقِطٌ مِنْ عَيْنِ اللَّهِ، مُسْتَدْرِجٌ بِمَكْرِ اللَّهِ، وَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ.



(١) فِي (ع): «التَّزَيُّنِ».

(٢) كَذَا فِي النُّسَخَتَيْنِ، وَلَعَلَّهَا: شَهْوَةٌ.

فَضْلُ فِي الْعَارِفِ بِاللّٰهِ

اعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ صِفَةَ الْعَارِفِ بِاللّٰهِ تَعَالَى: الْهَيْبَةُ وَالْحَيَاءُ وَالْمَحَبَّةُ
وَالرِّضَا وَالصَّدْقُ وَالْوَفَاءُ، جَوَالُ الْفِكْرِ، دَائِمُ الذِّكْرِ، كَثِيرُ عَمَلُهُ، عَظِيمُ حُكْمِهِ،
كَرِيمُ الْمَرَاةِجَةِ.

أَوْسَعُ النَّاسِ خُلُقًا، وَأَكْرَمُ النَّاسِ نَفْسًا، ضَمِيحُهُ تَبَسُّمًا^(١)، اسْتِفْهَامُهُ تَعَلُّمًا^(٢)،
مُذَكِّرٌ لِلْعَاقِلِ^(٣)، مَعْلَمٌ لِلْجَاهِلِ، لَا يُؤَدِّبُ مَنْ أَدَّبَهُ، وَلَا يَذْكُرُ أَحَدًا بِغِيْبِهِ.

وَرِعًا عَنِ الْمَحْرَمَاتِ، وَاقِفًا عَنِ الشُّبُهَاتِ، كَثِيرُ الْعَطَاءِ، قَلِيلُ الْأَذَى، عَوْنًا
لِلْغَرِيبِ، أَبَا^(٤) لِلْيَتِيمِ، بِشَارَتُهُ فِي وَجْهِهِ، حُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ، مَسْرُورٌ بِفَقْرِهِ.

أَحْلَى مِنَ الشَّهَدِ، أَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ، لَا يَهْتِكُ سِتْرًا، وَلَا يَكْشِفُ سِرًّا، لَطِيفُ
الْبَرَكَاتِ، طَيِّبُ الْمَشَاهِدَاتِ، رَقِيقُ الْإِشَارَاتِ، حَلِيمٌ إِذَا جُهِلَ عَلَيْهِ، صَبُورٌ عَلَى
مَنْ أَسَاءَ إِلَيْهِ.

يُجِلُّ الْكَبِيرَ، وَيَرْحَمُ الصَّغِيرَ، أَمِينٌ عَلَى الْأَمَانَةِ، بَعِيدٌ عَنِ الْخِيَانَةِ، أَلُوفٌ
مَأْلُوفٌ إِلْفُ التَّقْوَى، خُلُقُهُ الْحَيَاءُ، كَثِيرُ الْخَيْرِ، قَلِيلُ الزَّلَلِ، قَلِيلُ الْفُضُولِ، بَرٌّ،

(١) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ، وَلَهُ وَجْهٌ.

(٢) كَذَا فِي النُّسخَتَيْنِ، وَلَهُ وَجْهٌ.

(٣) فِي (ع): «لِلْعَاقِلِ».

(٤) كَذَا وَرَدَتْ هَذِهِ الْمَنْصُوبَاتُ فِي الْأَصُولِ.

ناظرة، بالخُدَع والمخاطرة، يُحبون الشاءَ لِيُقَالَ^(١)، فكلّامهم أحلى من العسل، وقلوبهم قلوبُ الذئاب.

كما قال الشاعر: [الهزج].

رَأَيْتُ النَّاسَ خَدَاعًا إِلَى جَنْبِ^(٢) خَدَاعٍ
يُثْبَوْنَ مَعَ الذَّنْبِ وَيَكُونُ مَعَ الزَّاعِي^(٣)

يَتَمَلَّقُونَ بالسكينة والوقار، ويتصنعون باللين للاشتهار، وقد قتلوا الجهالَ بالتوهِيد^(٤) والمغالطة، يطلبون رضا الناسِ بِسَخَطِ الخالق، يُثْبَوْنَ على الدرهم وثبة الذئب على القاصية من الغنم.

كما قال الشاعر: [مجزوء الكامل].

ذِيبٌ تَرَاهُ مَصْلِيًّا فَإِذَا مَرَرْتَ بِهِ رَكَعٌ
يَدْعُو وَجُلُّ دَعَائِهِ مَا لِلْفَرِيسَةِ لَا تَقَعُ؟
عَجَّلَ بِهَا يَا ذَا الْعُلَى إِنَّ الْفُؤَادَ قَدْ انْقَطَعَ^(٥)

أعوذُ بالله من هذا الصنفِ ومن أتباعه.

فإياك يا أخي أن تتبع أهل البدع، ولا تأخذ بما هم عليه من الدعاوي الكاذبة والبدع المضلّة.

(١) كذا في الأصول.

(٢) كذا في الأصول، وهو مكسور، ولعل الصواب: جانب. وانظر: «الدر الفريد» (٦: ٢٨٦)، و«ديوان بديع الزمان الهمذاني».

(٣) هذا البيت أنشده بديع الزمان أبو الفضل أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني (ت ٣٩٨هـ) كما في «ديوانه».

(٤) سبقت هذه الكلمة، وستأتي في موضع آخر، ولعل معناها: الإيقاع في الوهاد.

(٥) لم أجد من نُسبت إليه هذه الأبيات.

رَوَى عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَتُرِيدُ أَلَّا تُوَقَّفَ عَلَى الصَّرَاطِ طُرْفَةً عَيْنٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى تَدْخُلَ الْجَنَّةَ؟ إِنَّا لَأَنْ تُحَدِّثَ فِي دِينِ اللَّهِ حَدِيثًا بِرَأْيِكَ^(١).

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا مِنْ عَامٍ إِلَّا تَظْهَرُ^(٢) فِيهِ بَدْعَةٌ وَتَمُوتُ سَنَةٌ^(٣).

وَقَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ثَلَاثُ هُنَّ بَدْعَةٌ: أَنَا مُؤْمِنٌ مُسْتَكْمِلُ الْإِيمَانِ، وَأَنَا مُؤْمِنٌ حَقًّا، وَأَنَا مُؤْمِنٌ عِنْدَ اللَّهِ^(٤).

وَقَالَ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ: مَنْ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُبْتَدِعٍ، لَمْ يَزَلْ فِي مَسْخِطِ اللَّهِ حَتَّى يَرْجَعَ^(٥).

وَقَالَ الْفَضِيلُ بْنُ عِيَاضٍ: لَا يُرْفَعُ لِصَاحِبِ بَدْعٍ إِلَى اللَّهِ عَمَلٌ^(٦).

وَقَالَ أَيْضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَكَلُ عِنْدَ (الْيَهُودِيِّ وَالنَّصْرَانِيِّ)^(٧) أَحَبُّ إِلَيَّ (مِنْ أَنْ)^(٨) أَكَلَ عِنْدَ صَاحِبِ بَدْعٍ^(٩).

(١) رَوَاهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخُصِبَ فِي التَّوْرَةِ مِائَةُ أَسْلَامٍ (٥: ١٤٤) وَتَبَوَّأَ نَصْرًا مُؤْتَمَنًا فِي كِتَابِ (الْإِيمَانِ) كَمَا فِي التَّنْذِيرَةِ، لِقَوْلِي (ص ٧٦٥)، وَقَطْرَةُ مَسْئَةِ الْأَحْدِيثِ النَّصْبِيَّةِ وَالْمَوْضُوعَةِ، رَقْمٌ: ٢٦٥.

(٢) فِي (ع): لَوْ تَظْهَرُ.

(٣) رَوَاهُ التَّبِيزِيُّ فِي التَّمَجِّسَةِ وَجَوَاهِرِ الْعِلْمِ، رَقْمٌ: ٨١٣ (٣: ١٨١).

(٤) رَوَاهُ الْأَجْرِيُّ فِي كِتَابِ التَّحْرِيقِ، رَقْمٌ: ٣٠٦ (٢: ٦٨٧).

(٥) رَوَاهُ مِنْ قَوْلِ سَفِيَانَ بْنِ عِيَاضٍ رَحِمَهُ اللَّهُ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْهَرَوِيُّ فِي لُغَةِ الْكَلَامِ، رَقْمٌ: ٩٣٩ (٥: ١٤٤).

(٦) رَوَاهُ التَّلَاكُثِيُّ فِي الْعَتَقَاتِ لُغَلِ السَّنَةِ وَتَجْمَعُهُ، رَقْمٌ: ٢٧٢ (١: ١٣٩).

(٧) فِي (ع): لِيَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ. (٨) فِي (ع): أَلَا.

(٩) رَوَاهُ التَّلَاكُثِيُّ فِي الْعَتَقَاتِ لُغَلِ السَّنَةِ وَتَجْمَعُهُ، رَقْمٌ: ١١٤٩ (٤: ٦٣٨).

وَقَالَ أَيْضًا: مَنْ جَلَسَ إِلَى صَاحِبِ بَدْعٍ فَاحْذَرُوهُ^(١).

وَقَالَ أَيْضًا: أَحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَاحِبِ بَدْعٍ حِصْنٌ مِنْ حَدِيدٍ^(٢).

وَقَالَ: مَنْ عَظَّمَ صَاحِبَ بَدْعٍ أَحْبَطَ اللَّهُ عَمَلَهُ، وَأَخْرَجَ نُورَ الْإِسْلَامِ مِنْ قَلْبِهِ^(٣).

وَأَنَّ الْأَرْوَاحَ جُنُودَ مُجَنَّدَةٍ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا اثْتَلَفَ، وَمَا تَنَافَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ^(٤).

وَكَانَ مَالِكٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكْثِرُ مِنْ إِنْشَادِ هَذَا الْبَيْتِ:

وَخَيْرُ أُمُورِ الدِّينِ مَا كَانَ سُنَّةً وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحَدَّثَاتُ الْبِدَائِعُ^(٥)

قَالَ^(٦): أَخْبَرَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى الْجَوَزِيُّ^(٧)، قَالَ: حَدَّثَنَا ابْنُ رَشِيدٍ^(٨)،

قَالَ: حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ، عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ، عَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَمْرٍو^(٩) السُّلَمِيِّ وَحُجْرِ الْكَلَاعِيِّ قَالَا: دَخَلْنَا عَلَى الْعَرَبَاضِ بْنِ

(١) هو من تمام الأثر السابق. (٢) هو من تمام الأثر السابق أيضًا.

(٣) رواه أبو إسماعيل الهروي في «ذم الكلام»، رقم: ٩٣٣ (٥: ١٣٨).

(٤) هذا حديث نبوي مشهور. ورواه من قول الفضيل بن عياض: ابن بطة في «الإبانة الكبرى»، رقم: ٤٢٩ (٢: ٤٥٦).

(٥) رواه ابن عبد البر في «الانتقاء في فضائل الثلاثة الأئمة الفقهاء» (ص ٣٧).

(٦) القائل هو أبو بكر الآجري كما في «الشرعية»، رقم: ٨٦ (١: ٤٠٠)، ومن طريقه رواه أبو عمرو الداني في «السنن الواردة في الفتن»، رقم: ١٣٣ (٢: ٣٧٣)، ولعل ابن العسال رواه عنه لأنه من شيوخه كما تقدم.

(٧) في الأصل: «الحوري»، وهو تصحيف، وهو إبراهيم بن موسى بن إسحاق أبو إسحاق الجوزي (ت ٣٠٤ هـ). «تاريخ مدينة السلام» (٧: ١٣٥).

(٨) هو أبو الفضل داود بن رشيد البغدادي (ت ٢٣٩ هـ). «تاريخ مدينة السلام» (٨: ٣٦٧).

(٩) في الأصل: «عمر»، وهو تصحيف.

سارية رضي الله عنه، وهو الذي نَزَلَ فِيهِ: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٩٢] الآية، وهو مريض، قالوا: فقلنا: إنا جئناك زائرين مُقْتَبِسِينَ.

فقال العرياض: إن رسول الله ﷺ صَلَّى صَلَاةَ الْغَدَاةِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا، فوعظنا موعظةً بليغةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيُونَ، وَوَجَلَتْ لَهَا الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٌ، فَمَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا؟

قال: «أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ كَانَ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِيشُ مِنْكُمْ^(١) بَعْدِي سَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ^(٢) بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بَدْعَةٌ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ».

وفي هذا الحديث^(٣) علومٌ كثيرةٌ يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمِهَا كُلُّ مُسْلِمٍ، وَلَا يَسْعُهُمْ جَهْلُهَا.

مِنْهَا أَنَّهُ أَمَرَهُمْ ﷺ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، بِتَقْوَاهُ، وَلَا يَعْلَمُونَ تَقْوَاهُ إِلَّا بِالْعِلْمِ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ: كَيْفَ يَكُونُ مُتَّقِيًا مَنْ لَا يَدْرِي مَا يَتَّقِي؟^(٤)

فَعَلَى جَمِيعِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَتَّقُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي أَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ.

(١) سقط من (ع). (٢) سقط من (ع).

(٣) هذا الكلام من قوله: «وفي هذا الحديث» إلى قوله: «فعليك بالكتاب والسنة» مأخوذ كله من كلام أبي بكر الأجري في كتاب «الأربعين حديثاً» له (ص ٩٤).

(٤) رواه من قول أحمد بن حنبل رحمه الله الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، رقم: ١٠٦٥ (٢: ٢٤).

ومنها: أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ اخْتِلَافٌ بَيْنَ النَّاسِ، فَأَمَرَهُمْ ^(١) بِلُزُومِ سُنَّتِهِ وَسُنَّةِ أَصْحَابِهِ الْخُلَفَاءِ ^(٢) الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ^(٣)، وَحَثَّهُمْ عَلَى أَنْ يَتَمَسَّكُوا بِهَا التَّمَسُّكَ الشَّدِيدَ.

فَوَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَّبِعَ سُنْنَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلَا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ^(٤) مِنْ بَعْدِهِ: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

ومنها: أَنْ حَذَّرَهُمُ الْبَدْعَ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهَا ضَلَالَةٌ، فَكُلُّ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا، وَتَكَلَّمَ بِكَلَامٍ لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَسُنَّةَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ ^(٥)، وَقَوْلَ صَحَابَتِهِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، فَهُوَ مَرْدُودٌ عَلَى قَائِلِهِ، وَهُوَ بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ.

ومنها: أَنَّ الْعَرَبَاضَ بْنَ سَارِيَةَ قَالَ: وَعَظَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعَيُونَ، وَوَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ. الْحَدِيثُ.

قَالَ الْمُؤَلَّفُ رَحِمَهُ اللَّهُ: فَمَيِّزُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ هَذَا الْكَلَامَ، لَمْ يَقُلْ: صَرَخْنَا مِنْ مَوْعِظَتِهِ، وَلَا زَعَقْنَا، وَلَا طَرَقْنَا عَلَى رُؤُوسِنَا، وَلَا ضَرَبْنَا عَلَى صُدُورِنَا، وَلَا زَفَنَّا، وَلَا رَقَصْنَا كَمَا يَفْعَلُ كَثِيرٌ مِنَ الْجَهَالِ، يَصْرُخُونَ وَيَزَعُقُونَ وَيَتَغَاشُونَ. وَهَذَا كُلُّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَعَنَهُ اللَّهُ، يَلْعَبُ بِهِمْ وَيَعْقُولُهُمْ؛ لِيَعْلِمَهُ بِهِمْ أَنَّهُمْ مُرْتَكِبُونَ بِذَلِكَ الْبَدْعَ وَالضَّلَالَ.

(٢) سقط من (ع).

(١) في (ع): «فأمر».

(٤) في (ع): «المهتدين».

(٣) في (ع): «المهتدين».

(٥) سقط من (ع).

فَيَقَالُ لِهَذَا الصَّنَفِ: اَعْلَمُوا أَنَّ النَّبِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ أَصْدَقَ النَّاسِ لِسَانًا، وَأَنْصَحَ لَأَمَّتِهِ قَلْبًا، وَأَشَدَّ مَوْعِظَةً، وَأَصْحَابُهُ أَرْوَقُ قُلُوبًا، وَأَرْحَمُ أَفْنَدَةً، وَخَيْرُ النَّاسِ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ، لَا يَشْكُ فِي هَذَا عَاقِلٌ، فَمَا صَرَخُوا عِنْدَ مَوْعِظَةٍ، وَلَا صَاخُوا، وَلَا زَقَفُوا.

وَلَوْ كَانَ هَذَا صَحِيحًا لَفَعَلَهُ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، إِنَّمَا الرِّقْصُ عَلَى الْأَغَانِي مِنَ الْبِدْعَةِ.

وَقَالَ ﷺ: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ رَسُولِهِ عَلَيْهِ السَّلَام»^(١).

فَعَلَيْكَ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، (أَمَاتَنَا اللَّهُ عَلَيْهِمَا).

فَقُلْ لِهَذَا الرَّاقِصِ^(٢) عَلَى الْمَغَانِي الْمُطَرِبَةِ بِالْأَلْحَانِ الْمُخْتَلِفَةِ عَلَى الْمَعَازِفِ: ارْجِعْ عَنْ هَذَا، وَتُبْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى؛ (لَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى)^(٣) مَا أَمَرَهُ وَلَا رَسُولُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ خِلَافُ السُّنَّةِ، وَالْمُخَالَفُ لِلسُّنَّةِ يَحْذَرُ أَنْ يُصِيبَهُ أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى يُهْلِكُهُ وَلَا يَشْعُرُ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التور: ٦٣].

فَلَا تَتَّبِعْ أَهْلَ الدَّعَاوِي الْكَاذِبَةِ، الْمُتَنَمِّسِينَ^(٤)، الْآكِلِينَ أَوْسَاحَ النَّاسِ الْعَوَامِّ الْجَهَالِ بِالْبَاطِلِ وَالتَّهْوِيدِ^(٥).

(١) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البزار في «المسند»، رقم: ٨٩٩٣ (١٥: ٣٨٥).

(٢) بياض في (ع). (٣) سقط من (ع).

(٤) سبق شرح معناه.

(٥) قال ابن منظور: «المُهَوِّدُ: الْمُطَرِّبُ الْمُلهِي». «لسان العرب»، مادة: هود (٣: ٤٣٩).

وعليك بالفرار منهم؛ فإنهم سبُعٌ وذئابٌ، فإذا ابتليتِ بَمَنِ هذه صفته وهِمَّتْهُ في الاحتشادِ عليه والاجتماعِ به على الأطعمة، وأكلِ الباطل، فألحقه بعالمِ الأحذية^(١).

وإذا ابتليتِ برجلٍ يدَّعي الصلاح، وعليه الأمانةُ والسكينةُ والوقار، قد نَصَبَ مَصَايِدَهُ لاقتناصِ الدنيا، وأكلِ الناس، فألحقه بعالمِ الذئاب.

وإذا ابتليتِ برجلٍ لا يَسْمَعُ العلمَ والحكمة، ويألفُ أخبارَ الدنيا ونواذِرَها، وسائرَ الخرافات، وما يجري في مجالسِ العوامِّ من الأغاني والباطل، فألحقه بعالمِ الخنافس؛ فإنه يُعْجِبُهُ أَكْلُ العَذِرَاتِ، ويألفُ روائِحَ النجاسات، فلا تراه إلا ماشيًا للأخيلية والرُّحاضات، وينفِرُ من روائِحِ المسكِ والورد، وإذا طُرِحَ عليه الوردُ والمسكُ مات.



(١) كذا في الأصول، ولعله جمع للجدأة الطائر الذي يصيد الجرذان.

فَصْلٌ

[في المدعي للإرادة]

أَمَّا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَدْعُونَ الْإِرَادَةَ فَهُمْ قَوْمٌ كَابَدُوا الدُّنْيَا، وَكَابَدَتْهُمْ بِالْمَحَنِ لِطَلَبِ الزِّيَادَةِ، وَلَمْ تَعْطِفْ عَلَيْهِمْ بَشْيْءٌ مِنْ أَوْسَاجِهَا، فَمَلُّوا وَكَلُّوا وَكَسِلُوا بِكَثْرَةِ التَّعَبِ فِي طَلَبِهَا.

رَجَعُوا يَتَعَلَّقُونَ بِأَذْيَالِ^(١) الْبَاطِلِ وَالْإِرَادَةِ لِطَلَبِ الرَّاحَةِ وَالزِّيَادَةِ مِنَ الْأَطْعِمَةِ وَالثَّرِيدِ، وَيَمُونُونَ بِطُونَهُمْ لِلْمَزِيدِ.

وَيَقُولُ قَائِلُهُمْ: أَنَا الصُّوْفِيُّ، أَنَا الْمَرِيدُ، فَتَرَاهُمْ يَأْكُلُونَ، وَيَأْتِرُهُ يَرْكُلُونَ.

وَسُئِلَ الْفَقِيهُ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عَنِ الشَّطْحِ؟

فَقَالَ: أَمَّا الشَّطْحُ فَإِنَّهُ^(٢) عِبَارَةٌ مُسْتَغْرَبَةٌ فِي وَصْفٍ وَاحِدٍ يُنَعَّثُ بِبَعْضِ فَضِيلَتِهِ^(٣).

وَالشَّطْحُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ^(٤) هُوَ: الْحَرَكَةُ، يُقَالُ: شَطَحَ يَشْطَحُ: إِذَا تَحَرَّكَ، وَيُقَالُ لِلْبَيْتِ الَّذِي يُحَرِّكُ فِيهِ الدَّقِيقُ: مِشْطَاحٌ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ بِذَلِكَ لِكَثْرَةِ مَا يُحَرِّكُ فِيهِ الدَّقِيقُ الَّذِي يَنْخُلُونَهُ.

(١) فِي (ع): «الْحِيَالُ». (٢) فِي (ع): «فَهُوَ».

(٣) لَمْ أَجِدْهُ مِنْ كَلَامِ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَعَلَّ فِي الْعِبَارَةِ تَحْرِيفًا.

(٤) لَمْ أَجِدْ مِنْ ذِكْرِ هَذِهِ الْمَادَّةِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ، وَإِنَّمَا اسْتَدْرَكْتُهَا بِبَعْضِ الْمُتَأَخِّرِينَ.

و«الشطح» لفظة مأخوذة من الحركة؛ لأنها حركة أسرار الواجدين إذا قَوِيَ وجدُّهم، فَيَعْبُرُونَ عَنْ ذَلِكَ بِعِبَارَةٍ يَسْتَغْرِبُهَا السَّامِعُ، فَمُنْكَرٌ عَلَيْهِ، وَمَفْتُونٌ هَالِكٌ، وَمُؤْمِنٌ بِهِ، وَسَالِمٌ فِيهِ نَاجٍ.

وَيُقَالُ: شَطَحَ الْمَاءُ فِي النَّهْرِ: إِذَا ضَاقَ النَّهْرُ عَنِ الْمَاءِ، فَيَفِيضُ مِنْ حَافَتَيْهِ. كَذَلِكَ الْمُرِيدُ الْخَالِصُ إِذَا قَوِيَ وَجْدُهُ وَلَمْ يُطِقْ حَمْلَ مَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ سَطْوَةِ أَنْوَارِ الْحَقَائِقِ شَطَحَ ذَلِكَ عَلَى لِسَانِهِ، فَيُبْرِزُهُ بِعِبَارَةٍ مُسْتَغْرَبَةٍ مُشْكِلَةٍ عَلَى الْفَهْمِ، إِلَّا عَلَى فَهْمِ أَرْبَابِهَا.

وَمَعْنَاهُ: انْزِعَاجٌ يَنْزَعِجُ بِهِ الْمُرِيدُ الصَّادِقُ عِنْدَمَا يَرِدُ عَلَى قَلْبِهِ مِنْ سَطْوَةِ أَنْوَارِ الْحَقَائِقِ، بِصِيَاحٍ وَطَيْشٍ وَاهْتِرَازٍ وَتَحْرِيكِ، لَا رَقْصٍ^(١) وَلَا رَكْلٍ^(٢)، فَسُمِّيَ ذَلِكَ عَلَى الْإِصْطِلَاحِ شَطْحًا.

وَلَا أَسْلَمَ^(٣) لِمَنْ يَعْرِفُ مَذَاهِبَهُمْ وَمَقَاصِدَهُمْ وَمَوَارِدَهُمْ، وَاتْرَكَ الْإِنْكَارَ عَلَيْهِمْ، وَكَلَّ أَمْرَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَارْجَعَ بِالْغَلَطِ عَلَى نَفْسِكَ؛ فَإِنَّهُ أَسْلَمَ وَأَحْسَنُ فِي بَابِ الرِّعَايَةِ وَالْفُتُوَّةِ، وَبِاللَّهِ التَّوْفِيقُ.

[وَأَعْلَمَ^(٤) أَنَّ هَذَا الشَّرْحَ الَّذِي تَكَلَّمَ بِهِ الْفَقِيهُ رَحِمَهُ اللَّهُ وَفَسَّرَهُ إِنَّمَا أَرَادَ بِهِ: السَّلَفَ الصَّالِحَ وَأَهْلَ التَّحْقِيقِ مِنَ الْأَوَّلِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَكَانَ لَهُمْ فِي تِلْكَ الطَّرِيقَةِ مَشَايِخُ وَعُلَمَاءُ، مِثْلُ: الْجُنَيْدِ وَشَبِيهِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْ جَمِيعِهِمْ، وَنَفَعْنَا بِهِمْ.

(١) فِي (ع): «رَاقِصٌ».

(٢) فِي (ع): «رَاكِلٌ».

(٣) كَذَا فِي الْأَصُولِ، وَلَعَلَّ هُنَاكَ سَقَطًا.

(٤) مِنْ هُنَا إِلَى آخِرِ الْأَشْعَارِ زِيَادَةٌ لَيْسَتْ مِنَ الْمُؤَلَّفِ.

قال الشيخ الفقيه الجليل الفاضل أبو الحجاج يوسف ابن الشيخ^(١) رَحِمَهُ اللهُ تعالى في المعنى هذه الأبيات:

ذَهَبَ التَّصَوُّفُ وَامْتَحَتْ أَزْمَانُهُ وَمَضَى التَّخَوُّفُ وَانْقَضَى إِخْوَانُهُ
وَعَفَّتْ رُسُومُ الْعَابِدِينَ وَغَيَّرَتْ سُنَنُ الْوَفَاءِ وَأَقْفَرَتْ أَوْطَانُهُ
وَأَتَى أَنْاسٌ يَدْعُونَ بِأَنَّهُمْ أَهْلُ الصَّفَاءِ وَأَنَّهُمْ أَحْزَابُهُ
مَا شَغَلُهُمْ إِلَّا الْغِنَاءُ وَأَكْلُهُمْ مَضْرُوبُ^(٢) الطَّعَامِ وَهُمْهُمْ أَلْوَانُهُ
اتَّخَذُوا^(٣) التَّصَوُّفَ صَنْعَةً فَجَمِيعُهُمْ تَلْهُو يَدَاهُ وَقَلْبُهُ وَلِسَانُهُ
فَقَرَأَهُمْ يَحْكُونَ أَخْبَارَ الْأَوَّلِ^(٤) (يَتَوَاجَدُونَ وَلَا يُرَى)^(٥) بُرْهَانُهُ
أَيْنَ التَّخَوُّفُ وَالتَّخَشُّعُ وَالْبُكَاءُ لَوْ كَانَ خَوْفٌ ثُمَّ رِيَاءٌ^(٦) بَيَانُهُ؟
عَادَ الْبُكَاءُ ضِحْكًا وَصَارَ خُشُوعُهُ لَهُوًا فَيَبْدُو مَا يَحْزُ جَنَانُهُ
اسْمٌ بِلا جِنْسٍ وَفِعْلٌ كُلُّهُ زُورٌ وَمُنْكَرٌ (وَقَدْ بَدَأَ)^(٧) بُهْتَانُهُ
مَا كَانَ أَصْحَابُ التَّصَوُّفِ هَكَذَا بَلْ كُلُّهُمْ قَدْ ضَوْعِفَتْ أَحْزَانُهُ
أَمَّا النَّهَارُ فَصَائِمٌ وَصُمَاتُهُ أَفْكَارُهُ وَكَلَامُهُ قُرْآنُهُ
وَإِذَا أَتَاهُ اللَّيْلُ قَالَ لِصَحْبِهِ^(٨) قُومُوا فَقَامُوا كُلُّهُمْ أَعْوَانُهُ

(١) المعروف بهذا الرسم: الإمام القدوة المجاب الدعوة أبو الحجاج يوسف بن محمد بن عبد الله بن يحيى بن غالب البلوي المالقي المعروف بابن الشيخ (ت ٦٠٤ هـ)، لكنه متأخر عن المؤلف، وهو دليل على الزيادة، كما دل عليها التعقيب في قوله: «واعلم أن هذا الشرح الذي تكلم به الفقيه رحمه الله...»، ولم أجد هذه الأبيات في كتابه الحافل «ألف باء».

- (٢) كذا في الأصول. (٣) كذا في الأصول، والصواب: «تخذوا» لأجل الوزن.
(٤) في (ع): «الأولين». (٥) في (ع): «يتراقدون ولا يدري».
(٦) في (ع): «لهاء». (٧) في (ع): «قد يرى»، والشرط مكسور.
(٨) في (ع): «لأصحابه».

لَيْلًا تَفْتَحَ فِي الدُّجَى مِيدَانُهُ
(وَحَدِيثُهُمْ هَذَا هُدَيْتَ أَوَانُهُ
أَنْ عَمَّهُمْ^(٢) أَلْطَافُهُ وَحَنَانُهُ
مَا بَعْدَ ذَا يَأْتِيكُمْ بَيَانُهُ^(٤)
إِلَّا مَعَانِي الشَّعْرِ لَا أَوْزَانُهُ
رُغٌ وَالتَّفَجُّعُ وَلَا^(٦) أَلْحَانُهُ
قَدْ انْضَمَّتْ أَحْشَاءُهُ نِيرَانُهُ^(٧)
مُهْمَلَّةٌ بِدُمُوعِهِ أَجْفَانُهُ
وَيُعِيدُهُ رِفْقًا بِهِ إِحْسَانُهُ
أَرْجَاءُهُ فَتَضَعُضَعُ أَرْكَانُهُ
بِحَبِييبِهِ وَبِحُكْمِهِ دَوْرَانُهُ
فِيهِ تَعَالَى رَبُّهُ رَحْمَانُهُ
مَا يَسْتَقَرُّ قَرَارُهُ وَمَكَانُهُ
سُكْرٌ سِوَى حُبِّ بَدَا إِمْكَانُهُ^(٩)
دُبُّهُ قَوَاهُ فَيَسْتَوِي بَيَانُهُ^(١٠)
فَكَأَنَّهُ قَدْ حَلَّهَا جُثْمَانُهُ

صَلُّوا طَوِيلًا ثُمَّ قَالُوا اقْطَعْ بِنَا
وَاذْكُرْ مَقَامَ الصَّالِحِينَ وَحَالَهُمْ
فَيَقُومُ يَحْمَدُ^(١) رَبَّهُ وَيُريهِمْ
وَيَقُولُ: كَانَ الصَّالِحُونَ مِنْ أَمْرِهُمْ^(٣)
إِنْ أَنْشَدُوا شِعْرًا فَمَا مَقْصُودُهُمْ^(٥)
وَمُرَادُهُمْ مِنْهُ التَّخَشُّعُ وَالتَّضَرُّعُ
فَتَرَى الْمُرِيدَ أَخَا التَّحَنُّنِ وَالْهَمَا
وَتَرَاهُ ذَا كَرِبٍ وَهَمٍّ لَازِمٍ
خَوْفُ الْإِلَهِ أَطَارَ عَنْهُ لُبُّهُ
مَلَأَتْ مَخَافَتُهُ وَهَيْبَةُ عِزِّهِ
فَإِذَا يَدُورُ بِمَنْ تَعَلَّقَ قَلْبُهُ
لَيْسَ الْحَبِيبُ بِمَوْضِعٍ فَيُزَوِّرُهُ
فَيَتِيهِ مِنْ لَهْوٍ بِهِ مُتَحَيِّرًا^(٨)
وَإِذَا تَمَایَلَ قُلْتُ: سَكْرَانٌ وَمَا
وَإِذَا صَحَا فَتَشِيدُهُ مَا يَسْتَرِدُّ
فَتَرَاهُ يَذْكُرُ مَكَّةً وَنَسِيمَهَا

(١) في الأصول: «بحمد»، والمثبت من (و).

(٣) سقط من (ع).

(٥) في (ع): «مقصدهم».

(٧) كذا في الأصول، وهو مكسور وغير واضح المعنى.

(٩) في (ع): «مكانه».

(٨) في (ع): «متحيزًا».

(١٠) كذا في الأصول، والشرط مكسور.

(٢) في (ع): «لأصحابه».

(٤) كذا في الأصول.

(٦) كذا في الأصول.

وَكَاَنُ يَبْغِي الرَّحِيقَ بِزَمْزِمٍ
وَكَاَنُ تُرْبَتَهَا كَمِسْكَ أَذْفَرٍ
وَتَرَاهُ يَذْكُرُ يَثْرِبًا^(١) وَمُرَادُهُ
طَابَتْ بِهِ حَيًّا وَمَيِّتًا طَيِّبَةً
يَلُودُ بِهِ^(٢) قَبْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
وَتَرَى بِهِ آثَارَهُ فَكَأَنَّهَا
فَتَرَى الْمُرِيدَ كَاَنَّهُ فِي رَوْضَةٍ
فَبِذَاكَ يَنْعَمُ قَلْبًا^(٣) لَا كَالَّذِي
أَفَّ لِقَوْمٍ يَدْعُونَ بِأَنْ صَفَّوْا
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَنْقُضِي
يَا رَبِّ وَفَقْنَا لِفِعْلٍ صَالِحٍ
وَاعْفِرْ ذُنُوبَ الْمُذْنِبِينَ فَمَا لَنَا
ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ مِنْ قَائِلٍ

وَكَاَنُ أَخْشَبَهَا بِهَا بُسْتَانُهُ
وَكَاَنُ إِذْخَرَهَا بِهَا رِيحَانُهُ
مِنْهَا الرَّسُولُ وَصَحْبُهُ وَزَمَانُهُ
وَكَذَا^(٤) طَابَ بِطَيِّبِهِ جِيرَانُهُ
مَا بَيْنَ أَظْهَرِهِمْ فَهُمْ سُكَّانُهُ
لِلنَّاطِرِينَ الزَّائِرِينَ عِيَانُهُ
غَنَاءٌ أَعْقَبَ طَلَّهُ^(٥) تَهْتَانُهُ
قَدْ غَالَهُ^(٦) فِي فِعْلِهِ شَيْطَانُهُ
وَقُلُوبُهُمْ كُلٌّ عَلَيْهِ^(٧) رَأْنُهُ
أَبَدًا طُولَ الْهُدَى سُلْطَانُهُ^(٨)
تَرْضَى بِهِ يَا مَنْ تَعَالَى شَانُهُ
رَبِّ سِوَاكَ فَيُرْتَجَى غُفْرَانُهُ
شِعْرًا وَمَا قَدْ قَالَ خُطْبًا^(٩) بَنَانُهُ^(١٠)

(١) في الأصول: «يثرب» والمثبت من (و).

(٢) كذا في الأصول، والصواب: «كذلك» ليستقيم الوزن.

(٣) كذا في الأصول، وبه ينكسر الوزن.

(٤) في الأصل: «ظله»، والصواب ما أثبت. والتهتان: هو المطر المنتصب الهاطل بقوة.

(٥) كذا في الأصول، وبه ينكسر الوزن، ولعل الصواب: «قلبه».

(٦) في (ع): «عاله».

(٧) في (ع): «عليها».

(٨) كذا في الأصول، وهو منكسر الوزن وغير واضح المعنى.

(٩) كذا في الأصول، ولعل الصواب: «خَطَّ» ليستقيم الوزن والمعنى.

(١٠) لم أجد هذا الشعر فيما بحثت فيه، فهو من فوائد هذا الكتاب.

وقال غيره في المعنى أيضاً:

رَأَى الْوَلِيَّ تَبَسُّلٌ وَوَقَارٌ
وَحُلُوهُ^(١) مِنْ طُولِ الصِّيَامِ نُحُولُهُ
وَالْإِصْفِرَارُ يَزِينُهُ وَلَزُبُّمَا
فَانِيسُهُ بِنَهَارِهِ أَذْكَارُهُ
مُتَذَلِّلٌ فِي وَقْتِهِ تَرَاهُ
فَالْقَبْرُ تَبْكِي حِينَ تَفْقِدُ شَخْصَهُ
وَلَأَجْلِهِ يُحْيِي الْإِلَهَ عِبَادَهُ
وَإِذَا دَعَا يَوْمًا^(٢) بِدَفْعِ مُلِمَّةٍ
فَالْخَلْقُ أَجْمَعُهُمْ مَرِيضٌ مُدْنَفٌ^(٣)
سِيمَاهُ تَبْدُو إِنْ نَظَرْتَ لَوَجْهِهِ
يَا طَالِبًا لَهُمْ وَلَيْسَ تَرَاهُمْ
تَرْجُو لِحَاقَهُمْ وَأَنْتَ مُقَيَّدٌ
لَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ قَدَرَ مَا حَيَّتِهِ^(٤)
أَتَى إِلَى الْمَرْكُومِ شَمُّ أَزَاهِرٍ؟

وَلِبَاسُهُ الْخَلْقَانُ وَالْأَطْمَارُ
(وَدُمُوعُهُ مِنْ جَفْنِيهِ)^(٥) مِدْرَارُ
بِشْرَارِهَا تَتَزَيَّنُ الْأَقْمَارُ
وَجَلِيسُهُ فِي لَيْلِهِ الْجَبَّارُ
يَمْشِي وَقَلْبُهُ طَيَّارُ^(٦)
وَكَذَلِكَ الْأَنْعَامُ وَالْأَطْيَارُ
وَبِفَضْلِهِ تَنْتَزِلُ الْأَمْطَارُ
يُؤْذِي الظُّلُومَ وَيُقَمِّعُ الْجَبَّارُ
وَهُوَ اللَّطِيفُ الْمُشْفِقُ الرَّزَّازُ
صَفَتِ الْقُلُوبُ فَلَاحَتِ الْأَنْوَارُ
حَجَبَتِكَ عَنْهُمْ وَيَحَكُّ الْأَوَارُ
قَدْ أَخَّرْتَكَ عَنِ الْمُنَى الْأَعْدَارُ
لَجَزْتَ أَخِي مِنْ جَفْنِكَ^(٧) الْأَنْهَارُ
الثَّوبُ يَدْرِي قَدْرَهُ السَّمْسَارُ

(١) كذا في الأصول، وهو غير واضح المعنى.

(٢) في (ع): «ودمعه من جفنيه».

(٣) كذا في الأصول، والبيت مكسور.

(٤) سقط من (ع).

(٥) في الأصول: «دنف» والمثبت من (و).

(٦) في (و): «حيته» والمعنى غير واضح.

(٧) في (ع): «جفنيها».

فَاسْرِعْ إِلَى مَوْلَاكَ وَاسْأَلْ فَضْلَهُ
فَيَرَاخُ مِنْ فَرْطِ التَّبَاعُدِ وَالْقَلَى
فَجَنَابُهُ رَحْبٌ لِكُلِّ مُؤْمِلٍ
وَقَالَ فِي الْمَعْنَى أَيْضًا:

مُحِبٌّ لَهُ نَفْسٌ إِلَى اللَّهِ صَبَّةٌ
مُرِيدٌ لَهُ فِي الْعِلْمِ خَيْرُ إِرَادَةٍ
فَخَامَرَ حُبُّ اللَّهِ سَوْدَاءَ قَلْبِهِ
فَمَا يَصْحَبُ الْأَقْوَامَ إِلَّا بِحُبِّهِمْ
وَقَالَ فِي الْمَعْنَى:

يَا مَالِكَ الرَّقِّ قَدْ أَلْبَسْتَنِي أَرْقًا
لَوْلَا الَّذِي شَاهَدْتَ^(٤) عَيْنَايَ مِنْ حَسَنِ
وَعِنْدَمَا دَارَتْ الْأَقْدَاخُ قَالَ لَنَا
بَادِرٌ عَلَى فَرْسِ الْإِلْحَاحِ فِي غَلَسٍ
فَقُلْتُ: وَيَجِي وَمَا لِي فِي الْهَوَى قَدَمٌ
فَقَالَ لِي: لَا تَخَفْ نَحْنُ الْهُدَاةُ لِمَنْ
فَالزَّمْ مَوَدَّتَنَا وَاشْرَبْ مَحَبَّتَنَا
بِهِ الْفُؤَادُ إِلَى عَرْشِ الْفُؤَادِ رَقَى
جَلَّ الْمُصَابُ وَذَابَ الْجِسْمُ وَاحْتَرَقَا
إِنَّ الْمُدَامَةَ تُحْيِي الشُّوقَ وَالْقَلْقَا
لَا يَلْغُ الْوَصْلُ إِلَّا طَارِقُ طَرْقَا
وَكَيْفَ يَلْغُ مَنْ لَا يَعْرِفُ الطَّرْقَا؟
أَمَّ الطَّرِيقَ وَأَحْيَا الدَّجْنَ^(٥) وَالْعَسَقَا
فَلَيْسَ يُعْطَى الْمُنَى إِلَّا لِمَنْ صَدَقَا^(٦)

(١) كذا في الأصول، والشرط مكسور.

(٢) لم أجد هذا الشعر فيما بحثت؛ فهو من فوائد هذا الكتاب.

(٣) لم أجد هذا الشعر فيما بحثت؛ فهو من فوائد هذا الكتاب.

(٤) في (ع): «شهدت».

(٥) في الأصول: «الدجى»، والمثبت من (و).

(٦) لم أجد هذا الشعر فيما بحثت؛ فهو من فوائد هذا الكتاب، وإلى هنا تنتهي الزيادة.

اللَّهُمَّ يَا مَنْ اخْتَارَهُمْ لِمَحَبَّتِهِ، وَاصْطَفَاهُمْ لِعِبَادَتِهِ، وَقَرَّبَهُمْ بِإِرَادَتِهِ، نَوَّرْ قُلُوبَنَا، وَأَصْلَحْ سِرَائِرَنَا، وَاسْلُكْ بِنَا طَرِيقَهُمْ؛ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

يَا مَنْ قَسَا قَلْبُهُ، وَعَمِيَتْ بَصِيرَتُهُ، وَمَاتَ لُبُّهُ، ارْجِعْ عَنِ طَرِيقِ الْبَاطِلِينَ الْغَافِلِينَ، وَاتَّبِعْ آثَارَ أَهْلِ التَّحْقِيقِ الصَّادِقِينَ.

وَإِنْ كَانَ أَوْلَئِكَ الْأَوْلِيَاءُ قَدْ ذَهَبُوا إِلَى مَعْبُودِهِمْ، صَارُوا بِمَا تَعْبُوْا، فَقَدْ بَقِيتْ آثَارُهُمْ لَنَا وَأَخْبَارُهُمْ وَمَنَاقِبُهُمْ بِمَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنَ الْإِخْلَاصِ وَالصَّدَقِ.

فَلَا تَأْخُذْ طَرِيقَ هَؤُلَاءِ الْيَوْمَ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا وَأَضَلُّوا.

رُويَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ رِجَالٌ يَخْتَلِسُونَ^(١) الدُّنْيَا بِالْأَدِينِ، يَلْبَسُونَ لِلنَّاسِ جُلُودَ الضَّأْنِ مِنَ اللَّيْنِ، أَلْسِنَتُهُمْ أَحْلَى مِنَ السَّكَّرِ، وَقُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الذَّنَابِ، يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَبِي يَغْتَرُونَ؟ أَمْ عَلَيَّ يَجْتَرُونَ؟ فَبِي حَلَفْتُ لَا أَبْعَثَنَّ عَلَى أَوْلَئِكَ فِتْنَةً تَدْعُ الْحَلِيمَ فِيهِمْ حَيْرَانًا»^(٢).

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «مُرُّوا بِالْمَعْرُوفِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُمْ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًى مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤَثَّرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ! فَإِنَّ فِيهِمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، وَالصَّابِرُ فِيهِمْ كَالْقَابِضِ عَلَى الْجَمْرِ»^(٣).

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَيَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى مِنْ

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ.

(٢) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»، كِتَابُ الزُّهْدِ، رَقْمٌ: ٢٥١٥، قَالَ: «وَفِي الْبَابِ عَنْ ابْنِ عَمْرٍ».

(٣) رَوَاهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ثَعْلَبَةَ الْخَشَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَبُو دَاوُدَ فِي «السُّنَنِ»، كِتَابُ الْمَلَا حِمٍّ، بَابُ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ، رَقْمٌ: ٤٣٤١.

الإسلام إلا اسمه، ولا من القرآن إلا رسمه، مساجدهم عامرة وهي خراب من الهدى، علماؤهم شر من تحت أديم السماء، منهم خرجت الفتنة، وفيهم تعود^(١).

ويكى الفضيل رضي الله عنه يوما بكاء شديدا، فقيل له: ما يبكيك؟

فقال: ولم لا أبكي ولو رفعت الكعبة من بين أظهرنا ما استوحش منا أحد؟ هذه سنة الله وسنة رسوله قد رفعت^(٢).

وقيل لبعض الزهبان: لأي شيء قست قلوبنا، (وكثر ذنوبنا)^(٣)، ولا نتوب إلى ربنا؟

فقال: لأنكم تركتم الآخرة، وعملت أعمالا خاسرة، وتركتم العلم، وظهر منكم الظلم، وضيعتم الأمانة، وأظهرتم الخيانة، ودخلكم الكبر، وظهر فيكم الغدر، وضيعتم الصلوات، ومشيتم بالنميمات^(٤)، وظلمتم الأيتام، وجرتهم في الأحكام، وضيعتم الزكوات، وقطعتهم الصدقات، وتركتم صلة الأرحام، وعصيتهم الرحمن، وأطعتم الشيطان، وأكلتم الربا، وأطعتم النساء، وتعاملتم بالفجور، وشهدتم بالزور، وتواضعتم للأغنياء، وتكبرتم على الفقراء.

فقس قلوبكم، وكثرت ذنوبكم، فلا واعظ زاجر، ولا خائف ذاك، كلامكم حلو، وفعالكم مر، وألسنتكم باشة، وقلوبكم غاشة، فلا من الله تستحيون، ولا إلى الله تتوبون، فعمّا قليل تموتون فتسألون^(٥).

(١) رواه موقفا على علي رضي الله عنه: ابن أبي الدنيا في «العقوبات»، رقم: ٨، كما روي مرفوعا ولا يصح.

(٢) رواه بمعناه قريبا منه عن الفضيل بن عياض: الفاكهي في «أخبار مكة»، رقم: ١٥٠٦.

(٣) سقط من (ع). (٤) في (ع): «بالنميمة».

(٥) ذكره زين الدين الملياري في كتابه «الجواهر في عقوبة أهل الكبائر» (ص ٣٠، ٣١).

فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ، تُوبُوا إِلَى اللَّهِ، فَكَأَنَّ الْأَمْرَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ، وَقَدِمْتُمْ عَلَى رَبِّكُمْ،
فَلَا تُخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، فَهُمَا مِفْتَاحَانِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَلَا تَأْخُذُوا
بِمَا أَخَذَ الْبَطَّالُونَ، فَاهْرُبُوا مِنْهُمْ، وَفِرُّوا مِنْ مُخَالَطَتِهِمْ كَفَرَارِكُمْ مِنَ الْأَسَدِ.



فَصْلٌ فِي النَّهْيِ عَمَّا تَعْلَقَ بِهِ بَعْضُ النَّاسِ الْجَهَّالِ

ارْجِعْ واعلم رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ العلومَ أَرْبَعَةٌ: علمُ الرِّياسَةِ، وعلمُ السِّيَاسَةِ، وعِلْمُ الكِيَاسَةِ، وعِلْمُ التِّيَاسَةِ.

فَعِلْمُ الرِّياسَةِ: عِلْمُ الْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ مِنْهُ تَفَجَّرَتِ الْعُلُومُ، وَهُوَ الْأَصْلُ، وَهُوَ بَحْرُ الْعُلُومِ وَيَنْبُوعُ الْحِكْمِ، وَمَعْدِنُ السِّيَاسَةِ، وَمَغَاصُّ الْجَوَاهِرِ الْمَكْنُونَاتِ، فَأَلْفَاظُهُ ^(١) بَارِعَةٌ، وَأَيَاتُهُ مُعْجِزَةٌ، وَهُوَ الْهَادِي مِنَ الضَّلَالَةِ، وَالْحَاوِي لِمَحَاسِنِ الدُّنْيَا وَفَضَائِلِ ^(٢) الْآخِرَةِ.

لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ، وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ، وَهُوَ كِتَابُ اللهِ، فِيهِ نَبَأٌ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَخَبْرٌ مَا ^(٣) بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ، وَهُوَ حِبْلُ اللهِ الْمَتِينِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَهُوَ الصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، هُوَ الَّذِي ^(٤) لَا تَزِيغُ بِهِ الْأَهْوَاءُ، وَلَا تَلْتَبِسُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَلَا تَشْبَعُ مِنْهُ الْعُلَمَاءُ، وَلَا يَخْلُقُ عَنْ كَثْرَةِ الرَّدِّ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبُهُ.

هُوَ الَّذِي لَمْ تَتْلُهِ الْجَنُّ إِذْ سَمِعَتْهُ حَتَّى قَالُوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا * يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ﴾ [الجن: ١].

(١) فِي (ع): «بِأَلْفَاظٍ». (٢) سَقَطَ مِنْ (ع).

(٣) فِي (ع): «مَنْ». (٤) سَقَطَ مِنْ (ع).

مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أَجَرَ وَنَجَا، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ دَعَا إِلَيْهِ هُدًى، وَفَضَّلُ كَلَامِ اللَّهِ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ كَفَضَّلَ اللَّهُ عَلَى خَلْقِهِ.

وَعِلْمُ السِّيَاسَةِ: عِلْمُ الْفَقْهِ، وَالنَّظَرِ، وَالْبَحْثِ، وَالْاجْتِهَادِ فِي تَرْجِيحِ الْأَقْوَالِ، وَالْقِيَاسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَعَلَّقَ بِهِ.

وَعِلْمُ الْكِيَاسَةِ: عِلْمُ النُّحُوِّ وَالْعَرَبِيَّةِ؛ لِأَنَّهَا لِلْكَلَامِ كَالْمِلْحِ لِلطَّعَامِ، وَمَنْ عَلِمَ عِلْمَ النُّحُوِّ فَإِنَّهُ مَاهِرٌ جَدًّا؛ لِأَنَّهُ لَا يَتَغَيَّرُ بِهِ الْمَعْنَى فِي الْقِرَاءَةِ لِلْقُرْآنِ وَكُتُبِ الْفِقْهِ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ فَصَحَاءُ بُلْغَاءَ، وَبِلِسَانِهِمْ نَزَلَ الْقُرْآنُ، فَافْهَمَ، كَمَا قَالَ: [الكامل].

النَّحْوُ يَبْسُطُ مِنْ لِسَانِ الْأَلَكَنِ وَالْمَرْءُ تُكْرِمُهُ إِذَا لَمْ يَلْحَنِ
فَإِذَا أَرَدْتَ مِنَ الْعُلُومِ أَجْلَهَا فَأَجْلُهَا مِنْهَا مُقِيمُ الْأَلْسُنِ^(١)

وَعِلْمُ التِّيَاسَةِ: مَا جَرَى عَلَيْهِ الْبَطَالُونَ وَأَهْلُ الْمَقَامَةِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الْعَوَامَّ الْجِهَالَ بِالْبَاطِلِ، وَهُوَ عِلْمُ التَّرْيَاضِيِّ اصْطَلَحُوا عَلَى اسْمِهِ، مِنْهُ عِلْمُ الْخَطِّ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِبَابِهِ مِنَ الزُّورِ وَالْبُهْتَانِ وَالْكَذِبِ وَالِاشْتِرَاكِ لِلْغَيْبِ؛ إِذْ لَا يَأْخُذُ بِهِ إِلَّا الْجِهَالُ الْخَارِجُونَ^(٢) عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.



(١) رواه عن المبرد من إنشاده: الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع»، رقم: ١٠٧٨ (٢: ٢٨)، وهما في «الكامل» للمبرد (٢: ١٩) منسوبان إلى إسحاق، وفي مصادر أخرى نُسِبَ البيتان إلى إبراهيم بن خلف المهراني.
(٢) في (و): «الخارجين».

ضربُ الخطِّ من الأمور المحظورات التي ^(١) لا يحلُّ للمؤمن فعلها

فأما علمُ الرياسة، وعلمُ السياسة، وعلمُ الكياسة، فهي علومٌ محمودَةٌ العاقبة لمن تعلَّمها، وأراد بها وجهَ الله تعالى، فله العزُّ في الدنيا، والفوزُ بشرف الآخرة؛ لأنَّ بهذه العلوم قامت الشرائع على ساقٍ، وبها تعبَّد الله تعالى الخلق، واتضح الحقُّ، وزهق الباطلُ والنفاق، وتبينَ البرهان، ولاحت أنواره، وبقي ذكره وفخازه، وبها بُعث نبينا محمدٌ عليه السلام.

فمن خرج عن هذه العلوم، وما يتعلقُ ببابها إلى غيرها، فقد خرج عن السنة، وأخذَ طريقَ أهل البدعة.

وأما علمُ التياسة، وما يتعلقُ ببابه، فهو علمٌ مبتدعٌ، لا أصلَ له ولا فرع، وهو علمٌ ساسون^(٢) الغريب، كانَ قد صَنَّف كتابه، وذكرَ في كتابه من الباطل ما لا يحلُّ للمؤمن أن يأخذَ به ولا يرتكبه، وأشياء كثيرة، قد أخذَ بها العوامُّ والجهال^(٣).

(منها: دخول^(٤)) المرضى والزَّمنى لبعضِ العيون، ومن دَخَلها برأ من علته، وزعمَ أنها مَرَقِيَّةٌ نافعةٌ، وغيرُها.

(١) في (ع): «الذي».

(٢) لم أقف على ترجمته، و«ساسون» من أسماء اليهود.

(٣) وقع هنا تقديم وتأخير في الأصول.

(٤) في (ع): «منه حول».

ومنها: البهتان العظيم، وهو علمٌ اصطَلَحُوا على اسمه، يُسمونه: علمُ السر، بل هو العلمُ الجَهَنَّمي الذي لا يأخذُ به، ولا يرتكبه إلا مَنْ لا له عقلٌ ولا دينٌ، يبتغونَ بذلك المقامرةَ وأكلَ العوامِ الجَهِال.

ويزعمون أنهم يعلمون الغيبَ بذلك (من طريق) ^(١) مَنْ هُوَ زُهْرِيٌّ، دُرِّيَّةُ ^(٢) الزُّهرة، يَنْظُرُ في المِراةِ أو في الماء، يَظْهَرُ له في المِراةِ أو في الماء بزعمه حالُ المريض، وما بقي من مرضه، وما كان سببَ مرضه، ومتى يبرأ أو يموت، والعُشْبَةُ الفَلَاتِيَّةُ تنفعُ لدائه.

ويعلمُ بذلك النظرَ في المِراةِ أو في الماءِ الغائبَ بزعمه أنه يَحْيِلُ له كيفيةُ حاله من مريضٍ أو صحةٍ، أو رِيحٍ ^(٣) أو خسارةٍ، ومتى يَقْدَمُ الغائبُ.

ومن هذا الباطلِ كثيرٌ مما يُحْيَلُ ويُمَثَّلُ له في مِراةِ الهند ^(٤) أو في الماء، وهذا من علمِ الغيبِ، وقد أبى الله تعالى ألا يعلمَ الغيبَ غيرُه؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥] الآية.

وأما ضَرْبُ الخطِّ فهو مثلُ هذا، وأكثرُ كذبًا، يخبرُ فيه بالكائناتِ التي كانت، وما يكونُ من الأمور الغائبة، ومن عاقبةِ أمرِ المريضِ أو الغائبِ، ويخبرُ بالخيرِ والشرِّ، وهو خطأٌ صُراحٌ ^(٥).

(١) في (ع): «بطريق».

(٢) في (ع): «لديه»، يعني: نجمة الزهرة الكوكب المعروف.

(٣) في (و): «ريح».

(٤) سقط من (ع)، والمقصود: تلك المصنوعة في الهند، وفي الهند كانت المرايا من الأساليب الشعبية للتكهن، وتتضمن طقوسها الصوم وتعطير المرايا وقراءة التعاويذ. كذا في مقال

بعنوان: المرأة، تاريخ وأساطير ومعتقدات، منشور بتاريخ: ١٩ فبراير ٢٠١٠م.

(٥) في (و) و(ع): «سراح».

وإنما الغيبُ لله، ولا يعلمُ ما يكونُ ولا ما لا يكونُ إلا الله تعالى، فمن فعلَ هذا، أو زعمَ أنه يعلمُ الغيب، فقد ضلَّ ضلالاً بعيداً، كفى بالله عالماً، وكفى به حاكماً وشهيداً^(١)، (وهو الذي)^(٢) يُبرئ الأكمة والأبرص، وهو الضارُّ النافع. ومن كان طريقه المقامرة بهذه الأمور، فلا كثر^(٣) الله منه في الإسلام؛ فإنه لا يأخذ بهذه الأشياء إلا الجهال، فإياك ومخالطتهم ومجالستهم؛ فإنها من الغرور، ومن جالس الجهال، فقد أكثر من القيل والقال.

وقال الحكيم: الفتنُ عُقُوفٌ^(٤)، والبدعُ فُخُوحٌ، يسترُّها زخرفة الكلام، وهو الذي يزعمُ أنه يعلمُ الغيب، ويخبرُ بالأمورِ الكائنة الآتية من غير تفصيل، فهو جاهلٌ مبتدعٌ ضال.

فالحمدُ لله الذي لم يجعل سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجزِ عن معرفته، ولم يجعل سبيلاً إلى أحدٍ من خلقه أن يعلم الغيب إلا مَنْ شاء الله من خلقه، مثل أنبيائه ورسله، بواسطة الملك، فلا يحيطُ العبادُ بشيءٍ من علمه إلا بما شاء؛ أي: ما شاء هو أن يُعَلِّمَهُ.

﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، والمفتاح: عبارة عن كلٍّ معنًى يحلُّ غَلِقًا؛ محسوسًا كان كالقفَلِ على البيت، أو معقولاً^(٥).

والخيرُ يُفْتَحَانِ بِقِفْلِ الجَهِلِ^(٦)، وكلاهما موصلٌ إلى الغرضِ المقصود، والغيبُ عبارة عن كلِّ مُنْغَلَقٍ لا يُدْرِكُ حِسًّا ولا عَقْلًا، فكَمَا لا يُدْرِكُ^(٧) البصرُ ما وراءَ الجدار، ولا ما في البيتِ المغلَق.

(١) في (ع): «وشاهدًا».

(٢) سقط من (ع).

(٣) في (ع): «أكثر».

(٤) سبق شرحه.

(٥) في (و): «مقفولاً».

(٦) كذا في الأصول، ولعل ثمة سقطاً.

(٧) في (ع): «يدري».

ضرب الخط من الأمور المحظورات التي لا يحل للبؤمن فعلها

٢٤٥

كَذَلِكَ لَا تُدْرِكُ الْبَصِيرَةُ مَا وَرَاءَ الْمَحْسُوسَاتِ، وَالْمَحْسُوسَاتُ كُلُّهَا مُنْخَصِرَةٌ إِلَى طَرِيقٍ بِانْحِصَارِ الْحَوَاسِّ الْمَقْفُولَاتِ، لَا تَنْحَصِرُ طَرَفُهَا، وَلَا يَنْفَتَحُ غَلْقُهَا إِلَّا مِنْ قَسَمَيْنِ:

أحدهما: مَا يُدْرِكُ بِبِدْيَةِ النَّظَرِ وَانْتِهَائِهِ.

والقسم الثاني: الْمُنْخَصِرُ مِنْ سَبِيلِ النَّظَرِ الْمُؤَدِّي إِلَى الْعِلْمِ.

وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْغَيْبِ أَمْهَاتٍ خَمْسَ وَقَعَتِ الْإِشَارَةُ إِلَيْهَا، وَجَاءَتِ الْعِبَارَةُ عَنْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

فَهَذِهِ الْأَمْهَاتُ الْخَمْسُ تَفَرَّدَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِهَا وَبِعِلْمِهَا، وَلَمْ يَجْعَلْ سَبِيلًا إِلَى الْمَعْرِفَةِ بِهَا، فَعِلْمُ الْغَيْبِ عِنْدَهُ، وَبِيَدِهِ الطَّرِيقُ الْمَوْصِلَةُ إِلَيْهِ، لَا يَمْلِكُهَا^(١) أَحَدٌ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ، فَمَنْ شَاءَ اللَّهُ إِطْلَاعَهُ عَلَيْهَا أَطْلَعَهُ، (مَنْ شَاءَ)^(٢) مِنْ رُسُلِهِ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ١٧٩].

فَلَا مَطْمَعَ لِأَحَدٍ فِي دَرَكِهَا، لَا بَعْلَامَةٍ وَلَا أَمَارَةٍ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ رُسُلِهِ، فَمَنْ قَالَ: يَنْزِلُ الْغَيْثُ غَدًا، مِنْ عَادَةٍ أَوْ أَمَارَةٍ، لَا قَوْلٍ مُطْلَقٍ، فَهَذَا يُزَجَرُ عَنْ ذَلِكَ، وَيُؤَدَّبُ عَلَيْهِ لَا غَيْرَ، تَنْزِيهًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَنِ الْمَشَارَكَةِ فِي إِطْلَاعِ غَيْبِهِ.

وَهُوَ عِنْدَهُمْ مِنْ بَابِ سَدِّ الذَّرَائِعِ، لَا مِنْ بَابِ الْمَحْظُورِ، بِدَلِيلِ قَوْلِ

(٢) سقط من (ع).

(١) في (ع): «يمكنها».

النبي ﷺ: «إِذَا نَشَأَتْ^(١) بَحْرِيَّةٌ^(٢) ثُمَّ تَشَامَتْ، فَتِلْكَ عَيْنُ غَدِيْقَةٍ»^(٣).

ولم يُعَيِّنِ ﷺ ذلك بوحَيٍّ، وإنما هو من باب التجربة والعادة.

وأما مَنْ قال: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِ الْكَوْكَبِ وتأثيره. فهو بذلك كافرٌ بحكم الشرع؛ لقول النبي ﷺ: «قَالَ رَبِّكُمْ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قال: مُطَرْنَا بَنَوْ كَذَا فهو كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكب، وأما مَنْ قال: مُطَرْنَا بفضلِ الله وبرحمته فهو مؤمنٌ بي كافرٌ بالكوكب»^(٤).

فَكَفَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ ادَّعَى ذَلِكَ، وَنَسَبَهُ إِلَى الْكَوْكَبِ علامةً أو أمارَةً.

وأما مَنْ قال: إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ إِنْ ادَّعَى ذَلِكَ بِعِلْمٍ مُطْلَقٍ، فهو كافرٌ.

وإن قال ذلك بتجربةٍ أو أمارَةٍ سَبَقَ الْعُرْفُ بِهَا وَالْعَادَةُ، مِثْلُ أَنْ يَقُولَ الطَّيِّبُ: إِذَا كَانَ الثَّدْيُ الْأَيْمَنُ مُسْوَدًّا اللَّحْمَةِ^(٥)، فَاَلْمَوْلُودُ ذَكَرٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَيْسَرُ فِيهِ أَنْثَى، وَإِنْ كَانَتْ تَجَدُّ الْجَنْبِ الْأَيْمَنُ أَثْقَلَ مِنَ الْأَيْسَرِ فَاَلْمَوْلُودُ ذَكَرٌ، وَإِنْ كَانَ الثَّقُلُ فِي الْجَنْبِ الْأَيْسَرِ فَهِيَ^(٦) أَنْثَى.

وغيرُها من العلامات التي ادَّعَاهَا عَادَةٌ وَعَلَامَةٌ لَا وَاجِبًا فِي الْخَلْقَةِ، لَمْ يَكْفُرْ، وَلَكِنَّ السَّكُوتَ عَنْ هَذَا أَوْلَى وَأَيْسَرُ.

(١) في (ع): «أَنْشَأَتْ»، وهي رواية في الحديث.

(٢) في (و) و(ع): «بَحْرِيَّةٌ».

(٣) رواه مالك معلقًا، وهو من الأحاديث الأربعة التي جمع في وصلها الحافظ ابن الصلاح جزءه المشهور.

(٤) متفق عليه من حديث زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه.

(٥) كذا في الأصول، وهو صحيح، وهي الحلمة.

(٦) في (و): «فَهِ».

وَأَمَّا مَنْ ادَّعى عِلْمَ الْكَسْبِ فِي مُسْتَقْبَلِ الْعُمُرِ فَهُوَ كَافِرٌ، أَوْ أَخْبَرَ عَنِ الْكَوَائِنِ الْجُمْلِيَّةِ أَوِ التَّفْصِيلِيَّةِ الْمُسْتَأْنَفَةِ قَبْلَ كَوْنِهَا، فَلَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ أَيْضًا، فَإِنْ أَخْبَرَ عَنِ كَسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَقَدْ قَالَ عِلْمَاءُ الْفِقْهِ: يُؤَدَّبُ هَذَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يُكْفَرُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُدْرِكُ ذَلِكَ بِالحِسَابِ، فَلَمَعَرَفَتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ عَنْهُ تَوَقَّفَ الْعِلْمَاءُ فِي تَكْفِيرِهِمْ.

وَأَمَّا^(١) أَدَبُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَقُولُ: تَكْسِيفُ الشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرِ لَيْلَةً كَذَا، أَوْ يَوْمَ كَذَا يَكْسِيفُ مِنْهُ كَذَا، فَلَا دِخَالَهِنَّ الشَّكَّ عَلَى الْعَوَامِّ فِي تَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِالْغَيْبِ الْمُسْتَأْنَفِ^(٢)، وَلَا يَدْرُونَ الْفَرْقَ بَيْنَ هَذَا وَغَيْرِهِ، فَتَشْوشُ عَقَائِدُهُمْ فِي الدِّينِ، وَتَزَلْزَلُ قَوَاعِدُهُمْ فِي الْيَقِينِ، فَمُنْعَ قَائِلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَرَّابًا إِذَا عَرَفَهُ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ، وَلَا يُعْلَنُ^(٣) بِهِ.

فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ طَمَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى فِي وَجْهِهِ الْخَلْقِ، وَسَدَلَ الْحِجَابَ بَيْنَ عِلْمِ الْغُيُوبِ وَبَيْنَهُمْ؛ إِذْ لَا يَحِيطُونَ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ، فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَبْقَى مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الدَّالَّةِ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ، وَالْمَعَانِي الْمُنْبَثَةِ عَنِ الْكَوَائِنِ الْمُسْتَأْنَفَةِ أَسْبَابًا أَرْبَعَةً هِيَ أَيْضًا أُمَهَاتُ (لَا نَفْتَا حِ أَبْوَابِهِ)^(٤)، وَالْإِطْلَاقِ عَلَى مَا أَضْمَرَ مِنْهُ وَكَشَفَهُ مِنْ حِجَابِهِ.

فَالسَّبَبُ الْأَوَّلُ: الرُّؤْيَا وَهُوَ أَوَّلُهَا، وَعِلْمُ الْخَطِّ، وَالْفَأَلُ، وَالْفِرَاسَةُ وَالتَّحَدُّثُ وَالْإِلْهَامُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

فَهَذِهِ الْأَسْبَابُ الْخَمْسَةُ اسْتَشْنَاهَا^(٥) اللَّهُ تَعَالَى مِمَّا^(٦) أَخْفَاهُ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ،

(٢) فِي (و) وَ(ع): «الْمُسْتَأْنَفُ».

(٤) فِي (ع): «الْإِنْفَتَاحُ».

(٦) فِي (و): «مَا».

(١) فِي (ع): «وَأَمَّا».

(٣) فِي (و): «يُعْلَنُ».

(٥) فِي (ع): «اسْتَشْنَى».

وَأَذِنَ لِلخَلْقِ بِالنَّظَرِ فِيهَا، وَالْقَوْلِ بِمَدْلُولَاتِهَا، وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا غَرَضٌ مَعْلُومٌ، وَمَقْصِدٌ مَفْهُومٌ، وَبَابٌ عَلَى ^(١) حَالِهِ، وَلَهُ شُرُوطٌ تُعَيِّنُ عَلَى دَرَكِهَا، وَتُوصِلُ الْعَالِمَ الْمَلْتَزِمَ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِهَا.

وَقَدْ كَانَتْ أَيْضًا سَبِيلًا إِلَى مَعْرِفَةِ الْكَوَائِنِ الْكِهَانَةِ، إِلَّا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ ذَلِكَ، وَحَرَّمَهُ بِبَعْثِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَتَرَكَّبَ عَلَى هَذِهِ الْأَسْبَابِ: الزَّجْرُ وَالْفَالُ، وَهُوَ رَاجِعٌ إِلَى الْفَالِ وَمَنْدَرُجٌ تَحْتَهُ.

فَأَمَّا الرَّؤْيَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذِنَ فِي التَّعَلُّقِ بِهَا، وَالِاسْتِدْلَالِ مِنْهَا، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا (جُزْءٌ أَوْ بَعْضٌ) ^(٢) مِنْ مَعَالِمِ النَّبُوءَةِ، وَهِيَ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ ذَكَرَهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ^(٣).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [يونس: ٦٣]، هِيَ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الْمُؤْمِنُ أَوْ تُرَى لَهُ، وَيَكْفِي فِي شَرَفِهَا ذِكْرُ اللَّهِ تَعَالَى لَهَا، بِأَنْ جَعَلَهَا جُزْءًا أَوْ بَعْضًا مِنْ عَالَمِ النَّبُوءَةِ.

فَعَلِمُ التَّأْوِيلِ بَحْرٌ لَا سَاحِلَ لَهُ، وَالْكَلَامُ عَلَى تَفْصِيلِهِ طَوِيلٌ لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْكِتَابُ؛ لِلَاخْتِصَارِ وَالِاِقْتِصَارِ عَلَى الْمَعْنَى.

وَالسَّبَبُ الثَّانِي: عِلْمُ الْخَطِّ، وَهُوَ أَصْلٌ بِنَفْسِهِ، وَعِلْمٌ مُفْرَدٌ فِي بَابِهِ، وَأَصْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى فِي قَوْلِ بَعْضِ الْمَفْسَّرِينَ، فِي ^(٤) قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَتُتُونِي بِكِتَابٍ

(١) سقط من (ع). (٢) في (و): «جزءًا أو بعضًا».

(٣) رواه من حديث عبادَةَ بن الصَّامِتِ رضي الله عنه: التِّرْمِذِيُّ فِي «الْجَامِعِ»، أَبُوبَابِ الرَّؤْيَا، بَابُ أَنَّ رُؤْيَا الْمُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النَّبُوءَةِ، رَقْمٌ: ٢٢٧١، وَقَالَ: «حَدِيثٌ صَحِيحٌ».

(٤) سقط من (و).

مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَهُ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١﴾ [الأحقاف: ٤].

يُؤَثَّرُ وَيُنْقَلُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوبًا، فَإِنَّ الْمَنْقُولَ عَنِ الْحَفِظِ كَالْمَنْقُولِ عَنِ الْكِتَابِ، وَيُدْرِكُ وَيُسْتَنْبَطُ مِنْ عِلْمِ الْخَطِّ - وَهُوَ الضَّرْبُ فِي الرَّمْلِ - مَعْرِفَةُ الْكَوَائِنِ الْغَائِبَةِ عَنِ الْعِيَانِ.

وَيُرَوَّى ذَلِكَ كُلُّهُ ^(٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَخْطُ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ أَصَابَ» ^(٣).

فَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّ الْخَطَّ كَانَ لَذَلِكَ النَّبِيِّ جَائِزًا ^(٤)، وَأَنَّ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كَانَ يَفْعَلُهُ، وَقَدْ كَانَ جَعَلَهُ اللَّهُ لَذَلِكَ النَّبِيِّ عَلَامَةً عَلَى إِطْلَاعِهِ عَلَى مَا شَاءَ مِنْ غَيْبِهِ، كَمَا يُوحِي إِلَيْهِ بِالْوَاسِطَةِ، أَوْ يُكَلِّمُهُ بِغَيْرِ وَاسِطَةٍ، أَوْ يُلْقِيهِ فِي رُوعِهِ أَنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَأَجَلَهَا، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ.

وَالسَّبَبُ الثَّلَاثُ: الْفَرَاةُ، وَهُوَ أَصْلٌ بِذَاتِهِ، وَعِلْمٌ مُفْرَدٌ بِحَالِهِ، وَأَصْلُهُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]، مَعْنَاهُ: لِلْمُتَفَرِّسِينَ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ الَّتِي يُسْتَدَلُّ بِهَا عَلَى مَطْلُوبٍ غَيْرِهَا؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ يَمْدُحُ النَّبِيَّ ﷺ: [البسيط].

إِنِّي تَوَسَّمتُ الْخَيْرَ نَافِلَةً وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي صَادِقُ الْخَبَرِ ^(٥)

(١) بياض في (ع) و(و) بمقدار كلمة. (٢) سقط من (ع).

(٣) رواه من حديث معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: مسلم في «الصحیح»، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان، رقم: ١٢١.

(٤) في (و): «جائز».

(٥) كذا ورد البيت في الأصول، وقد نُسِبَ بلفظ آخر لعبد الله بن رواحة رضي الله عنه. ينظر: كتاب «أحكام القرآن» لابن العربي (٣: ١٠٦)، «تاريخ دمشق» لابن عساكر (٢٨: ٩٣) وفيهما: «توسمت فيك الخير ... صادق البصر».

وهي الفراسة، يقال: تفرست وتوسمت، وحقيقة الاستدلال بالخلق على الخالق سبحانه، وهو علم عظيم تركه الناس، كما قال أحد الصالحين: سبحانه من ظهر لخلقه بخلقه^(١).

وذلك أن الفراسة إنما تكون بشدة القريحة، وحدة الخاطر، وصفاء الذهن. روى الترمذي عن أبي سعيد الخدري؛ أن النبي ﷺ قال: «اتقوا فراسة المؤمن؛ فإنه ينظر بنور الله تعالى»^(٢)، وقد تقوى فراسة المؤمن بصفاء قلبه، وجودة قريحته، وصحة يقينه.

ومنها: ما يروى عن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: وكنت رأيت في الطريق امرأة، فتأملت محاسنها، فقال عثمان رضي الله عنه: أيدخل عليّ أحدكم وأثار الزنا ظاهرة^(٣) على عينيه^(٤)؟! فقلت: أوحى بعد رسول الله ﷺ؟ فقال: لا، ولكن تبصرة، وبرهان، وفراسة صادقة^(٥).

وقال أبو عمرو بن نجيد^(٦): كان شاه الكرمان^(٧) حاد الفراسة، وكان يقول: من غض بصره عن الحرام^(٨)، وأمسك نفسه عن الشبهات، وعمر باطنه

(١) ذكر مثل هذه العبارة ابن الجوزي في «المدھش» (ص ٢٨٦).

(٢) رواه الترمذي في «الجامع»، أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر، رقم: ٣١٢٧.

(٣) في (ع): «ظاهرًا». (٤) في (ع): «عينه».

(٥) «الرسالة القشيرية» (ص ٢٧٢).

(٦) في الأصول: «تحية»، وهو تصحيف، وأبو عمرو بن نجيد هو إسماعيل بن نجيد بن أحمد السلمي، توفي سنة ٣٦٥ هـ. «تاريخ الإسلام» للذهبي (٨: ٢٣٧).

(٧) هو أبو الفوارس شاه بن شجاع الكرمانى، كان زاهدًا، مات قبل الثلاث مئة. «تاريخ الإسلام» للذهبي (٦: ٩٥١).

(٨) في (ع): «المحارم».

بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة وأكل الحلال، لم تُخطئ فراسته^(١).

والسبب الرابع: الفأل، وهو الكلمة الطيبة يسمعها السامع من غير تعمّد من القائل، ولا استشراف ولا قصد؛ فإنه يستدل بها على ما يريد من الأمر إذا كان حسناً، فإن سمع مكروهاً فهو تطيّر.

أمره^(٢) الشرع أن يفرح بالفأل، ويمضي على أمره مسروراً به، وإذا سمع مكروهاً أعرض عنه، ولم يرجع لأجله، وقال كما علمه رسول الله ﷺ: «لا طيرة إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك»^(٣).

فيكون سماعه للفأل مفتاحاً لما يريدُه ويؤمله إذا نظر في ذلك بدين وصدق ويقين.

ومن حكمه: ألا يطلب الفأل، ولا يتأهب لسماعه حتى يسمعه الله له^(٤)، من غير قصد، ولا استشراف نفس، فحيث يكون دليلاً إلهياً، وحكماً شرعياً، يخبره الله تعالى بما أسمعُه، ويطلعه على ما غاب عنه.

وروي عن بعض الأدباء: الفأل والزجر والكهان كلهم مضلون^(٥)، ودون الغيب أفعال^(٦).

وهذا كلام صحيح إلا في الفأل؛ فإن الشرع قد استثناه، وأمر به، وأذن في

(١) رواه أبو نعيم الأصبهاني في «حلية الأولياء» (١٠: ٢٣٧).

(٢) في (ع): «أمر».

(٣) رواه من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: ابن السني في «عمل اليوم والليلة»، باب ما يقول إذا تطير من شيء، رقم: ٢٩٢.

(٤) سقط من (ع). (٥) في (ع): «مخلون».

(٦) «الكامل» للمبرد (١: ٢٥٥)، وفي «المجموع اللفيف» للعلوي (ص ٤٥٢) نسبته للخليل.

النظر في ذلك، ومما يدرك بالفعال عن مجموع الكلام^(١)، فيقضي السامع بمفهوم اللفظ، وما يعلم معناه^(٢)، وإن لم يكن المتكلم مريداً لذلك، ولا مُعبِّراً عنه.

مثال ذلك: ما جرى لعمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ إذ قال لرجل لقيه بطريق: ما اسمك؟ قال: جَمْرَة، قال: ابنُ من؟ قال: ابنُ شهاب، قال: مِمَّن؟ قال: مِنَ الحُرقة، قال: أَيْنَ مَسْكَنُكَ؟ قال: جَارِ النَّارِ، قال: بَأَيِّهَا؟ قال: بِذَاتِ لَظَى، قال عمر رضي الله عنه: أدرك أهلك فقد احترقوا^(٣).

فاجتمع له من هذه الأسماء بصفاء قلبه، وصحة يقينه ما أوجب احتراقهم، واستجمعت نفس عمر رضي الله عنه لذلك، وقضى به، فكان كما قال.

والسبب الخامس: التحدث والإلهام، وهما بمعنى واحد، وهو أن يحدث الرجل نفسه بشيء أو كائنة تكون له أو عليه، فيجد ذلك كما حدث نفسه، أو يلهمه الله تعالى لأمر يكون مدخله ومخرجه على يديه، فينطق به، فيقول: قد يكون في عاقبة هذا الأمر خيراً^(٤) من طريق كذا، أو يعرض له سبب كذا، فيكون كما قال.

وهذا السبب الخامس ليس هذا الكتاب مكانه؛ للاختصار الذي شرطنا، ولا من الواجب أن نذكر ههنا ما لا يسعه جهل الجاهل أن يسمعه، فإنه لا يحتمل أن يسمعه، وينكره الجاهل، فأعرضت عن ذكره، وكل ما ذكرته من هذه الأمهات وأقسامها والترك عن البحث على الغيب، إنما ذكرت ذلك على الاختصار بتقريب اللفظ واختصار المعنى.

(١) سقط من (ع)، والعبارة فيها تشويش. (٢) في (ع): «معنى».

(٣) رواه مالك في «الموطأ»، كتاب الاستئذان، باب ما يُكره من الأسماء، رقم: ٣٥٧٠.

(٤) كذا في الأصول.

ضرب الخط من الأمور المحظورات التي لا يحل للمؤمن فعلها

٢٥٣

أما السبب الثاني: وهو علمُ الخطِّ، فهو خارجٌ عن هذه الأسبابِ المأمورِ بها شرعاً؛ لأنّه لا يحلُّ فعله، ولا الأخذُ به.

وسنذكر ما قال فيه العلماء رضي الله عنهم.

فاعلم رحمك الله أن الأنبياءَ عليهم السلام لا يُقاس بهم غيرُهم من الناس، فإن الله تعالى يُحدثُ لأنبيائه ورسله ما شاء، وما رواه ابنُ عباس رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أن نبياً من الأنبياء كان يخطُّ بأصبعه في الأرضِ السبابةَ والوسطى، يخطُّ بها في الرَّمْلِ ويزجرُ.

وذلك أن الله تعالى أنزلَ على نبيِّه محمد ﷺ قوله تعالى: ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣].

أي: ما أحدثنا ذلك وأوجدناه قبل أن يكونَ إلا لإقامةِ الحقِّ والعدل في الخلقِ لأجلِ معلومٍ عنده تعالى، يُفنيه ويصيرُ معدوماً، وعندكم أصلٌ^(١) بقاء ذلك.

ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ﴾ [الأحقاف: ٣]، أي: الذين جحدوا توحيدَ الله، ولم يؤمنوا بالبعثِ بعد الموتِ مُعْرِضُونَ عن إنذارِ الله لهم، لا يعقلون، ولا يتفكرون^(٢) في آياتِ الله، فيعتبرون ويتفكرون ويزدجرون.

ثم قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾ [الأحقاف: ٤].

قل يا محمد لهؤلاء الكفار بالله من قومك: قل أرايتم أيها الناس، الآلهة التي^(٣) تعبدون من دون الله، أروني أي شيء خلقوا من الأرض؛ فإن ربي خلق الأرضَ كلّها، وخالتُ من في الأرضِ واحد.

(٢) في (و): «يفكرون».

(١) سقط من (ع).

(٣) في (و): «الذين».

فلأَيِّ شَيْءٍ عَبَدْتُمُ الْآلِهَةَ دُونَهُ؟ ولَأَيِّ شَيْءٍ آثَرْتُمْ عِبَادَتَهَا عَلَى عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى الَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ وَابْتَدَعَهَا، وَكُلُّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ غَيْرِ أَصْلٍ، أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِيمَا خَلَقَ مِنَ السَّمَوَاتِ؟ أَيْ: أَمْ لَأَلِهَتِكُمْ شِرْكٌ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ، وَيَكُونُ لَكُمْ بِذَلِكَ حُجَّةٌ فِي عِبَادَتِكُمُ الْآلِهَةَ مِنْ دُونِهِ؟

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَتُتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ هَذَا؟﴾ [الأحقاف: ٤]؛ أَيْ: جِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِّن قَبْلِ الْقُرْآنِ، فِيهِ أَنَّ أَلِهَتَكُمْ خَلَقَتْ شَيْئًا مِّمَّا فِي الْأَرْضِ، أَوْ خَلَقَتْ السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَوْ جِئْتُونِي بِأَثَارَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ.

قَالَ قَتَادَةُ: مَعْنَاهُ: أَوْ خَاصَّةً مِّنْ عِلْمٍ تَخْبِرُ أَنَّ أَلِهَتَكُمْ خَلَقَتْ شَيْئًا، أَوْ لَهَا شِرْكٌ فِي شَيْءٍ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جُبَيْرٍ وَالْحَسَنِ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَوْ عِلْمٌ تُثِيرُونَهُ فَتَسْتَخْرِجُونَهُ، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَوْ تَأْتُرُونَ بِهِ عِلْمًا عَنْ^(١) أَحَدٍ مَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿أَوْ أَثَرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾ [الأحقاف: ٤]؛ مَعْنَاهُ: أَوْ بَيِّنَةٍ^(٢) مِّنَ الْأَمْرِ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَأَبُو بَكْرِ بْنُ عِيَّاشٍ: مَعْنَاهُ: أَوْ بَقِيَّةٌ مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فِي دَعْوَاكُمْ مَا تَدْعُونَ، أَنَّ أَلِهَتَكُمْ مُسْتَحِقَّةٌ أَنْ تُعْبَدَ^(٣).



(١) فِي (ع): «عَلَى».

(٢) فِي (و): «هَيْئَةً».

(٣) تَنْظُرُ هَذِهِ الْأَقْوَالُ جَمِيعُهَا فِي كِتَابِ «الْهُدَايَةِ إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ» لِمَكِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ الْقَيْسِيِّ (٦: ٤٤١).

فصل

[في توجيه حديث الخط في الرمل]

اعلم^(١) رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ حَدِيثَ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّ نَبِيًّا كَانَ يَخْطُ فِي الرَّمْلِ، إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذَلِكَ عَلَمًا مِنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ، وَمُعْجَزَةٍ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ اخْتَصَّه اللهُ تَعَالَى بِهَا؛ لِيُطْلِعَ بِهَا عَلَى غَيْبِهِ كَمَا يُوحِي بِالْوَاسِطَةِ، يَخْتَصُّ مَنْ يَشَاءُ بِمَا يَشَاءُ.

وَالْأَنْبِيَاءُ وَالرُّسُلُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ لَهُمْ دَرَجَةٌ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى عَلَى قَدْرِ الرَّفْعَةِ وَالْجَاهِ وَالْعُلُوِّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ [البقرة: ٢٥٣] الْآيَةَ، وَقَالَ تَعَالَى فِي قِصَةِ إِدْرِيسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧]، وَقَالَ فِي قِصَةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَلَّمَ اللهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وَمِثْلُ هَذَا ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِنَا﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وَقَدْ أَعْطَى اللهُ أَنْبِيََاءَهُ وَرُسُلَهُ مِنَ الْمُعْجَزَاتِ وَالْكَرَامَاتِ وَالْعَصَمَةِ مَا لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، فَلَا يُقَاسُ بِهِمْ غَيْرُهُمْ.

وَأَمَّا السَّبَبُ الثَّانِي مِنَ الْأَسْبَابِ الَّتِي تَقَدَّمُ ذِكْرُهَا فِي الْخَطِّ، فَلَا سَبِيلَ إِلَيْهِ، فَإِنَّ ضَرِبَهُ وَالْأَخْذَ بِهِ مَغَامَرَةٌ وَبَاطِلٌ، فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَشْتَغَلَ بِهِ، وَلَا يُصَدِّقَهُ، وَأَهْلُهُ فِي عَمَى وَضَلَالَةٍ، يَأْكُلُونَ بِهِ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ.

(١) في (و): «فاعلم».

وَأَكْثَرُ مَا يَحْتَشِدُونَ عَلَيْهِ النِّسَاءَ، وَمَنْ لَا خَلَقَ لَهُ مِنَ الرِّجَالِ، وَالْخُلُوءُ
بِالنِّسَاءِ مَمْنُوعٌ بِالشَّرْعِ، وَمَنْهِيٌّ عَنْهُ؛ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «بَاعِدُوا بَيْنَ أَنْفَاسِ
الرِّجَالِ وَأَنْفَاسِ النِّسَاءِ»، وَ«خَيْرُ شَيْءٍ أَلَا يَزِينُ الرِّجَالُ، وَلَا يَرَاهُنَّ الرِّجَالُ»^(١)،
و«لَا يَخْلُونَ أَحَدُكُمْ بِامْرَأَةٍ غَيْرِ ذِي مُحَرَّمٍ إِلَّا وَالشَّيْطَانُ ثَالِثُهُمَا»^(٢). يُهَيِّجُ الْفِتْنَةَ
بَيْنَهُمَا، لَا سِيَّمَا خَلُوتَهُنَّ مَعَ الْحُسَابِ وَأَهْلِ الْمَقَامَرَةِ، نَسَأَ اللَّهُ تَعَالَى الْعَصْمَةَ
مِنَ الْعَقَائِدِ الْفَاسِدَةِ وَالْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ.

فَالْخَطُّ بَاطِلٌ، وَالْكَلَامُ عَلَيْهِ كَذِبٌ وَبُهْتَانٌ، وَطَرِيقُهُ طَرِيقُ أَهْلِ الْغُرَافَةِ^(٣)
وَالْمَهْرَتَيْنِ^(٤)، وَهُمُ أَصْنَافٌ مُخْتَلِفَةٌ، مِنْهُمْ مَنْ يَضْرِبُ الْخَطَّ، وَيَتَكَلَّمُ عَلَيْهِ
بِالْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَشْتَغَلُ بِالذَّرَارِي وَرُوحَانِيَّتِهَا.

وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَعَهُمْ أَسْرَارًا^(٥) يَتَكَلَّمُونَ بِهَا عَلَى مَنْ هُوَ زَهْرِيٌّ^(٦)، وَيَنْظُرُ

(١) تقدم تخريجهما.

(٢) رواه من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: الترمذي في «الجامع»، كتاب الفتن، باب ما جاء
في لزوم الجماعة، رقم: ٢١٦٥.

(٣) في (ع): «الغرفة»، قال في «تكملة المعاجم العربية» (٧: ٣٩٨): آلة لتنقية القنوات
والجداول، وهي مثلث متساوي الأضلاع من الخشب طول الضلع منها ثمانية ديسيمترات
تقريبًا، ولها حافات، ارتفاع الحافة منها ٢٢ ديسيمتر على أطرافها.

(٤) قال في «تكملة المعاجم العربية» (١١: ١٢): الهرطقة: البدعة في الدين، يونانيته: هرسيس،
ومعناها: الأخذ والتمسك، وهي من مصطلحات النصارى، وربما قالوا: هرطقة، وصاحبها
هرطوقي، ويقال في جمعها: هراطقة وأراتقة، ويبنون من ذلك فعلًا فيقولون: هرطقي؛ أي:
نسبة إلى هرطقة.

(٥) في (و): «أسرار».

(٦) في (ع): «الغرفة»، قال في «تكملة المعاجم العربية» (٥: ٣٧٥): ضارب الرمل لكشف
الغيب، وهذا الاسم الذي يطلق في الأصل على خادم كوكب الزهرة، قد أطلقه الفلكيون =

في المرأة، ويتكلم عليه بذلك السر، فيظهر له في المرأة الكائنات المغيبة، من غائب هل هو ميت أو حي؟ أو هل ربح في تجارته أو خسر؟ أو هو مريض أو صحيح؟ أسير هو أم قتل^(١)؟ أغريق هو في البحر أم سالم؟ ومن ضلت له دابة أو تلف له شيء من الأسباب.

ينظر ذلك الذي يزعم أنه زهري في مرآة الحديد أو في الماء، ويزعم أنه يصور له ذلك الشيء في مرآة الهند أو في الماء، بعد أن يقرأ عليه بذلك السر، وتظهر له الأمور المغيبة، وهذا خطأ صراح^(٢)، وبهتان غير مباح.

وقد ذهب كثير من الباطل يبعث النبي محمد ﷺ إلى أن توفي وقبضه الله إلى رحمته ورضوانه، وبقي الخلفاء الراشدون المهديون، والتابعون^(٣) وأحداث التابعين والعلماء والفقهاء القائمين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، والأئمة رضوان الله عليهم أجمعين، ينكرون جميع ما ذكرناه إنكاراً بيّناً، ويرونه غير جائز، وفعله والأخذ به والأجرة عليه حراماً^(٤).

ولم تأت الشريعة البيضاء بذلك كله، وإنما استنبطه المنجمون - أي: كل ما ذكرناه من الخط وشبهه - لعلم المغيبات، وهم أوعية سوء، أكلوا به أوساخ الناس العوام بالباطل^(٥)، وحسبك أن ضارب الخط والأخذ به، ومثله من

= على ضارب الرمل؛ لأن هناك تشابهاً كبيراً بين طريقتهم وبين طريقة ضاربي الرمل؛ لأن هذا الكوكب فيما يقولون يرشد إلى معرفة الأشياء الخفية، ويعتمد على زمن الولادة أساساً لذلك.

(١) في (ع): «مقتول».

(٢) في (و) و(ع): «سراح».

(٤) في (ع): «حرام».

(٣) في (ع): «والتابعين».

(٥) سقط من (ع).

طريق الغُرَافَةِ^(١) بالتَّوْهِيدِ^(٢) والمَقَامَرَةِ والمَغَالِطَةِ، والكُفْيَةِ^(٣) بِالسُّتْهِمِ، وَقَوْلِ
الْبَهْتَانِ وَالْكَذِبِ لِلْعَوَامِ.

وَلَوْلَا التَّطْوِيلُ لَذَكَرْتُ مَذَاهِبَهُمْ وَخَدَائِعَهُمْ وَمَا هُمْ أَوْلَثُكَ عَلَيْهِ مِنَ
الْبَاطِلِ، وَلَرَأَيْتَ عَجَبًا، وَلَكِنْ ذَكَرْتُ مَا فِيهِ الْكُفَايَةُ.

ثُمَّ إِنَّهُمْ يُخْرِجُونَ مِنْ ضَرْبِ الْخَطِّ إِلَى أُمُورٍ شَنِيعَةٍ وَأَقْوَالٍ مُنْهَالَةٍ^(٤) لَا
تَصْلُحُ، وَلَا يَجُوزُ لِمُؤْمِنٍ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهَا، فَمِنْ ذَلِكَ: يَقُولُونَ:
إِذَا^(٥) حَلَّ الدَّرِيُّ الْفُلَانِي بِالْبَرْجِ الْفُلَانِي، وَقَطَعَ فِيهِ كَذَا وَكَذَا دَرَجَةً، يَكُونُ
كَذَا، وَيَتَّفِقُ كَذَا فِي هَذِهِ السَّنَةِ، كَذَا يَتَكَلَّمُونَ بِالْغَلَاءِ فِي الْأَسْعَارِ وَرُخْصِهَا،
وَهَذِهِ السَّنَةُ قَلِيلَةُ الْمَطَرِ، وَالسَّنَةُ الْآتِيَةُ^(٦) يَكُونُ فِيهَا الْقَحْطُ الشَّدِيدُ الْمَهْلِكُ.

وَيُخْبِرُونَ عَنِ الْفِتَنِ الْآتِيَةِ وَالْقَتْلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفُجُورِ، يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ
يَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كُتُبِهِمْ، وَأَنَّ الدَّرَارِي الْخَمْسَةَ هِيَ الْفَاعِلَةُ بِذَاتِهَا، وَأَنَّهَا تُدَبِّرُ
وَتَحْكُمُ بِأَشْيَاءَ فِي الْأُمُورِ الصَّعْبَةِ الَّتِي لَا يُدَبِّرُهَا وَلَا يَحْكُمُ فِيهَا كَيْفَ يَشَاءُ وَبِمَا
يَشَاءُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ إِلَّا اللَّهَ وَحْدَهُ، لَا يَشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَتَعَالَى اللَّهُ
عَمَّا يَقُولُونَ غُلُوءًا كَبِيرًا؛ أَي: يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يُخْرِجُونَ ذَلِكَ بِتَعْدِيلِ الْكَوَاكِبِ
وَالزِّيَّجَاتِ وَالْحِسَابِ، يُهَوِّشُونَ بِذَلِكَ الْكَلَامِ عَقُولَ الْعَوَامِ، وَيَصْدَقُونَهُمْ.

(١) فِي (ع): «الْعُرْبَةُ».

(٢) التَّوْهِيدُ: مُصَدَّرٌ وَهَذِهِ، أَي: وَطَأَهُ وَطَامَنَهُ. «شَمْسُ الْعُلُومِ وَدَوَاءُ كَلَامِ الْعَرَبِ مِنَ الْكَلُومِ»
لِلْحَمِيرِيِّ (١١: ٧٣١٤).

(٣) الْكُفْيَةُ: هِيَ الْقُوَّةُ، أَي: أَنَّهُمْ يَطْلُبُونَ قُوَّتَهُمْ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ. «شَمْسُ الْعُلُومِ» لِلْحَمِيرِيِّ
(٩: ٥٨٥٨).

(٥) فِي (و): «إِذَا».

(٤) فِي (ع): «مَهَاتَةٌ».

(٦) فِي (ع): «الثَّانِيَةُ».

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ صَدَّقَ كَاهِنًا أَوْ عَرَافًا أَوْ مُنْجِمًا، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ^(١)»، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ أَتَى عَرَافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ، حَبِطَ عَمَلُهُ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً»^(٢).

وقال الشاعر:

عِلْمُ النُّجُومِ وَالْحِسَابِ^(٣) سَفَاهَةٌ تَدْعُو إِلَى التَّعْطِيلِ وَالبُهْتَانِ
وقال عليه السلام: «تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمْسُكُم بِهِمَا:
كِتَابُ اللَّهِ، وَسُنَّةُ رَسُولِهِ»^(٤).

فَمَنْ تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ أَوْ عَمِلَ عَمَلًا لَا يُوَافِقُ كِتَابَ اللَّهِ، وَلَا سُنَّةَ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ
ﷺ، وَلَا قَوْلَ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمُهْدِيِّينَ، وَلَا قَوْلَ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ،
فَهُوَ مُرَدُّودٌ؛ لِأَنَّهُ بَدْعٌ وَضَلَالَةٌ، وَالبَدْعُ وَالضَّلَالَةُ فِي النَّارِ، فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي
تَعَبَّدْنَا بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَجَعَلَهُمَا دَلِيلَيْنِ وَقَائِدَيْنِ بِنَا إِلَى دَارِ السَّلَامِ.



(١) رواه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨: ٢٤٦).

(٢) رواه بمعناه مسلم في «صحيحه»، كتاب السلام، باب تحريم الكهانة وإتيان الكهان،

رقم: ٢٢٣٠.

(٣) كذا بالأصل، وقد دخل الوقص في تفعيلة الكامل وهو قبيح.

(٤) تقدم تخريجه.

فَضْلٌ

[في علم النجوم]

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللَّهُ أَنَّ هَذَا الْعِلْمَ الَّذِي تَقْدَمُ ذِكْرُهُ - وَهُوَ عِلْمُ النُّجُومِ - إِنَّمَا هُوَ عِلْمٌ مَذْمُومٌ غَيْرُ مَبَاحٍ إِلَّا مَا تَعَلَّقَ بِهِ مِنْهُ أَهْلُ السُّنَّةِ، إِذْ لَا بَدْءَ مِنَ الْعِلْمِ بِهَا، وَمَعْرِفَةٌ مَا خَفَ مِنْهَا، لِإِقَامَةِ السُّنَّةِ وَالْعِبَادَةِ لِأَوْقَاتِ الصَّلَوَاتِ، فَإِنَّهَا تَحْضُرُ عَلَى الْعِبَادَةِ، لَا سِيَّمَا الصَّالِحُونَ وَالْعِبَادُ أَصْحَابُ الْأَوْرَادِ لِقِيَامِ اللَّيْلِ، وَلِمَعْرِفَتِهِمْ بِسَاعَاتِ اللَّيْلِ فِي الْآلَاتِ الْمُسْتَعَدَّةِ لِأَخْذِ الْأَوْقَاتِ بِهَا، لَا سِيَّمَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ بِالْاجْتِهَادِ وَالْقِيَامِ لِلشُّحُورِ، وَمَعْرِفَةِ الْفُصُولِ الْأَرْبَعَةِ بِدُخُولِ الصَّيْفِ وَالْخَرِيفِ، وَفَصْلِ الشِّتَاءِ وَفَصْلِ الرَّبِيعِ، وَمَعْرِفَةِ السَّنِينَ الْعَجَمِيَّةِ وَالْعَرَبِيَّةِ.

فَقَدْ صَنَّفَ الْعُلَمَاءُ أَهْلُ السُّنَّةِ بِذَلِكَ كِتَابًا، لَا سِيَّمَا مَنْ رَتَّبَ نَفْسَهُ بِالْأَجْرِ لخدمةِ الْمَسَاجِدِ وَالصَّلَاةِ فِيهَا بِالْجَمَاعَةِ وَالْأَذَانِ، فَمَنْ كَانَ عَلَى هَذِهِ الْحَالَةِ، فَلَا بَدْءَ لَهُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ الَّذِي لَا بَدْءَ مِنْهُ لِإِقَامَةِ الْعِبَادَةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيْتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجَّ﴾ [البقرة: ١٨٩]، وَهَذِهِ الْمَوَاقِيْتُ لَا بَدْءَ مِنْ مَعْرِفَتِهَا، وَمَعْرِفَتُهَا لَا تَكُونُ إِلَّا بِطَلَبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ عِلْمٌ مَحْمُودٌ مَبَاحٌ، قَدْ أَخَذَ بِهِ أَهْلُ السُّنَّةِ.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ^(١) الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ

(١) فِي الْأَصُولِ: «خَلَقَ».

مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴿يونس: ٥﴾ أي: قَدَّرَ القمرَ ذَا مَنَازِلَ، لَا يَقْصُرُ دُونَهَا، وَلَا يَجَاوِزُهَا، يَكُونُ كُلُّ لَيْلَةٍ بِمَنْزِلَةٍ مِنَ النُّجُومِ، وَذَلِكَ (لثَمَانِيَةِ وَعِشْرِينَ) ^(١) مَنْزِلَةً.

وهو قوله: ﴿وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ﴾ ^(٢) مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴿يونس: ٥﴾ أي: فَعَلَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ، يَعْنِي: دُخُولَهَا ^(٣) وَخُرُوجَهَا وَحِسَابَهَا، ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ ^(٤) [يونس: ٥]، وَلَا تَعْلَمُونَ دُخُولَهَا وَخُرُوجَهَا إِلَّا بِالطَّلَبِ وَالتَّعْلَمِ، وَهُوَ مَبَاحٌ طَلَبُ الْعِلْمِ لَهَا.

وَقَالَ تَعَالَى ذِكْرَهُ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتَيْنِ فَمَحْوَنًا آيَةً اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ١٢] الْآيَةِ، مَعْنَاهُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى عَرَّفَ عِبَادَهُ نِعَمَتَهُ عَلَيْهِمْ، فَمِنْ نِعَمَتِهِ أَنْ جَعَلَ اللَّيْلَ مُخَالَفًا لِلنَّهَارِ؛ لِيَسْكُنُوا فِي اللَّيْلِ، وَيَتَصَرَّفُوا فِي مَعَايِشِهِمُ الَّتِي قُدِّرَتْ لَهُمْ بِالنَّهَارِ، وَلِيَعْلَمُوا عَدَدَ سِنِينِهِمْ، وَحِسَابَ سَاعَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ.

أَرَادَ اللَّهُ جَلَّ ذِكْرُهُ بِذَلِكَ لِيُعْرِفَ اللَّيْلُ مِنَ النَّهَارِ، وَلِتُعْرِفَ السُّنُونُ ^(٤) وَالشُّهُورُ وَالْأَجَالُ وَالْحَجُّ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

فَمَنْ خَرَجَ عَنْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُ مِنْ هَذَا الْعِلْمِ كُلَّهُ إِلَى غَيْرِهِ مِنْ عِلْمِ أَهْلِ التَّنْجِيمِ الَّذِينَ هُمْ خَرَجُوا بِهِ عَنْ طَرِيقِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ، فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ، وَخَرَجَ عَنْ أَهْلِ السَّنَةِ وَالْكِتَابِ، وَهُوَ مَأْثُومٌ مَغْبُوثٌ مَخْذُولٌ؛ لَخُرُوجِهِ عَنِ الْكِتَابِ وَالسَّنَةِ إِلَى عِلْمٍ يَضُرُّهُ وَلَا يَنْفَعُهُ.

(١) فِي (ع): «ثَمَانِيَةِ وَعِشْرُونَ». (٢) فِي الْأَصُولِ: «وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ».

(٣) بَيَاضٌ فِي (و). (٤) فِي (و): «السِّنِينَ».

ونسأل الله تعالى العصمة والسلامة من الخذلان، وارتكاب البدع. والنظر في النجوم لعلم المغيبات، لا يصلح لأنه إشراك وفضول؛ إذ لا يعلم الغيب، ما كان وما هو كائن إلا الله وحده سبحانه، كما قال القائل في هذا المعنى وقد صدق: [الوافر].

يا طلاب^(١) النجوم اتحملونا على علم أرق من الهباء
علوم الأرض لم^(٢) تصلوا إليها فكيف بكم إلى علم السماء؟^(٣)
قال رسول الله ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلون به أرحامكم، وتعلموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البر والبحر، وتعلموا من العربية ما تقرأون به القرآن، ثم انتهوا»^(٤).

فمن ادعى علم الغيب، وقال: ينزل الغيث غدا من عادة وأمرة، لا قول مطلق، فهذا يزجر عن ذلك ويؤذّب لا غير، تنزيهاً لله سبحانه عن المشاركة في اطلاع غيبه، وهو عندهم من باب سدّ الذرائع، لا من باب المحذور، بدليل قول النبي عليه السلام: «إذا أنشأت بحرية ثم تشامت فتلك عين غديقة»^(٥)، ولم يقيد ﷺ ذلك بوحى^(٦)، وإنما هو من باب التجربة.

(١) كذا في الأصول، وهو مكسور. (٢) في (ع): «لن».

(٣) ينسب هذان البيتان إلى علي رضي الله عنه كما في «غذاء الألباب» للسفاريني (١: ٢٤٨)، ونسبهما الصفدي في «الوافي بالوفيات» (٢٩: ١٠٠) إلى ابن عبد البر القرطبي رحمه الله.

(٤) رواه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: البيهقي في «الجامع لشعب الإيمان»، فصل في فضل العلم وشرف مقداره، رقم: ١٥٩٤، وروي بعضه موقوفاً على عمر رضي الله عنه كما في «مسند عمر بن الخطاب» للنجاد، رقم: ٤١.

(٥) تقدم تخريجه. (٦) في (ع): «بوجه».

وأما من قال: إِنَّ ذَلِكَ مِنْ فَعْلِ الْكُوكِبِ وتأثيره، فهو بذلك كافرٌ بحكم الشَّرْع؛ لقولِ النبي عليه السلام: «قَالَ رَبِّكُمْ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وكافرٌ، فأما مَنْ قال: مُطَرْنَا بِنَوْءٍ كَذَا فهو كافرٌ بي، مؤمنٌ بالكوكب، وأما مَنْ قال: مُطَرْنَا بِفَضْلِ اللَّهِ وبرحمته، فذلك مؤمنٌ بي وكافرٌ بالكوكب»^(١).

فَكَفَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ ادَّعَى ذَلِكَ وَنَسَبَهُ إِلَى الْكُوكِبِ مِنْ غَيْرِ عِلَامَةٍ أَوْ أَمَارَةٍ.

وأما مَنْ قال: إِنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ، إِنْ ادَّعَى ذَلِكَ بِعِلْمٍ مُطْلَقٍ فَهُوَ فِي ذَلِكَ كَافِرٌ، وَإِنْ قَالَ ذَلِكَ بِتَجْرِبَةٍ أَوْ أَمَارَةٍ سَبَقَ الْعُرْفَ بِهَا، مِثْلَ أَنْ يَقُولَ الطَّيِّبُ: إِذَا كَانَ الثَّدْيُ الْأَيْمَنُ مُسَوِّدًا لِلْحِمَةِ فَالْمَوْلُودُ ذَكَرٌ، وَإِنْ كَانَ الْأَيْسَرُ فَهُوَ أُنْثَى، وَإِنْ كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَجِدُ الْأَيْمَنَ مِنَ الْجَنْبِ أَثْقَلَ مِنَ الْأَيْسَرِ، فَالْمَوْلُودُ ذَكَرٌ، وَإِنْ كَانَ (الثَّقَلُ فِي الْجَنْبِ)^(٢) الْأَيْسَرُ فَهُوَ أُنْثَى، وَغَيْرُهَا مِنَ الْعِلَامَاتِ الَّتِي ادَّعَاهَا أَمَارَةٌ وَعِلَامَةٌ، لَا وَاجِبًا فِي الْخِلْقَةِ، لَمْ يَكْفُرْ، وَلَكِنْ السَّكُوتُ عَنْ هَذَا أَوْلَى وَأَيْسَرُ.

وأما مَنْ ادَّعَى الْكَسْبَ فِي مُسْتَقْبَلِ الْعُمُرِ فَهُوَ كَافِرٌ، (وَأَمَّا مَنْ أَخْبَرَ)^(٣) عَنِ الْكَوَائِنِ الْجُمْلِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ الْمَسْتَأْنَفَةِ قَبْلَ كَوْنِهَا، فَلَا شَكَّ فِي تَكْفِيرِهِ أَيْضًا، فَإِنْ أَخْبَرَ بِكَسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، فَقَدْ قَالَ عُلَمَاءُ الْفَقْهِ: يُؤَدَّبُ هَذَا عَلَى ذَلِكَ، وَلَا يُكْفَرُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ يُدْرِكُ ذَلِكَ بِالحِسَابِ. [٦٠: ب].

(١) تقدم تخريجه.

(٢) سقط من (ع).

(٣) بياض في (و).

فَلَمَعْرِفَتِهِمْ وَصِدْقِهِمْ فِيمَا يُخْبِرُونَ عَنْهُ تَوَقَّفَ الْعُلَمَاءُ فِي تَكْفِيرِهِمْ، وَأَمَّا
أَدَبُ ذَلِكَ الرَّجُلِ الَّذِي يَقُولُ: تَكْسِيفُ الشَّمْسِ أَوْ الْقَمَرُ لَيْلَةٌ كَذَا أَوْ يَوْمٌ كَذَا،
وَيَكْسِيفُ مِنْهُ كَذَا، فَلَا دَخَالَهِنَّ الشَّرْكَ عَلَى الْعَوَامِ^(١) فِي تَعَلُّقِ الْعِلْمِ بِالْغَيْبِ
الْمُسْتَأْنَفِ^(٢)، لَا يَدْرُونَ قَدَرَ الْفَرْقِ بَيْنَ هَذَا وَغَيْرِهِ، فَتَشْوشُ عَقَائِدُهُمْ فِي
الَّذِينَ، وَتَنْزِلُ قَوَاعِدُهُمْ فِي الْيَقِينِ.

فَمَنْعَ قَائِلُ ذَلِكَ مِنْهُ حَتَّى يَكُونَ مُسْتَرْتَابًا إِذَا عَرَفَهُ أَوْ أَخْبَرَ عَنْهُ، وَلَا يُعْلِنُ
بِهِ، فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ هَذَا الْبَابَ طَمَسَهُ اللَّهُ فِي وَجْهِ الْخَلْقِ، وَسَدَلَ^(٣) الْحِجَابَ بَيْنَ
عِلْمِ الْغُيُوبِ وَبَيْنَهُمْ؛ إِذْ لَا يَحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ.

فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ أَبْقَى مِنْ هَذِهِ الْأَسْبَابِ الدَّالَّةِ عَلَى عِلْمِ الْغَيْبِ
وَالْمَعَانِي الْمُنْبِئَةِ عَلَى الْكَوَائِنِ اسْتِثْنَاءً^(٤) أَسْبَابًا خَمْسَةً، هِيَ أَيْضًا أَمَهَاتُ
لَا نَفْتَا حِ ابْوَابِهِ، وَالْإِطْلَاحِ عَلَى مَا أَضْمَرَ مِنْهُ، وَكَشَفَهُ مِنْ حِجَابِهِ.

فَالسَّبَبُ الْأَوَّلُ: الرُّؤْيَا، وَالْفَأَلُ، وَالْفَرَاةُ، وَالتَّحْدِثُ، وَالْإِلْهَامُ، وَهِيَ
بِمَعْنَى وَاحِدٍ، فَهَذِهِ الْأَسْبَابُ الْخَمْسَةُ^(٥) اسْتِثْنَاهَا اللَّهُ مِمَّا أَخْفَاهُ مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ،
وَأَذِنَ لِلْخَلْقِ بِالنَّظَرِ فِيهَا وَالْقَوْلِ.

وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا غَرَضٌ مَعْلُومٌ، وَمَقْصَدٌ مَفْهُومٌ، وَبَابٌ عَلَى حَالِهِ، وَلَهُ
شُرُوطٌ تُعَيَّنُ عَلَى دَرَكِهَا، وَتَوْصُلُ الْعَالَمِ الْمَلْتَزِمِ إِلَى الْإِحَاطَةِ بِهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ

(١) سقط من (ع).

(٢) في (و) (ع): «المستابق».

(٣) في (ع): «وسد».

(٤) في (ع): «استابقت».

(٥) في (ع): «التي».

ذكرها، فلا فائدة في تكرارها، إلا علم الخط، فالعلماء أهل الكتاب والسنة والإجماع على أنه لا يجوز فعله، وقد تقدم النهي عنه وعن ضربه، وهو من المحظورات، منع الشرع منه، لا يحل بوجه.

وليس العجب ممن ارتكب هذه الأشياء المنهي عنها، منها^(١) ضرب الخط، وغيرها من المحظورات من أهل الباطل والجهال وسفائل الناس، وإنما العجب ممن تزنى بزي أهل الفضل والصلاح، وحصل الستين حزباً في صدره، وألزم نفسه الرتبة بالإمامة في المسجد الجامع، والأذان والصلاة بالناس وهو يضرب الخط، ويتكلم عليه بالباطل والكذب، وهو منهي عنه، وقد أدخل نفسه في جملة الأئمة، وهم الأئمة بالبادية، البعض منهم، وهم يرون أنه لا بأس به، وأنه مباح ضربه والحساب عليه، ومع ذلك يعالجون المجانين والحمقى، ويتكلمون بأسماء على المجنون، ولا يعلمون تأويلها ولا معانيها، وهي حروف متقطعة في خطوط وأسطر.

ويزعمون أنها من كتاب الله يُقسم بها على الرُوحانية، وأنها من الكتب التي أنزلها الله قبل كتابنا على الأنبياء عليهم السلام، وكتابنا العزيز الذي أنزل الله على نبينا محمد ﷺ الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد، كان أولى؛ إذ هو الشافي الكافي.

قال الله تعالى: ﴿رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا أَلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾ [الدخان: ١٢]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وفي أم القرآن الكفاية إذا كُتِبَت لِلدِّعِغِ أَوْ لِلَّذِي يَشْتَكِي مِنْ وَجَعٍ أَوْ أَلَمٍ عَلَى التَّعْظِيمِ لَهَا.

(١) سقط من (ع).

وقد روى مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في سفر، فمروا بحي من أحياء العرب، فاستضافوهم، فلم يضيفوهم، فقالوا لهم: هل فيكم من راقٍ؟ فإن سيد الحي لديغ أو مصاب، فقال رجل منهم: نعم، فأتاه فرّقه بفاتحة الكتاب، فبرئ الرجل، فأعطاه قطيعاً من غنم، فأبى أن يقبلها.

قال: حتى أذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال: يا رسول الله، والله ما رقيته إلا بفاتحة الكتاب، فتبسم رسول الله ﷺ وقال له: «وما أدراك أنها رقية؟» ثم قال رسول الله ﷺ: «خذوا منهم، واضربوا لي بسهم معكم»^(١).

قال فيه البخاري: قال^(٢) ابن عباس رضي الله عنه: أناخذ على كتاب الله أجراً؟ فقال ﷺ: «وأحق ما أخذتم»^(٣) عليه أجراً كتاب الله^(٤).

فهذه السنة التي لا يدفع فيها، فقد أباحت الشريعة أخذ الأجر على الرقي والتشريح بكتاب الله وبأسمائه، فلا تعمل بعمل الجهال الذين يكتبون بغير أسماء الله، ويقسمون على المجانيين بكلام لا معنى له، وقد نهى مالك رضي الله عنه عن معالجة المجانيين بما يذكرون من الأقسام والعزائم.

وقد سئل عن ذلك؟ فقال في الذين يعالجون المجانيين وهم يزعمون

(١) متفق عليه من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) بياض في (و).

(٣) في (ع): «اتخذتم».

(٤) رواه البخاري من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، كتاب الطب، باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، رقم: ٥٧٣٧.

أنهم يُعالجونهم بالقرآن، فقال: ذلك باطلٌ، ولو كان ذلك لعلمه الأنبياء عليهم السلام، وهذا محمدٌ رسولُ الله ﷺ مدينةُ العلم قد نهى عن ذلك، ولو كان ذلك صحيحًا ما كرهه أشدُّ الكراهة، صَحَّحَ مِنْ «المختصر الكبير» لمالك^(١).

وأما هؤلاء الذين يشتغلون بها، وهي التي ابتدَعها المنجمون على أشكال الدَّراري، ويتكلمون بأسماء اصطَلَحوا عليها، يناجون بها تلك الرُّوحانية بتلك الأسماء لتُخبرَ بها الأشياءُ المغيبات، ويزعمون أنها تنزلُ عليهم، ويرغبون منها أن تُعينَهم على الأشياء والعيادُ بالله من هذا الصنفِ ومن أفعالهم وأقوالهم.

يَسْتَعِينُونَ^(٢) بالروحانية على ما أرادوا من الفساد، ويزعمون أنهم يستخرجون بها الرُّكاز وهي الكنوزُ وجميعُ المخبَّاتِ والمغيبات، وهذا الصنفُ خَرَجُوا بها عن الشريعة.

وكلُّ مَنْ أَخْبَرَ عَنِ الكائناتِ الغائبة، ويقول: يكونُ غداً كذا، وفي هذه السنة الآتية كذا، فهو كافرٌ بالاشتراك، ونعوذُ بالله من الخذلان، وقولِ البهتان، فَمَنْ سَمِعَهُمْ وَصَدَّقَهُمْ وَأَخَذَ بِأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ، فَقَدْ ضَلَّ وَغَوَى، وعلى القبيح احتوى.

عَصَمَنَا اللهُ وَإِيَّاكَ مِنَ البدع والضلالة، ولا عَدَلَ بنا عن طريقِ الكتاب والسنة، ونعوذُ بالله من شرِّ الأشرارِ وأعمالهم وأفعالهم وأقوالهم، واتباعِ سُبُلهم الذاهية إلى سوء الدارِ وبئسَ القَرار، بَمَنَّةٍ وَفَضْلِهِ، وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا وَمَوْلَانَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحَابَتِهِ الْأَكْرَمِينَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أَمْهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا.

(١) المسألة في «البيان والتحصيل» (٩: ٣٤٤).

(٢) في (ع): «يستغيثون».

والله سبحانه وتعالى المسؤول أن يوفقنا للإقبال والامثال لمأموراته،
وترك الإقدام على ارتكاب محظوراته، ويعلمنا ما يُقربنا من آخرته وثوابه،
ويبعدنا من سخطه وعقابه^(١).



(١) خاتمة نسخة المسجد الأعظم بوزان: «انتهى، والحمد لله، على يد العبد المذنب مرتجي بركة
أهل الله موسى بن علي بن موسى الوزاني لطف الله به وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين،
وصلى الله على سيدنا محمد ورضي عن آله وصحبه والتابعين، عشية يوم الثلاثاء في شهر الله
المعظم شهر المحرم مفتح سنة ست وثلاثين وتسع مئة، والحمد لله رب العالمين -
شعر للإمام الشافعي

وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي	جَعَلْتَ الرَّجَاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلْمًا
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ	بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ	بِجُودِكَ تَعْفُو مِثْلَهُ وَتَكْرُمًا
وَلَوْ شِئْتُ لَمْ يُغْفِرِ اللَّعِينُ لِعَابِدٍ	وَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا؟

وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا، ورضي الله
عن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، وحشرنا في زمرة المتقين. وخاتمة
نسخة مؤسسة علال الفاسي: «انتهى وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى، والحمد لله
رب العالمين».